اخْتِيَارُ الأوْلَى

في شَرْحِ حَدِيث

اخْتِصَام المَلأِ الأعْلَى

للإمام العلّامة
زين الدّين عبد الرّحمن بن أحمد
ابن رَجَب الحَنبَلي
٧٣٦-٧٩٥هـ

تحقيق وَتعليق
جاسم الفهيد الدوسري

مكتبة دار الأقصى
الكويت

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م

مكتبة دار الأقصى
حولي/ شارع تونس - مجمع الرميح - ميزانين
تلفون: ٢٥٤٠١٠٩ ص.ب ٣٨٢٣٩ الضاحية. الكويت.

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
- وبه ثقتي ورجائي -

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعـوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هـادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمـون﴾ ﴿يا أيهـا الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجـالاً كثيـراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولـوا قولاً سـديداً يصلح لكم أعـمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾.

أما بعد:

فإن الله جعل الدنيا دار ابتـلاء واختبار، ولم يجعلهـا دار سكنى وقرار كـما أخبر سبحانه عن ذلك فقال: ﴿ **هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسنُ عملاً** ﴾ [الملك: ٢] وبالرغم من هذه الحقيقة الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، فإن أكثر الخلق يغفلون أو يتغافلون عنها، فـيركنون إلى الـدنيا، ويخلدون إلى متعها وشهواتهـا، وتميلُ بهم ويميلون بهـا، وإن حبَّهـا ليغلبُ عـلى أحـدهم حتى يملك فؤاده وجوارحـه، فـلا تـراه إلا لاهثاً ورائهـا، منكبـاً عـلى طلبها، مهتماً في تحصيلها، لا يسأل إلا عنها، ولا يميل إلا إليها، ولا يُعَرِّجُ إلا

عليها، فهي همهُ الوحيدُ وشغلُهُ الشاغل، فتراه في هذه الدنيا يبحث وينقِّب عن كل وسيلةٍ لجمع المال وتحصيله من حِلِّه وحرامه، فيضع أمواله في بنـوك الربـا، ويتعامل بالمعاملات المحرمة، ويبيع دينـه في سبيل دنيـاه، ويشتري غضبَ ربـه وسخـطه عليه بـدار لن يخرج منهـا إلا بخرقـة باليـة! فهذا هـو الذي نسي ذكـرَ الرحمن فاستحوذ عليه الشيطان، وأنساه عـذاب أغلال النـيران، وعُذوبـة أنهار الجنان.

فحذار يا عبد الله أن يكون حالُك كحاله، ولا تغـرنك الـدنيا بحـطامها الزايل ومتاعها الآيل، فإنّ مُلكَها يَبَاب، وعمـارَها خـراب، وحلالَهـا حساب، وحرامها عقـاب، فدارٌ هـذا وصفها قمينـةٌ ألا يشتغلَ المـرءُ بتحصيلها واللهث وراءها، وضَعْ نصبَ عينيـك دائماً قـول الله عزّ وجـلّ: ﴿**من كانَ يُـريدُ الحيـاةَ الدنيا وزينتَها نوفِّ إليهم أعمـالَهم فيها وهم فيهـا لا يُبخَسُون. أولئـك الذين ليس لهم في الآخرةِ إلا النارُ وحَبِطَ ما صنعوا فيهـا وباطـلٌ ما كـانوا يعملون**﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وعـلى النقيض من هؤلاء، هنـالـك صنف آخـر من النـــاس ـ وهم قلة قليلة ـ أدرك حقيقة الدنيا، وعلم ما عليها وما لها، وعرف حالها ومآلها، ففـطن وعقل، وامتثل أمر الله وعمل، فيمّم وجهه قِبلَ الآخـرة، إليها يهفـو ولها يعـد ويستعد، فتراه قواماً بأمر الله، صـداعاً بـالحق، نشيطاً للطاعـة، قد عـزفَ عن الدنيا فأيست من إغوائه، صدق ـ والله ـ من قال في وصفه وإخوانه فأجاد:

إن لله عِبـاداً فُـطنـا ... طلّقـوا الـدُّنيـا وخـافـوا الفتنـا
نـظـروا فيـهـا فـلما عَـلِمـوا ... أنهـا لـيـسـت لحـيٍّ وطـنـا
جـعـلـوهـا لُجَّـةً واتخـذوا ... صـالـحَ الأعمـال فيهـا سُفُنـا

ولا شك أن كلَّ سـالك لـطريق الآخرة لا بـد أن يهتم بأمـرين جليلين، هما: تحصيل الحسنـات وتكفير السيئـات، فهو يسعى في الأعـمال الصالحـة التي تقرِّبه من الله تعالى وتُعلي درجاته في الآخرة، كما أنه ـ كسائر البشر ـ مطبوع على

الخطأ والخطل، وعلى السهو والزلل، فلا يخلو من الآثام والذنوب التي تؤرّقه، فهو يسعى جاداً لتكفيرها، وإلى الأعمال التي تتضمن مغفرة هذه الذنوب وإزالتها عن عاتقه، ولا شك أن هذين الأمرين هما قطب العبادة وفلكها.

وفي هذه الرسالة - التي بين يديك - بيان كاف شاف لهذين الأمرين، أعني: الدرجات والكفارات، فهي شرح لحديث اختصام الملأ الأعلى الذي تضمن بيانَ هذين الأمرين الخطيرين، وعلاوةً على ذلك ففيه بيان لدعوات الخير التي ينبغي لكل مسلم أن يتعلمها ويدرسها ويوليها مزيداً من العناية والإهتمام.

وهذا الشرح قد دبّجته يراعةُ علامة نحرير، بعلل القلوب بصير، وبأحوال السلف خبير، ألا وهو ابن رجب الحنبلي الحافظ الشهير، الذي تخصص في شرح الأحاديث النبوية والحكم المصطفوية، فصاغ لهذا الحديث شرحاً يَشفى العليلَ ويَروي الغليلَ، فأودع فيه من الفوائد صنوفاً، ورصَّ الحكم فيه صفوفاً، ووشّاه بغرر الأخبار، وحلاّه بدرر الأشعار، وهو في هذا كله ينقلك من مسألة إلى شقيقتها، ومن جملة إلى رفيقتها بأسلوب أدبي رفيع ينبو عن التقعير، ويفهمه الصغير والكبير، وليس الخبر كالمعاينة، فدونك الرسالة، قلبها وتصفّحها تدرك قيمتها ونفاستها.

أصول الكتاب:

ذكر الروداني في «صلة الخلف»[1] (ق ٤ / ص ٣٧٧) وابن حميد النجدي في كتابه «السحب الوابلة» (ص ١١٧) هذا الكتاب ضمن مؤلفات ابن رجب، وقد اعتمدت في تحقيقه على ثلاث نسخ خطية، هاك وصفها:

(١) النسخة الأولى (الأصل):

وهي نسخة مكتبة جستر بتي وهي تحت رقم (٣٢٩٢)، وتقع في إحدى

(١) نشر ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية (مج ٢٧ / ج ١) والأعداد التي تليه.

وثلاثين ورقة (٦٢ صفحة)، ويتراوح عدد الأسطر في كل ورقة منها بين (١٧ ـ ٢٢) سطراً، وتاريخُ نسخها يعود إلى القرن التاسع تقديراً، وقد كُتِبت بخط مختلف، وقد اعتمدتها أصلاً لتحقيق الكتاب، والأوراق الأخيرة من هذه النسخة باهتة الخط مما يجعل قراءتها متعذرة.

(٢) النسخة الثانية (أ):

وهي نسخة مكتبة الأوقاف العراقية، وهي تحت رقم (مجموع: ٤٧٦٧)، وتقع في إحدى عشرة ورقة (٢٢ صفحة)، في كل ورقة (٣٢) سطراً تقريباً، وهي نسخة كثيرة الخطأ، لذا لم أعبأ كثيراً بمخالفتها للأصول الأخرى، وأرمز لها بـ (أ).

(٣) النسخة الثالثة (ب):

وهي نسخة أخرى في مكتبة الأوقاف العراقية أيضاً، وهي تحت رقم (مجموع: ٤٧٥٤)، وتقع في ست وعشرين ورقة (٥١ صفحة) في كل ورقة (٢٣) سطراً. وهي أقل خطأً من سابقتها، وأرمز لها بـ (ب). وتاريخ هاتين النسختين يعود إلى القرن الثالث (أو الثاني) عشر تقديراً.

كما اعتمدت أيضاً على طبعة المطبعة المنيرية بمصر (١٣٥٢ هـ)، وقد صححها وعلق حواشيها الشيخ محمد منير الدمشقي، وأرمز لها بـ (ط).

وقد أعادت مكتبة التراث الإسلامي القاهرية طبع هذا الكتاب (١٤٠٢ هـ) بتعليقات الشيخ منير، ولم تشر إلى أصل الكتاب، ولا إلى صاحب التعليقات الذي غُمِطت حقوقه وسُرِقت جهوده، رحمه الله وأجزل مثوبته. ولا يخفى الأثر السيىء لمثل هذه الطبعات التجارية التي تقطع الطريق على الساعين لخدمة التراث وتحقيقه.

عملي في الكتاب:

١ ـ ضبطت النص وصححته، وأثبتُّ زيادات النسخ على نسخة الأصل بين معقوفتين، ونبهت في التعليق على الاختلافات المهمة بينها.

٢ ـ رقَّمتُ الآيات القرآنية، وخرجت الأحاديث النبوية، وما كان في الصحيحين ـ أو أحدهما ـ اكتفيت بعزوه إليهما، وخرجت بعض الآثار الواردة عن الصحابة التي تيسَّر لي الوقوف عليها، ولم أنشط لتخريج آثار التابعين ومن بعدهم.

٣ ـ شرحت الألفاظ الغريبة، وعلقت بما رأيته مناسباً على بعض المسائل.

٤ ـ ترجمت للمصنف ترجمةً وافية.

٥ ـ صنعت فهرساً موضوعياً لمضامين الكتاب، وأشرت فيه إلى الفوائد والتحقيقات المهمة فيه، كما صنعت فهرساً آخراً للأحاديث.

وأرجو أن أكون قد وُفِّقت في هذا العمل، وأسأل الله أن يتجاوز عمّا وقع فيه من السهو والزلل، وأن يتقبله مني على ما فيه التقصير، وأن لا يجعل ما علمنا وبالاً علينا، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

كتبه حامداً مصلياً مسلماً /

أبو سليمان جاسم بن سليمان الفهيد الدوسري

ليلة الأربعاء لستٍ خلون من رجب الفرد سنة خمس وأربعمائة بعد الألف للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية

الكويت / الجهراء القديمة

ترجمة المصنف

١ ـ اسمه ونسبه:

هو زينُ الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن (رجب) بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، وجده عبد الرحمن يُلَقَّب بـ (رجب) وقد اشتهرت نسبة صاحب الترجمة إليه، فقيل له: (ابن رجب) ، وكان يلقب أولاً بـ (جمال الدين) .

٢ ـ ولادته ونشأته:

وُلِدَ ابن رجب ببغداد سنة ٧٣٦، وأما ما في الدرر الكامنة وذيل التذكرة للسيوطي ـ وغيرهما ـ من أنه ولد سنة ٧٠٦، فهو وهم واضح، بل هو تأريخ ولادة أبيه (أحمد) كما هو معلوم من ترجمته[1] .

وقد نشأ ابن رجب في أسرة علمية عريقة، فجده الملقب بـ (رجب)، وصفه ابن العماد بـ «الشيخ الإمام المحدث»، وأبوه أحمد قال ابن ناصر الدين: «الإمام العالم الصالح المقرىء المجود المحدث المفيد . . .، قرأ القرآن بالروايات، وأخذ عن جماعة من الشيوخ كثيراً من المرويات». أهـ وقال الحافظ في الدرر (١/ ١٣١): «وكان ديِّناً خيِّراً عفيفاً». أهـ

ولا شك أن نشوء ابن رجب في مثل هذه الأسرة قد هيّأ له مناخاً مناسباً

---

(١) انظر الرد الوافر ص ٧٩.

لطلب العلم والجد في تحصيله. ولم يمكث ابن رجب في بغداد إلا مدة يسيرة، فقد غادرها مع والده وسائر أسرته في سنة ٧٤٤ - وهو ابن ثمان سنين - إلى دمشق، ولعل أوضاع بغداد السيئة بعد تخريب التتار لها كانت وراء هذه الهجرة.

وقد كان لوالده دور كبير في تربيته، فقد اصطحبه منذ نعومة أظفاره إلى مجالس العلم ببغداد ثم بدمشق، واعتنى بتسميعه الأحاديث من مسندي زمانه، كما اصطحبه معه في الحج سنة ٧٤٩ - كما ذكر ابن قاضي شهبة، والتقى بمكة بكبار الشيوخ والطلبة، وقال ابن قاضي شهبة: «واشتغل بسماع الحديث باعتناء والده بعد البضع والخمسين». أهـ ولم يقف طموح ابن رجب إلى هذا الحد، بل ارتحل إلى مصر والقاهرة ليشبع نهمه العلمي.

٣ - شيوخه:

وكان نتيجة لهذه الرحلات أن أصبح لابن رجب شيوخ كثر، وأولهم أبوه عبد الرحمن الذي كان له الدور الأكبر في توجيه ابنه إلى العلم النافع، وقد توفي هذا المربي الفاضل سنة ٧٧٤، أي بعدما قارب ابنه الأربعين، وبعد أن أوضح له الطريق، وشق له السبيل، وأنهج له الجادة.

ومن مشايخه بدمشق شمس الدين ابن النقيب مدرس الشامية الذي أجاز له ما أجاز له الإمام النووي[١]، وسمع الحديث فيها من: محمد بن اسماعيل ابن إبراهيم بن الخباز، وداود بن ابراهيم العطار، وأبو العباس ابن قاضي

(١) قال ابن مفلح في المقصد الأرشد: «وأجازه ابن النقيب ما أجاز له النووي». ووقع في الشذرات: «وأجازه ابن النقيب والنووي». أهـ وهو وهم بيِّن فإنّ النووي تُوفي قبل ولادة ابن رجب بستين سنة! وأما ما رجّحه عبد الفتاح أبو غدة - وتابعه عليه الدكتور همام سعيد في كتابه «العلل في الحديث» (ص ٢٣٠ - ٢٣١) - من أن النووي هذا ليس هو النووي المشهور بل هو نووي آخر، وسمّاه: (علاء الدين أحمد بن عبد المؤمن الشافعي المتوفى (٧٤٩).) فبعيدٌ جداً لا سيما أنه قد ثبت خطأ عبارة صاحب الشذرات، كما أن عبارة «المقصد» تزيل الإشكال، ومما يؤكدها أن ابن النقيب كان معروفاً بملازمة الإمام النووي كما في الدرر الكامنة (٣/٣٩٩) والله أعلم.

الجبل، وعلاء الدين بن المنجا، وأحمد بن عبد الهادي المقدسي وغيرهم جم غفير.

ومن أشهر شيوخه الدمشقيين الإمام العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية، وقد لازمه ملازمة أفادته كثيراً، قال العليمي: «ولازم مجالس الشيخ شمس الدين ابن القيم إلى أن مات». أهـ.

وسمع بمكة - عندما حج - من الفخر عثمان بن يوسف النويري، وبالقدس من الحافظ الكبير صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي، وبمصر من صدر الدين أبي الفتح الميدومي وناصر الدين ابن الملوك وأقرانهما، ومن جماعة من أصحاب الفخر بن البخاري، وبالقاهرة من أبي الحرم محمد بن القلانسي الحنبلي، وخلقٍ من رواة الآثار.

٤ - ابن رجب: الطالب والشيخ:

كان ابن رجب مجتهداً في طلب العلم، قال ابن قاضي شهبة: «وكتب وقرأ وأتقن الفن، واشتغل في المذهب حتى أتقنه، وأكبَّ على الاشتغال بمعرفة متون الحديث وعلله ومعانيه». وقال الحافظ في الدرر: «وأكثر من المسموع، وأكثر الاشتغال حتى مَهَرَ». وقال أيضاً في الإنباء: «ومَهَرَ في فنون الحديث أسماءً ورجالاً وعللاً وطرقاً واطّلاعاً على معانيه».

وقد تسنى له أثناء سني الطلب أن يصاحب بعض الأئمة الكبار - عندما كانوا طلاباً -، ومن أشهر هؤلاء الحافظ زين الدين أبو الفضل العراقي، قال الحافظ في الإنباء: «ورافقَ شيخَنا زين الدين العراقي في السماع كثيراً». أهـ ولم يكن اهتمامه مقتصراً على سماع الحديث وحسب، بل كان له اهتمام بعلم القراءات، قال الحافظ في الدرر: «وقرأ القرآن بالروايات وأكثر عن الشيوخ».

وكان من الطبيعي أن يصل ابن رجب الطالب ذو الهمة العالية والعزيمة الشامخة - بعد هذا الاجتهاد الذي سمعته - إلى مرتبة الأستاذية، قال ابن قاضي

شهبـة: «وقد وَلِيَ حلقـة الثلاثـاء بعد وفـاة ابن قـاضي الجبـل في رجب إحـدى وسبعين، ودرس بالحنبلية بعد وفـاة ابن التقي، ثم أُخِذَ منـه». أهـ ومعنى هذا أنه اشتغل بالتدريس وهو ابن خمس وثلاثين، وقد تتلمذ على يديه خلق كثير من الحنابلة، قال ابن حجي: «وتخرَّجَ به غالبُ أصحابنا الحنابلة».

وكان ـ رحمه الله ـ واعظاً بليغاً مفوهاً، فكانت مواعظة مؤثرةً في النفوس، موقظةً للقلوب، قال ابن فهد المكي وغيره: «كانت مجالس تذكـيره للناس عـامةً نافعةً، وللقلوب صادعة». أهـ وهو يقتدي في مسلكه الوعظي بأسلوب الإمـام ابن الجوزي الذي كانت مواعظه تضم إلى جانب الآيات والأحاديث: الأشعـار الغزلية الرقيقة التي تقع من النفس أحسن موقـع، ويخلطها بعبـارات مسجوعـة مسبوكة ذات نبرة تثير الحزن والبكاء، فتكون مواعـظه محببة للنفـوس لا يُمَلُّ من تكـرارها، ولا يُسـأم من تردادهـا، فلو قرأت كتـابه «المـدهش» أو «اللطف» في الوعظ وقارنته بأسلوب ابن رجب في خاتمة هذا الكتاب لـوجدت تـوافقاً غـريباً بين هذين الأسلوبين، وكأنك عندما تقرأ ما كتبه ابن رجب تنـظر في أحد كتـابيّ ابن الجوزي المتقدمين، كما كانت له معرفة بمواعظ السلف وأخبارهم، قـال ابن قاضي شهبة: «وكان يحفظ كثيراً من كلام السلف».

٥ ـ تلاميذه:

تشحُّ الكتب التي تناولت سيرة ابن رجب بذكر تلاميذه، فلا تذكر إلا قلة قليلة منهم، ومن أشهر هؤلاء: القاضي علاء الدين ابن اللحـام البعلي، وأحمـد بن سيف الدين الحموي، وأبو ذر عبد الرحمن الزركشي.

٦ ـ أخلاقه وصفاته:

كان ـ رحمه الله ـ موصوفاً بالورع والزهد، وقد أجمع مترجمـوه على ذلـك، قـال ابن ناصر الـدين عنه: «أحـد الأئمة الـزهاد، والعلماء العبـاد». وقال ابن

فهد: «كان ـ رحمه الله ـ إماماً وَرِعاً زاهداً، مالت القلوب بالمحبة إليه، وأجمعت الفرق عليه». وقال العليمي: «وزهده وورعه فائقُ الحدَّ». وكان موصوفاً بكثرة العبادة والتهجد، قال الحافظ في الإنباء: «كان صاحب عبادة وتهجد».

وكان مائلاً إلى اعتزال الناس، والابتعاد عن مخالطتهم لا سيما في أواخر أيام حياته، قال ابن حجي: «كان لا يخالط أحداً، ولا يتردد إلى أحد». وقال ابن قاضي شهبة: «وكان منجمعاً عن الناس، لا يخالط ولا يتردد إلى أحدٍ من ذوي الولايات، ويسكن بالمدرسة السُّكَّرية بالقَصَّاعين، وكان لا يعرف شيئاً من أمور الدنيا، فارغاً عن الرياسة وأسبابها، ليس له شغل إلا اشتغالٌ بالعلم، . . . وكان فقيراً متعففاً غني النفس، وبالجملة لم يخلُفْ بعده مثله».

٧ ـ عقيدته ومذهبه:

سار ابن رجب في عقيدته على منهج سلف الأمة ـ رضوان الله عليهم ـ، فهو يثبت آيات وأحاديث الصفات كما جاءت من غير تشبيه ولا تعطيل، ولا تأويل ولا تمثيل، مع عدم الخوض في كيفيتها، وفي كتابه هذا يعلن عقيدته هذه في الصفحة (٤٠)، وصرح في كثير من كتبه بنصرة مذهب السلف ولزوم اتباعه فهو يقول في كتابه «فضل علم السلف» ص ٣٣ (بتحقيق أخينا محمد ناصر العجمي): «والصواب ما عليه السلف الصالح من إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تفسير لها ولا تكييف ولا تمثيل، ولا يصحُّ عن أحد منهم خلاف ذلك البتة». وموضوع رسالته تفضيل منهج السلف على منهج الخلف. أما مذهبه الفقهي فقد كان متبعاً لمذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ، وهو معدود من علماء المذهب الكبار المتضلعين فيه. قال عنه ابن مفلح في المقصد: «شيخ الحنابلة». وقال ابن قاضي شهبة: «شيخ الحنابلة وفاضلهم».

وكتابه «القواعد» يدل على معرفة تامة بفروع المذهب كما شهد له بذلك غير واحد. وقد تتلمذ على يديه كثير من طلاب الحنابلة كما تقدم.

وكان ابن رجب متأثراً بآراء شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد كان تلميذاً لابن القيم تلميذ شيخ الإسلام، فلا عجب أن يتأثر بآراء شيخه. قال الحافظ في الإنباء: «نُقِمَ عليه افتاؤه بمقالات ابن تيمية ثم أظهر الرجوع عن ذلك، فنافره التيميون، فلم يكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، وكان قد ترك الإفتاء بآخرة». أهـ.

ونلاحظ في كتبه مسحةً صوفيةً، تتمثل في إكثاره من ذكر أقوال المتصوفة وحكاياتهم، وقد يكون بعضها مخالفاً للكتاب والسنة، وقد نبهنا في التعليق على مثل هذه الحكايات، ويظهر أثر التصوف واضحاً في كتابه «استنشاق نسيم الأنس» فموضوعه: محبة الله، وقد ملأ كتابه هذا بأقوال المتصوفة وتخاريفهم، غفر الله له، لكن نزعته الصوفية تتميز بالاعتدال فهو لا يورد حكايات غلاة المتصوفة كابن عربي وابن الفارض وغيرهما من الناعقين بالحلول والاتحاد، والمفرقين بين الحقيقة والشريعة، فكتبه سليمة من هذه الشرور بحمد الله.

٨ ـ ثناء العلماء عليه:

أجمع مترجموه على الإشادة بفضله، والتنبيه على علو كعبه في العلوم الشرعية، وقد تقدم شيءٌ من ذلك، وإليك المزيد:

قال ابن حجي: «أتقن الفنَّ، وصار أعرفَ أهل عصره بالعلل وتتبُّع الطرق». وقال ابن ناصر الدين: «الشيخ الإمام العلامة الزاهد القدوة البركة، الحافظ العمدة الثقة الحجة، واعظ المسلمين، ومفيد المحدِّثين».

وقال الحافظ ابن حجر: «الشيخ المحدث الحافظ».

وقال ابن قاضي شهبة: «الإمام العلامة الحافظ الزاهد الورع، شيخ الحنابلة وفاضلهم، وأوحد المحدثين».

وقال ابن فهد المكي: «الإمام الحافظ الحجة، والفقيه العمدة، أحد العلماء الزهاد، والأئمة العباد، مفيد المحدثين، واعظ المسلمين».

وقال برهان الدين ابن مفلح: «الشيخ العلامة الحافظ الزاهد شيخ الحنابلة».

وقال السيوطي: «الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ».

وقال العليمي ـ فبالغ ـ: «هو الشيخ الإمام، الحبر البحر الهمام، العالم العامل، البدر الكامل، القدوة الورع الزاهد، الحافظ الحجة الثقة، شيخ الإسلام والمسلمين، وزين الملة والدين، واعظ المسلمين، مفيد المحدثين، جمال المصنفين».

وقال ابن العماد: «الشيخ الإمام العالم العلامة، الزاهد القدوة البركة، الحافظ العمدة، الثقة الحجة، الحنبلي المذهب».

٩ ـ مصنفاته:

لابن رجب مؤلفات كثيرة في مختلف علوم الشريعة وفنونها، وقد اتفق مترجموه على أنها مؤلفات مفيدة في بابها، قال ابن ناصر الدين وابن العماد: «له مصنفات مفيدة، ومؤلفات عديدة». وقال ابن مفلح: «له تصانيف مفيدة». وقال ابن فهد: «له المؤلفات السديدة والمؤلفات العديدة». وإليك قائمة بما وقفت عليه منها مرتبة على حروف المعجم، ورمزت للمطبوع منها بـ (ط):

١ ـ أحكام الخواتيم وما يتعلق بها. (ط)

٢ ـ اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى. (ط) وهو كتابنا هذا.

٣ ـ الاستخراج لأحكام الخراج (ط).

٤ ـ الاستغناء بالقرآن.

٥ ـ استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس. وموضوعه محبة الله وشروطها.

٦ ـ الإستيطان فيما يعتصم به العبد من الشيطان.

٧ ـ الإلمام في فضائل بيت الله الحرام.

٨ ـ أهوال القبور. (ط)

٩ ـ البشارة العظمى في أن حظَّ المؤمن من النار الحمى.

١٠ ـ بيان فضل علم السلف على علم الخلف. (ط)

١١ ـ التخويف من النار. (ط)

١٢ ـ تسلية نفوس النساء والرجال عن فقد الأطفال.

١٣ ـ تفسير سورة الإخلاص *.

١٤ ـ تفسير سورة الفاتحة.

١٥ ـ تفسير سورة النصر. (ط) *

١٦ ـ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم (ط). وقد شرح فيه الأربعين النووية وأضاف إليها ثمانية أحاديث أخرى، وقد أثنى على شرحه ابن قاضي شهبة حيث قال: «وشرح أربعين النووي شرحاً حسناً».

١٧ ـ الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ـ ﷺ ـ: «بُعِثْتُ بالسيفِ بين يدي الساعة» (ط)

١٨ ـ حمايةُ (أو: كفاية) الشام بمن فيها من الأعلام.

١٩ ـ الذُّلُّ والانكسار للعزيز الجبار. طُبع بعنوان: «الخشوع في الصلاة».

٢٠ ـ ذم الخمر.

٢١ ـ الذيل على طبقات الحنابلة (ط) وقد ذَيّل به على كتاب القاضي ابن أبي

(*) فرغ أخونا محمد ناصر العجمي من تحقيق هاتين الرسالتين.

يعلى الحنبلي، وترجم فيه لأعلام الحنابلة على حسب تأريخ الوفيات من سنة (٥٢٦) إلى سنة (٧٥٠) وقد توقف عند هذه السنة بالرغم أنه عاش بعدها خمساً وأربعين سنة[١]، وقد طبع الجزء الأول من الذيل بدمشق سنة (١٩٤٨م) بعناية هنري لاوست والدهان طبعةً رديئة، قال الدكتور صلاح الدين المنجد: «وهي طبعة سيئة التحقيق». ثم طبع الكتاب كاملاً سنة (١٩٥٣) بتحقيق الشيخ حامد الفقي.

٢٢ ـ شرح حديث: «إن أغبط أوليائي عندي».

٢٣ ـ شرح حديث شداد بن أوس: «إذا كنز الناس الذهب والفضة».

٢٤ ـ شرح حديث عمار بن ياسر: «اللهم بعلمك الغيب».

٢٥ ـ شرح حديث: «ما ذئبان جائعان..» ويسمى أيضاً: «ذم الجاه والمال». (ط)

٢٦ ـ شرح حديث «لبيك اللهم لبيك».

٢٧ ـ شرح حديث أبي الدرداء: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً..». (ط)

٢٨ ـ شرح حديث: «يتبع المؤمن ثلاثة».

٢٩ ـ شرح حديث: «مثل الإسلام».

٣٠ ـ شرح جامع الترمذي: وهو في نحو عشرين مجلداً كما ذكر الحافظ وابن قاضي شهبة، وأفاد الأخير بأنه احترق في الفتنة[٢]. ولم يعثر من هذا

(١) قال الأستاذ زهير الشاويش في تقدمته لكتاب «كلمة الإخلاص» ص ٥: «وكان بينه وبين حنابلة زمانه جفوة، حتى أنه لم يترجم لكثيرين منهم في «ذيل الطبقات» ومنهم آل مفلح، وفيهم العلامة ابراهيم بن محمد مؤلف المبدع في شرح المقنع وهو من أعظم كتب الحنابلة في الفقه». أهـ كذا قال، وليس ثمت دليلٌ على هذه الدعوى، ولم أر من ترجم له ذكر شيئاً عن هذه الجفوة المفتعلة، أما كونه لم يترجم للعلامة ابراهيم صاحب المبدع في الذيل، فمعقول جداً، لأن ابن رجب توفي قبل ولادة ابراهيم هذا بإحدى وعشرين سنة، فقد ولد سنة (٨١٦)، ومما يدل على عدم وجود هذه الجفوة أن هذا العلامة ترجم لابن رجب في كتابه «المقصد الأرشد» ترجمة طيبة وقد مر بك ثناؤه عليه، وتلقيبه له بـ «شيخ الحنابلة».

(٢) يعني دخول التتار دمشق سنة (٨٠٣) وما وقع من الفساد فيها على يد تيمورلنك ـ لعنه الله ـ.

الشرح إلا على شرح العلل وقد طَبع، وهو شرح غاية في النفاسة، لا يستغني عنه أي مشتغل بفن العلل، وللدكتور همام سعيد دراسة وافيةٌ حول هذا الكتاب.

٣١ ـ صفة الجنة. ذكره ابن قاضي شهبة.

٣٢ ـ غاية النفع في شرح: «تمثيل المؤمن بخامة الزرع». (ط).

٣٣ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري. شرح قطعةً منه، ووصل فيها إلى كتاب الجنائز، قال ابن ناصر الدين: «وشرح من أول صحيح البخاري إلى الجنائز شرحاً نفيساً». وقال ابن مفلح: «ينقل فيه كثيراً من كلام المتقدمين».

٣٤ ـ الفرق بين النصيحة والتعيير. (ط).

٣٥ ـ القواعد الكبرى في الفروع. (ط) وهو من أجل مصنفاته التي تدل على تبحره في دقائق الفقه، قال الحافظ في الدرر: «أجاد فيه». وقال ابن قاضي شهبة وابن مفلح: «يدلُّ على معرفةٍ تامّة بالمذهب». وفي كشف الظنون (٢/٣٥٩): «وهو كتاب من عجائب الدهر حتى أنه استُكثِرَ عليه، وزعم بعضهم أنه وجد قواعدَ مبدَّدةً لشيخ الإسلام ابن تيمية فجمعها، وليس الأمر كذلك بل كان ـ رحمه الله ـ فوق ذلك. كذا قيل». أ هـ ويُسمَّى أيضاً: «تقرير القواعد وتحرير الفوائد».

٣٦ ـ القول المعذاب في تزويج أمهات أولاد الغياب.

٣٧ ـ كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة (ط) وهو شرح حديث: «بدأ الإسلام غريباً...»

٣٨ ـ الكشف والبيان عن حقيقة النذور والأيمان.

٣٩ ـ كلمة الإخلاص وتحقيق معناها. (ط). قال ابن حميد النجدي: «بسط القول فيها وحققه».

٤٠ ـ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (ط): وهو كتاب وعظي فيه بيان منهاج المسلم في كل شهر من شهور السنة، قال الحافظ في الدرر: «فيه فوائد». وقال ابن قاضي شهبة: «كتاب حسن».

٤١ ـ المحجَّة في سير الدلجة (ط): وهو شرح حديث: «لن ينجي أحداً منكم عمله».

٤٢ ـ مسألتا الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وقبل الصلاة.

٤٣ ـ مشيخة ابن رجب: ذكر فيها أسماء شيوخه الذين تلقى منهم العلم، قال الحافظ في الدرر: «وخرّج لنفسه مشيخةً مفيدةً».

٤٤ ـ نزهة الأسماع في مسألة السماع.

٤٥ ـ نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ـ ﷺ ـ لابن عباس (ط): وهو شرح حديث: «احفظ الله يحفظك...»

٤٦ ـ وقعة بدر(١).

١٠ ـ وفاته:

بعد هذه الحياة الجهادية الحافلة بالمآثر والمفاخر في خدمة العلم توفي ابن رجب في سنة خمس وتسعين وسبعمائة، وقد اختلف في تحديد شهر وفاته، فذهب ابن ناصر الدين والحافظ في الدرر والسيوطي إلى أنه توفي في شهر رجب، بينما ذهب ابن حجي وابن قاضي شهبة وابن مفلح والعليمي وابن العماد إلى أنه توفي في رمضان، وحدده الثلاثة المتأخرون بليلة الاثنين رابع رمضان، وحكى ابن فهد القولين ولم يرجح، والراجح هو القول الثاني لإن القائلين به أكثر، كما أن ابن مفلح والعليمي وابن العماد من شيوخ الحنابلة وهم أعرف بعلماء مذهبهم من غيرهم، ويدل على دقتهم تحديدهم لتأريخ يوم الوفاة، والله أعلم.

---

(١) اعتمدت في ذكر المؤلفات على ما ذكره الروداني في صلة الخلف وابن حميد في السحب واسماعيل باشا في الهدية والكتاني في الفهرس وهمام سعيد في العلل وغيرهم.

قال ابن ناصر الدين: «لقد حدثني من حفر لحد ابن رجب أن الشيخ زين الدين ابن رجب جاءه قبل أن يموت بأيام، قال: فقال لي: احفر لي هنا لحداً، وأشار إلى البقعة التي دفن فيها. قال: فحفرت له، فلما فرغ نزل في القبر واضطجع فيه فأعجبه، وقال: هذا جيدٌ. ثم خرج. قال: فوالله ما شعرت به بعد أيام إلا وقد أُتي به ميتاً محمولاً في نعشه، فوضعته في ذلك اللحد، وواريته فيه.»

وقال ابن مفلح وغيره: «توفي ليلة الاثنين رابع رمضان سنة خمس وتسعين وسبعمائة بأرض الحميرية ببستان كان استأجره، وصُلِّيَ عليه من الغد، ودُفن بباب الصغير إلى جانب قبر الشيخ أبي الفرج الشيرازي، رحمه الله».

١١ ـ مصادر الترجمة:

١ ـ الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي (ص ١٠٦ ـ ١٠٧)

٢ ـ انباء الغمر بأبناء العمر للحافظ ابن حجر (٣/ ١٧٥ ـ ١٧٦ ـ هندية)

٣ ـ الدرر الكامنة له أيضاً. (٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٢ ـ هندية)

٤ ـ تاريخ ابن قاضي شهبة (ص ٤٨٨ ـ ٤٨٩)

٥ ـ لحظ الألحاظ لابن فهد المكي (ص ١٨٠ ـ ١٨٢)

٦ ـ المقصد الأرشد لإبراهيم بن محمد بن مفلح (ص ١٦٠ ـ مخطوطة الحرم المكي الشريف)

٧ ـ ذيل الطبقات (ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨) [طبقات الحفاظ: ص ٥٣٦] للسيوطي.

٨ ـ الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (٢/ ٧٦ ـ ٧٧).

٩ ـ الشهادة الزكية لمرعي الكرمي (ص ٤٩ ـ ٥٠).

١٠ ـ شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠)

١١ ـ صلة الخلف للروداني (ضمن مجلة معهد المخطوطات).

١٢ ـ البدر الطالع للشوكاني (١/ ٣٢٨).

١٣ - السحب الوابلة لابن حميد النجدي (ص ١١٧- ١١٨ - مخطوطة مكتبة خدابخش بتنه).

١٤ - هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي (١/٥٢٧ - ٥٢٨).

١٥ - منادمة الأطلال لعبد القَادر بدران (ص ٢٣٦).

١٦ - الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتاني (ص ١١١).

١٧ - فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني (٢/٦٣٦).

١٨ - الأعلام للزركلي (٣/٢٩٥ - الطبعة الخامسة).

١٩ - معجم المؤلفين لعمر كحالة (٥/١١٨).

٢٠ - معجم المؤرخين الدمشقيين لصلاح الدين المنجد (ص ٢١٨ - ٢١٩).

٢١ - العلل في الحديث لهمام سعيد (ص ٢٢٧ - ٢٥٦).

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على محمد خاتم النبيين وامام المتقين وعلى
آله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين خرج الامام احمد من حديث
معاذ بن جبل رضي الله عنه قال احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن
صلاة الصبح حتى كدنا نترا اي قرن الشمس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا فثوب
بالصلاة وصلى وتجوز في صلاته فلما سلم قال كما انتم على مصافكم ثم اقبل الينا
فقال اني ساحدثكم ما حبسني عنكم الغداة اني قمت من الليل فصليت ما قدر
لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت فاذا انا بربي عز وجل في احسن صورة
فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا ادري رب قال يا محمد فيم يختصم الملأ
الاعلى قلت لا ادري رب قال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا ادري
رب فرايته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد انامله في صدري وتجلى لي كل
شيء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت في الكفارات قال وما
الكفارات قلت نقل الاقدام الى الجمعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات
واسباغ الوضوء عند الكريهات قال وما الدرجات قلت اطعام الطعام ولين
الكلام والصلاة والناس نيام قال سل قلت اللهم اني اسألك فعل الخيرات
وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني واذا اردت فتنة في
قوم فتوفني غير مفتون واسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حق فادرسوها وتعلموها وخرجه الترمذي

الصفحة الأولى من الأصل

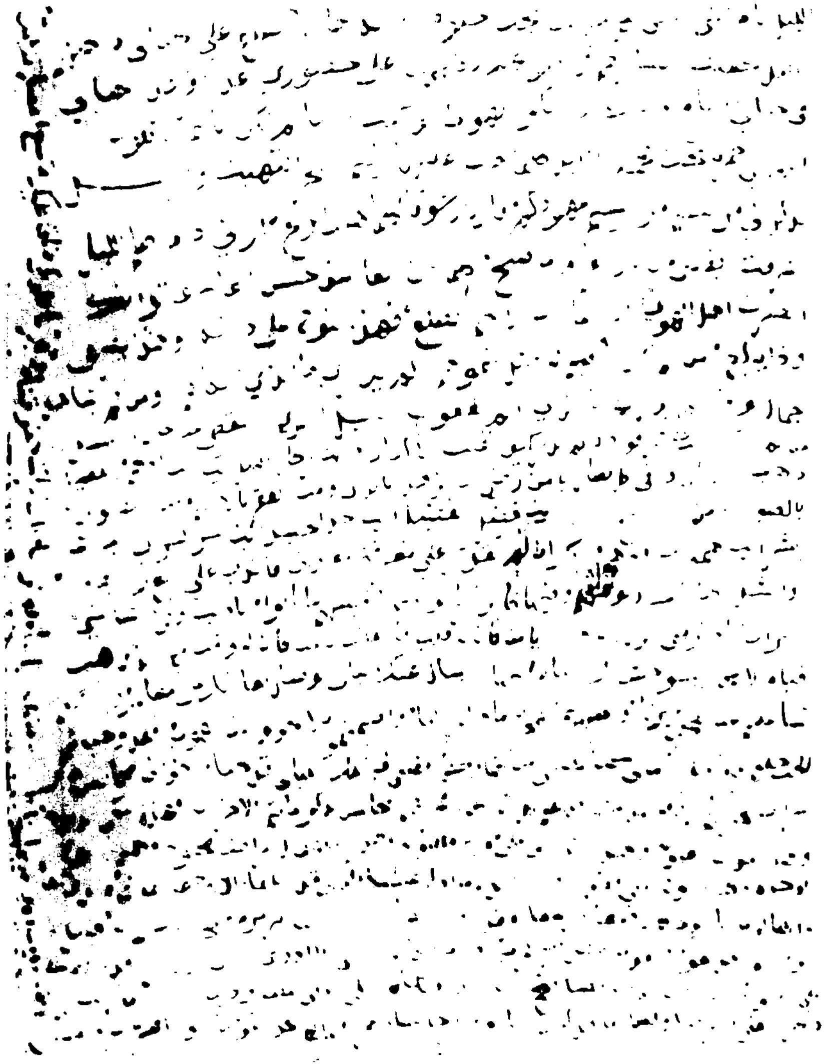

الصفحة الأخيرة من الأصل

الصفحة الأخيرة من الأصل

لابد منه ولا يتم الإيمان بدونه والدرجة الثانية فضـــل وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به
وتحقيق الاقتداء بسنته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه وغير ذلك من
آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه واهتزاز القلب عند ذكره وتصوره وكثرة الصلاة عليه لما سكن
في القلب من محبته وتعظيمه وتوقيره ومحبة استماع كلامه وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين ومن أعظم ذلك الاقتداء به في
زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها ورغبته في الآخرة قال سهل التستري من علامات حب الله حب القرآن ومن علامات
حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم ومن علامات حب النبي صلى حب السنة ومن علامات حب السنة حب الآخرة ومن
علامات حب الآخرة بغض الدنيا وعلامات بغض الدنيا ألا يأخذ منها إلا زادًا يبلغه إلى الآخرة وقد
ذكرنا في الباب الأول أن محبة الله عز وجل الواجبة تقتضي محبة ما أوجب من الطاعات وامتثالها وكراهة ما كرهه من المحرمات و
اجتنابها وأن محبته المستحبة تقتضي التقرب إليه بالنوافل والورع عن دقائق المكروهات والمحبة الواجبة تقتضي أيضا مخالفة الهوى
وإيثار ما يحبه الله ويرضاه على ما تشتهيه النفس وتهواه فإذا تمكنت المحبة في القلب وامتلأ القلب منها أخرجت من القلب محبة
كل ما يكرهه الله فلم يبق في القلب سوى محبة الله ومحبة ما يحبه فلم تنبعث الجوارح إلا إلى الطاعات التي تقتضي التقرب إلى القربات
النفس حينئذ مطمئنة وإلى هذا الإشارة في الحديث الإلهي إذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها
ورجله التي يمشي بها وقد سبق ذكره وصلى الله على محمد

بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ السنة وقامع البدعة
بقية المحدثين زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي رحمه الله ورضي عنه الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على محمد خاتم النبيين و
إمام المتقين ورسول رب العالمين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين خرج الإمام أحمد من حديث معاذ
ابن جبل رضي الله عنه قال احتبس علينا النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة في صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم سريعا فثوب بالصلاة وتجوز في صلاته فلما سلم قال كما أنتم على مصافكم كما أنتم ثم أقبل علينا فقال إني سأحدثكم ما
حبسني عنكم الغداة إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال
يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أدري رب قال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أدري رب قال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى
قلت لا أدري رب فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري وتجلى لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد

الصفحة الأولى من النسخة (أ)

ومثلت مثلث نفسي بين ايديهم كما طوني على المشاهد وكلموني على حضوري غدا فراعي لحبابي في جناني :. تنام عيناك وتشكو الهوى :. لو كنت صبا لم تكن نائما . قلوب المحبين حرم تحت خيمة قبل كلما هب عليها نسيم السحر التهبت :. يذكرني من نسيم عهودكم :. فاذا دنوتم فاكاماهبت الريح :. الف اذا ما اظلم الليل اشرقت :. بقلبي من نار الغرام مصابيح :. كما جن العاشق جن العاشق لو ابصرت اهل الهوى دم غارت الانجم الطالع فهذا ينوح على ذنبه وهذا يبكي لذا ركع :. من لم يكن له مثل تقواهم لم يدر ما الذي ابكاهم ومن لم يشاهد جمال يوسف لم يدر ما الذي الم قلب يعقوب وسل السري عن حاله فانشد :. من لم يبت والحب حشو فؤاده :. لم يدر كيف تفتت الاكباد يا ابن رجال الليل ابن ابن ادهم والفضيل ذهب الابطال وبقي كل بطال يا من رضي من الزهد بالزي ومن الفقه بالاسم ومن التصوف بالصوف ومن التسبيح بالسبح ابن فضل الفضيل ابن جد الجنيد ابن سر سري ابن بشر بشر ابن همة ابن ادهم ويحك انك لم تقدر على معرفة معروف فاذهب الى ربعه وابكه :. هاتيك ربوعهم وفيها كانوا :. بانوا عنها قلبتهم ما بانوا :. نادت وفي حشاشتي نيران :. يا دار متى تحول السكان يا من كان له قلب فانقلب يا من كان له وقت مع الله فذهب قيام الليل يستوحش لك صيام النهار يسال عنك ليالي الوصال تعاتبك على انقطاعك :. تتعلم عنا بصحبة غيرنا :. واظهرتم الهجران ما كذا كان عهدنا :. اقسمتم لا تحول عن الهوى :. فقد وحيا الرب حلتم وما حلنا :. ليالي كنا تجتني من ثماركم :. فقلبي الى تلك الليالي قد حنا :. اخواني مجالس الذكر شراب المحبين وترياق المذنبين وقد علم كل اناس مشربهم مجالس الذكر ماتم الاحزان فهذا يبكي لذنب وهذا يبكي لعيوب وهذا يتاسف على فوات مطلوبه وهذا يتلهف لاعراض محبوبه وهذا ينوح بوجده وهذا ينوح على فقده :. ما ذكر عيشنا الذي قد سلف :. الا وجف القلب وكم قد وجفا :. واها لزماننا الذي قد صفا :. واسفا لفقده واسفا :. يردنا سنا واسفا كاني ارى الخلع قد خلعت على المتبولين كاني ارى الملائكة تصافح التائبين فيقال ابكي على المطرودين :. ما زلت دهر القلب متعرضا :. ولطال ما قد كان عنا معرضا :. حاسبنا دهرا فما نجد عوضا :. سوانا صرت نبكي على ما مضى :. لو كنت لازمت الوقوف ببابنا :. للبست من احساننا خلع الرضى :. لكن تركت حقوقنا وهجرتنا :. فلذاك ضاق عليك متسع الفضا

احزه والله اعلم

كلام في كلمة الاخلاص وتحقيق معناها للشيخ الامام زين الدين بن رجب

بسم الله الرحمن الرحيم خرج البخاري ومسلم في الصحيحين عن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل فقال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال يا معاذ قال لبيك رسول الله وسعديك قال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال ما من عبد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا حرمه الله على النار قال يا رسول الله الا اخبر بها الناس فيستبشروا قال اذا يتكلوا فاخبر بها معاذ عند موته تاثما وفي الصحيحين عن عتبان بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله قد حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة او ابي سعيد بالشك انهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فاصابتهم مجاعة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بنطع فبسط ثم دعا بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجي بكف ذرة ويجي الاخر بكف تمرة ويجي الاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شي يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم فاخذوا في اوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملؤه فاكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصفحة الأخيرة من النسخة (أ)

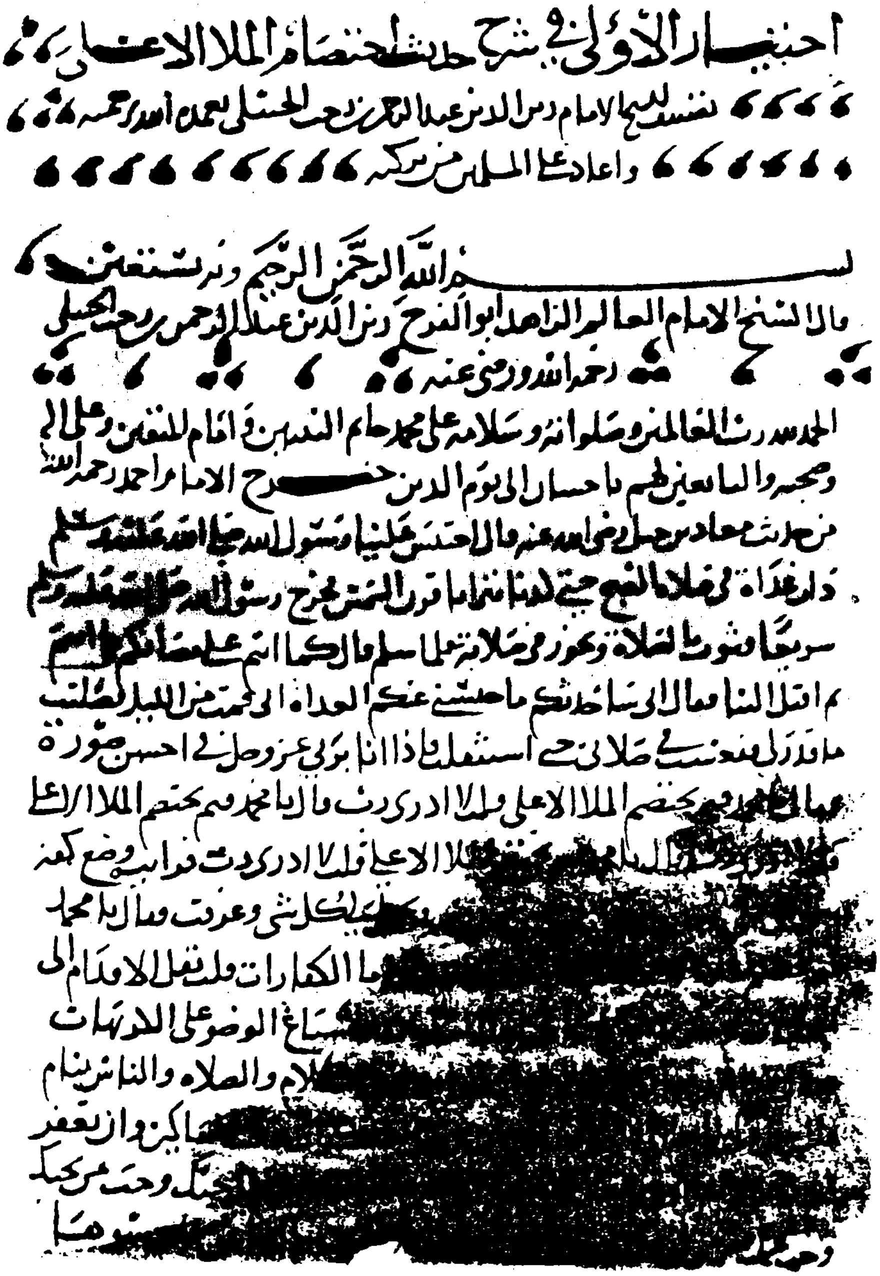
اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى

تصنيف الشيخ الإمام زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي تغمده الله برحمته

وأعاد علينا من بركته

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال الشيخ الإمام العالم الزاهد أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي
رحمه الله ورضي عنه

الحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على محمد خاتم النبيين وإمام المتقين وعلى آله
وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين خرج الإمام أحمد رحمه الله
من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
سريعاً فثوب بالصلاة وتجوز في صلاته فلما سلم قال كما أنتم على مصافكم ثم
أقبل إلينا فقال إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة إني قمت من الليل فصليت
ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة
فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أدري رب قال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى
[illegible] الملأ الأعلى قلت لا أدري رب فرأيته وضع كفه
[illegible] كل شيء وعرفت فقال يا محمد
[illegible] الكفارات قلت نقل الأقدام إلى
[illegible] إسباغ الوضوء على الكريهات
[illegible] الطعام والصلاة والناس نيام
[illegible] المساكين وأن تغفر
[illegible] حبك وحب من يحبك
وحب [illegible] ها

الصفحة الأولى من النسخة (ب)

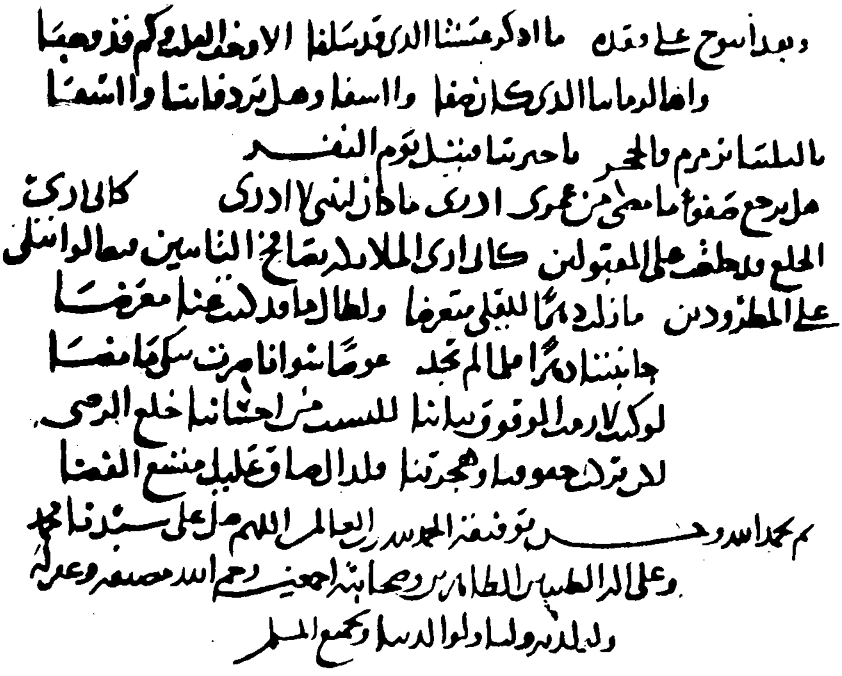

الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)

إختيــار الأولــى
لابن رجب الحنبلى

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه ثقـــتي

الحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على محمد خاتمِ النبيين، وإمامِ المتقين، [ورسولِ رب العالمين][1]، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

خرَّج الإمام أحمد [ـ رحمه الله ـ][2] من حديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: احْتُبِس عنّا[3] رسول الله ـ ﷺ ـ ذات غداة في صلاة الصبح حتى كِدنا نتراءى قرنَ الشمس، فخرجَ رسول الله ـ ﷺ ـ سريعاً فثَوَّبَ[4] بالصلاة وصلّىٰ وتجوَّزَ في صلاته، فلما سلَّم قال: «كما أنتم على مصافِّكم[5]». ثم أقبل إلينا فقال: «إن سأحدثكم ما حبسني عنكم[6] الغداة: إني قُمتُ من الليل فصلّيت ما قُدِّر لي، فنعستُ في صلاتي حتى استثقلتُ[7]، فإذا أنا بربِّي ـ عزَّ وجلَّ ـ في أحسن صورة، فقال: يا محمد! فيمَ يختصم الملأ الأعلى؟. قلتُ: لا أدري ربِّ. قال: يا محمد! فيمَ يختصم الملأ الأعلى؟. قلتُ: لا أدري ربِّ. قال: يا محمد! فيمَ يختصم الملأ الأعلى؟. قلت: لا أدري ربِّ. فرأيته وضع كفَّه بين كتِفيَّ حتى وجدتُ بَرْدَ أنامله في[8] صدري، وتجلَّى لي كلُّ شيء

(١) زيادة من (أ).
(٢) زيادة من (أ) و(ط).
(٣) وقع في (أ) و(ب): «علينا» وهو تحريف.
(٤) التثويب: إقامة الصلاة. (النهاية: ١/٢٢٦).
(٥) في (أ) و(ب) زيادة «كما أنتم»، ولم أرها في كتب الحديث.
(٦) في (ط): «عندكم» وهو تحريف.
(٧) كذا في الأصول وجامع الترمذي وتوحيد ابن خزيمة، ووقع في المسند «استيقظت»، وهو تحريف.
(٨) في (أ) و(ب) والمسند: «بين».

وعـرفتُ، فقـال: يـا محمـد! فيمَ يختصم المـلأ الأعـلى؟. قلت: في الكفّـارات والدرجات[٩]. قال: ومَا الكفّارات؟. قلتُ: نقلُ الأقـدام إلى الجُمُعات[١٠]، والجلوسُ في المساجد بعد الصلوات، وإسباغُ الـوضوء عـلى الكريهـات. فقال: وما الدرجات؟. قلتُ: اطعامُ الطعام، ولينُ الكلام، والصـلاة والناس نيـام. قـال: سَلْ. قلت: اللهم إني أسـألُكَ فعـلَ الخيرات، وتـركَ المنكرات، وحُبَّ المساكين، وأنْ تَغْفِـرَ لي وتَرْحَمَني، وإذا أردت فتنـةً في قوم فتـوفَّني غيرَ مفتـون، وأسألك حُبَّك وحُبَّ من يُحِبُّكَ وحُبَّ عمل يقرِّبني إلى حبِّكَ». وقال رسول الله - ﷺ -: «إنها حَقٌّ، فادرسوها وتعلَّموها»[١١].

---

(٩) سقطت من (أ) و(ب) والمسند.

(١٠) في (أ): «الجماعات». والمثبت من الأصول.

(١١) روى هذا الحديث عن جماعة الصحابة، وهم:

١ - معاذ بن جبل:

أخرج حديثه أحمد (٥/٢٤٣) والترمذي (٣٢٣٥) وابن خزيمة في التـوحيد (ص ٢١٨ - ٢١٩) والدارقطني في الرؤية - كما في الإصابة (٢/٤٠٦) - من طريق جهضم بن عبد الله اليمامي عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن يخامر عنه، وإسناده صحيح، وأعله ابن خزيمة بتدليس يحيى، لكنه قد صرح بـالتحديث عنـد أحمد فانتفت شبهة تدليسه.

هكذا رواه جهضم، وخالفه موسى بن خلف العمي فذكر (أبـا عبد الـرحمن السكسكي) بدلاً من (ابن عائش)، هكذا أخرجه النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» (٧٤) والطبراني في الكبـير (٢٠/١٠٩) وابن عدي في الكـامـل (٦/٢٣٤٤) والـدارقـطني - كـما في الإصـابـة (٢/٤٠٦).

ويجمع بين هاتين الروايتين بأن لأبي سـلام في هذا الحديث شيخين، أو بترجيح رواية جهضم على رواية موسى، لأن الأول لم يضعفه أحد بخلاف الثـاني فقد ضعفــه ابن معين في رواية، وقـال أبو داود والـدارقطني: ليس بـالقوي. وقـال ابن حبـان: أكـثر المنـاكـير. (التهـذيب: ١٠/٣٤١ - ٣٤٢).

وأخرجه النجاد (٧٥) وابن خزيمة (ص ٢٢٠) والحاكم (١/٥٢١) من طريق آخر عن معـاذ، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الـرحمن بن اسحاق الـواسطي وكـلاهما ضعيف، وسعيد بن سويد قال ابن خزيمة: «لست أعرفه بعدالة ولا جرح». وقال أيضـاً: «عبد الـرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ».

وقد صحح حديث معاذ الإمام أحمد كما في التهذيب (٦/٢٠٥). =

....

....

= ٢ ـ عبد الرحمن بن عائش:
أخرج حديثه الدارمي (٢/١٢٦) وابن أبي عاصم في السنة (٣٨٨، ٤٦٧) والمروزي في قيام الليل (مختصره ص ٢٢) والنجاد (٧٧، ٧٩، ٨١) والآجري في الشريعة (ص ٤٩٧) واللالكائي في أصول السنة (٩٠١، ٩٠٢) والحاكم (١/٥٢٠ ـ ٥٢١) وصححه وسكت عليه الذهبي والبيهقي في الأسماء (ص ٢٩٩) والبغوي في التفسير (٦/٦٤ ـ ٦٥) وفي شرح السنة (٤/٣٥ ـ ٣٦) وابن الجوزي في العلل (١١) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن خالد بن اللجلاج عن عبد الرحمن بن عائش، هكذا رواه الأوزاعي والوليد بن مسلم وصدقة بن خالد ومحمد بن شعيب بن شابور وكلهم ثقات، وخالفهم زهير بن محمد ـ عند أحمد (٤/٦٦ و٥/٣٧٨) وابن خزيمة (ص ٢١٦ ـ ٢١٧) ـ فرواه عن يزيد بن يزيد بن جابر عن خالد عن ابن عائش عن بعض أصحاب النبي ـ ﷺ ـ، «لكن رواية زهير بن محمد عن الشاميين ضعيفة كما قال البخاري وغيره، وهذا منها». قاله الحافظ في الإصابة (٢/٤٠٦)، ومع هذا فقد قال الهيثمي في المجمع (٧/١٧٦): «. . . ورجاله ثقات». أهـ وابن عائش في صحبته خلاف، وخالد لم يوثقه سوى ابن حبان، وقال الحافظ: صدوق فقيه.
وأخرجه ابن أبي عاصم (٤٦٨) من طريق آخر عن ابن عائش، وفيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان لين.
٣ ـ ابن عباس:
أخرج حديثه أحمد (١/٣٦٨) والترمذي (٣٢٣٣) وابن الجوزي (١٤) من طريق أيوب عن أبي قلابة عنه، ورجاله ثقات إلا أن رواية أبي قلابة عن ابن عباس مرسلة كما اختاره العلائي في «الجامع» (ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩).
وقد حسّن الحديث ابن الجوزي في العلل (١/٢١) وصححه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٥/١٦٢). وقال الترمذي: «وقد أدخلوا بين أبي قلابة وابن عباس رجلاً». ثم رواه (٣٢٣٤) وحسنه وابن أبي عاصم (٤٦٩) والنجاد (٧٦) والآجري (ص ٤٩٦) من طريق قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس، وتابع قتادة على ذلك: عباد بن منصور ـ وهو ضعيف مدلس ـ عند الآجري (ص ٤٩٦)، وخالد مرّ الكلام عليه، وفي الإصابة (٢/٤٠٦) أن الإمام أحمد خطّأ رواية قتادة هذه.
٤ ـ ثوبان:
أخرج حديثه ابن أبي عاصم (٤٧٠) والنجاد (٨٣) وابن خزيمة (ص ٢١٩) والبزار (كشف الأستار: ٢١٢٨) والبغوي في شرح السنة (٤/٣٨ ـ ٣٩) وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث صدوق كثير الغلط كما في التقريب، وأبو يزيد الشامي، قال ابن خزيمة: «لست أعرفه بعدالة ولا جرح».
وقال الهيثمي (٧/١٧٧ ـ ١٧٨): «رواه البزار من طريق أبي يحيى عن أبي أسماء الرحبي، وأبو يحيى لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات» أهـ وكذا قال الألباني في تخريج السنة أنه لا يعرف أبا يحيى هذا، وقد عرفه ابن خزيمة فقال: «هو عندي سليمان أو سليم بن عامر». وعرفه أيضاً البغوي =

= فقال: «هو سليم بن عامر الخبائري». أهـ وهو ثقة معروف من رجال التهذيب (٤/١٦٦).

٥ - ابن عمر:

أخرج حديثه البزار (الكشف: ٢١٢٩)، وقال الهيثمي (٧/١٧٨): «فيه سعيد بن سنان، وهو ضعيف، وقد وثقه بعضهم، ولم يُلتفت إليه في ذلك». أهـ قلت: هو متروك متهم.

٦ - أبو أمامة:

أخرج حديثه ابن أبي عاصم (٣٨٩، ٤٦٦) والنجاد (٧٨) والطبراني في الكبير (٨/٣٤٩)، وعزاه البوصيري في الإتحاف (١ق ٣٧/أ) لأبي يعلى، وقال: «وفي سنده ليث بن أبي سليم والجمهور على تضعيفه». أهـ وقال الهيثمي (٧/١٧٩): «وفيه ليث بن أبي سليم وهو حسن الحديث على ضعفه، وبقية رجاله ثقات».

٧ - جابر بن سمرة:

أخرج حديثه ابن أبي عاصم (٤٦٥) بسند لا بأس به، فيه سماك بن حرب وفي حفظه لين، وليس الحديث من روايته عن عكرمة فإنها مضطربة.

٨ - أبو رافع.

أخرج حديثه الطبراني في الكبير (١/٢٩٦)، وقال الهيثمي (١/٢٣٧): «وفيه (عبد الله بن إبراهيم بن الحسين عن أبيه) ولم أر من ترجمها».

٩ - أبو هريرة:

أخرج حديثه النجاد (٨٢) والطبراني في السنة وابن مردوية - كما في الدر المنثور (٥/٣٢٠) - وفيه عبيد الله بن أبي حميد الهذلي متروك الحديث كما في التقريب.

١٠ - أنس:

أخرج حديثه ابن حبان في المجروحين (٣/١٣٥) والنجاد (٧٩) وأبو بكر في الزيادات والطبراني في السنة والدارقطني في الرؤية - كما في الإصابة (٢/٤٠٦)، وقال الحافظ: «ويوسف - يعني: ابن عطية - متروك».

١١ - عدي بن حاتم:

أخرج حديثه ابن مردويه - كما في الدر (٥/٣٢٠) - ولم أقف على سنده.

١٢ - أبو عبيدة بن الجراح:

أخرج حديثه الخطيب في التاريخ (٨/١٥١ - ١٥٢) - ومن طريقه ابن الجوزي (١٠) - من طريقين عنه، وأحدهما لا بأس به، والله أعلم.

واعلم أن رؤية النبي - ﷺ - في هذا الحديث لربِّه - جلّ ذكره - هي رؤية منام بالفؤاد كما دلَّت روايات الحديث، وقد وقع في رؤيته - ﷺ - لربِّه في الدنيا خلاف لا يتسع المقام لبيانه فراجع: الشفا (١/١٩٥ - ٢٠٢) للقاضي عياض، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٢١٣) ولوامع الأنوار (٢/٢٥٠ - ٢٥٦).

وخرّجه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح»[١١]، قال: وسألت محمد بن اسماعيل البخاري عن هذا، فقال: «هذا حديث حسن صحيح».

قلت: وفي إسناده اختلاف، وله طرق متعددة، وفي بعضها زيادة و[في بعضها][١٢] نقصان، وقد ذكرت عامة أسانيده وبعض ألفاظه المختلفة في كتاب[١٣] شرح الترمذي.

وفي بعض ألفاظه عند الإمام أحمد والترمذي أيضاً: «المشي على الأقدام إلى الجماعات» بدل «الجُمُعات»، وفيه أيضاً عندهما بعد ذكر الكفّارات زيادة: «ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه.»، وفيه أيضاً عندهما: «والدرجات: إفشاء السلام...» بدل «لين الكلام».

وفي بعض رواياته: «... فعلمت ما في السماء والأرض». ثم تلى: ﴿**وكذلك نُريَ ابراهيمَ ملكوتَ السموات والأرض وليكونَ من المُوقِنينَ**﴾ [الأنعام: ٧٥]. وفي رواية أخرى: «... فتجلّى لي ما بين السماء والأرض.»، وفي رواية: ... «ما بين المشرق والمغرب[١٤]».

وفي بعضها زيادةٌ في الدعاء، وهي: «... وتتوب عليَّ.»، وفي بعضها: «إسباغ الوضوء في السَّبرات[١٥]»، وفي بعضها: «وقال: يا محمد! إذا صلّيتَ فقلْ: اللهم إني أسألك فعلَ الخيرات..» فذكره.

والمقصودُ هنا: شرحُ الحديث وما يُستنبط منه من المعارفِ والأحكام وغيرِ ذلك.

---

(١١) في الأصل و(أ) و(ب): «حديث صحيح». والمثبت من (ط) وجامع الترمذي وتحفة الأشراف (٨/٤١٥) والنكت الظراف.

(١٢) زيادة من (أ) و(ط).

(١٣) في (ط): «كتابي».

(١٤) سقطت «المغرب» من (ط).

(١٥) جمع (سَبْرة)، وهي شدة البرد. (النهاية: ٢/٣٣٣)

ففي الحديث دلالة على أن النبي - ﷺ - لم يكن من عادته تأخير صلاة الصبح إلى قريب[16] طلوع الشمس، وإنما كانت عادتُه التغليسَ بها[17]، وكان أحياناً يُسفرُ بها عندَ انتشار الضوء على وجهِ الأرض، وأما تأخيرُها إلى قريبِ طلوع الشمس فلم يكن من عادته، ولهذا اعتذرَ لهم عنه في هذا الحديث.

وقد قيل: إن تأخيرَها إلى هذا الإسفارِ الفاحش لا يجوز لغير عذر، وأنه وقت ضرورة كتأخير العصر إلى بعد اصفرار الشمس، وهو قول القاضي[18] من أصحابنا في بعض كُتُبه، وقد أومأ إليه الإمامُ أحمد، وقال: «هذه صلاةُ مُفرِّط، إنما الإسفارُ أن ينتشرَ الضوءُ على الأرض[19]» [20].

وفي الحديث: دلالةٌ على أنّ من أخَّر الصلاةَ إلى آخر الوقت لعذرٍ أو غيره وخاف خروج الوقت في الصلاة إنْ طوَّلها أن يخفِّفها حتى يدركَها كلَّها في الوقت.

وأما قول أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - لما طوّل في صلاة الفجر[21] [و][22] قرأ بالبقرة فقيل له: كادت الشمس أن تطْلُعَ! فقال: «لو طلعَتْ لم

---

(١٦) في (أ) و(ب): «قرب»

(١٧) في صحيح البخاري (٢/٤٧) ومسلم (١/٤٤٦ - ٤٤٧) عن جابر أن النبي - ﷺ - كان يصلي الصبح بغَلَس.
والغلس: هو ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. (النهاية: ٣/٣٧٧)

(١٨) إذا أُطلق (القاضي) في كتب الحنابلة فالمراد به الإمام محمد بن الحسين الفراء المشهور بأبي يعلى المتوفى سنة ٤٥٨.

(١٩) في (أ): «وجه الأرض».

(٢٠) في مسائل ابن هانىء (١/٣٩ - ٤٠): «خرجت مع أبي عبد الله من المسجد بعد صلاة الفجر وكان محمد بن محرز يقيم الصلاة، قلت لأبي عبد الله: هذه الصلاة مثل حديث رافع بن خديج في الإسفار؟ قال: لا، هذه صلاة مُفرِّط، إنما حديث رافع في الإسفار أنه يرى ضوء الفجر على الحيطان».

(٢١) في (أ): «الصبح».

(٢٢) زيادة من النسخ الأخرى.

تجدنا غافلين.»(٢٣)، فإن أبا بكر [- رضي الله عنه -](٢٤) لم يتعمد التأخيرَ إلى طلوع الشمس ولا أن يمُدَّها ويُطيلَها حتى تطلع الشمس لأنه دخل فيها بغَلَس، وأطال القراءة وربَّما كان قد استغرق في تلاوته فلو طلعت الشمس حينئذ لم يضرُّه لأنه لم يكن متعمداً لذلك. وهذا يدلّ على أنه كان يرى صحةَ الصلاة لمن طلعت عليه الشمس وهو في صلاته كما أمر النبي - ﷺ - من طلعت عليه الشمس(٢٥) - وقد صلى ركعة من الفجر - أن يضيفَ إليها أخرى(٢٦).

وفي حديث معاذ(٢٧): دليلٌ على أنّ من رأى رؤيا تسرُّه فإنه يقصُّها على أصحابِه وإخوانه المحبين له، ولا سيّما إن تضمّنت رؤياهُ بِشارةً لهم، وتعليماً لما ينفعهم، وقد كان النبي - ﷺ - إذا صلى الفجر يقول لأصحابه: «من رأى منكم الليلةَ رؤيا؟»(٢٨).

وفيه أيضاً: أن من استثقل نومه في تهجُّدِه بالليل حتى رأى رؤيا تسره فإنَّ في ذلك بشرى له، وفي مراسيل الحسن: «إذا نام العبد - وهو ساجدٌ - باهى الله به(٢٩) الملائكةَ، يقولُ: (يا ملائكتي انظروا إلى عبدي: جسده في

---

(٢٣) أخرجه البيهقي (١/ ٣٧٩) عن أنس، وفيه أنه قرأ بـ (آل عمران)، وفي إسناده عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازي لم أقف على ترجمته.
وأخرج البيهقي (١/ ٣٧٩) أيضاً نحوه عن عمر بن الخطاب، وسنده صحيح.

(٢٤) زيادة من (ب) و (ط).

(٢٥) من قوله (وهو في صلاته...) إلى هنا ساقط من (أ).

(٢٦) في صحيح البخاري (٢/ ٥٦) ومسلم (١/ ٤٢٤) عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: «من أدرك من الصبح ركعةً قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح»، وفي لفظ للبخاري (٢/ ٣٧): «...وإذا أدرك سجدةً من صلاة الصبح قبل أن تطلع الشمس فليتمَّ صلاته».
وأخرج أحمد (٢/ ٤٨٩) والبيهقي (١/ ٣٧٩) بسند صحيح عنه أيضاً مرفوعاً: «من صلى من صلاة الصبح ركعةً قبل أن تطلع الشمس ثم طلعت فليصلِّ إليها أخرى». وراجع «نصب الراية» (١/ ٢٢٨ - ٢٢٩).

(٢٧) في (ب) زيادة: (رضي الله عنه).

(٢٨) أخرجه البخاري (٣/ ٢٥١) ومسلم (٤/ ١٧٨١) من حديث سمرة بن جندب.

(٢٩) سقطت من (ط).

طاعتي وروحه عندي). »[٣٠]

وفيه: دلالةٌ على شرفِ النبي - ﷺ - وتفضيلهِ بتعليمه ما في السموات والأرض، وتجلّي ذلك له مما تختصم فيه الملائكة في السماء وغير ذلك، كما أُريَ ابراهيمُ ملكوتَ السموات [والأرض][٣١]، وقد وردَ في غير حديثٍ مرفوعاً وموقوفاً أنه - ﷺ - أُعطي علمَ كلِّ شيء خلا مفاتيحَ الغَيب الخمس التي اختصَّ الله - عز وجل - بعلمِها، وهي المذكورة في قوله - عز وجل -: ﴿ إن الله عندَه علمُ الساعةِ ويُنزِّلُ الغيثَ ويعلمُ ما في الأرحامِ وما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غداً وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموتُ إن الله عليمٌ خبيرٌ ﴾[٣٢] [لقمان: ٣٤].

وأما وصف النبي - ﷺ - لربه - عز وجل - بما وصفه به فكلُّ ما وصف النبي - ﷺ - [به][٣٣] ربه - عز وجل - فهو حقٌّ وصدقٌ يجب الإيمان والتصديقُ

(٣٠) أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد ص ٢٨٠ بنحوه عن الحسن من كلامه ولم يرفعه، وإسناده صحيح.

(٣١) زيادة من (أ) و(ب) وهي موافقة للآية: (وكذلك نُري إبراهيم ملكوتَ السمواتِ والأرضِ) [الأنعام: ٧٥].

(٣٢) اقتصرت (أ) و(ب) على ذكر طرف الآية.

أما المرفوع فقد أخرجه أحمد (٢/ ٨٥ - ٨٦) - ومن طريقه الطبراني في الكبير (١٢/ ٣٦٠ - ٣٦١) عن ابن عمر بلفظ: «أُوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس: (إن الله عنده علم الساعة..) الآية.

وإسناده صحيح على شرط الشيخين، ولا أدري ما وجه إيراد الشيخ الألباني لهذا الحديث في كتابه «ضعيف الجامع» (٢/ ٢٢٩) وحكمه بضعفه!

وأما الموقوف فقد جاء عن ابن مسعود وابن عمر أيضاً، فقد أخرج الطيالسي (٣٨٥) وأحمد (١/ ٣٨٦، ٤٣٨، ٤٤٥) وابن جرير في تفسيره (٢١/ ٥٦) من طريق عبد الله بن سلمة عن ابن مسعود قال: أوتي نبيكم - ﷺ - مفاتيح كل شيء غير الخمس: (إن الله عنده...) الآية.

وابن سلمة صدوق تغيّر حفظه كما في التقريب، وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٥٤): «هذا إسناد حسن على شرط السنن ولم يخرِّجوه». أهـ وقال الهيثمي (٨/ ٢٦٣): «رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح».

وأخرج الطيالسي (١٨٠٩) عن ابن عمر نحوه، وسنده صحيح.

(٣٣) زيادة من (أ) و(ب)، ووقعت في (ط) بعد (عزّ وجلّ).

به كما وصف الله ـ عز وجل ـ به نفسه مع نفي التمثيل عنه ، ومن أشكل عليه فهمُ شيءٍ من ذلك واشتبه عليه فليقل كما مدح الله تعالى به الراسخين في العلم وأخبر عنهم أنه يقولون عند المتشابه : ﴿ آمنّا به كُلٌّ من عند ربِّنا ﴾ [آل عمران : ٧] وكما قال النبي ـ ﷺ ـ في القرآن : « وما جهلتهم منه فكلوه إلى عالمه »(٣٤) . خرّجه الإمام أحمد والنسائي وغيرهما ، ولا يتكلّف ما لا علمَ له به فإنه يُخشى عليه من ذلك الهَلَكَةُ .(٣٥)

(٣٤) قطعة من حديث أخرجه عبد الرزاق (١١/ ٢١٦ ـ ٢١٧) وأحمد (٢/ ١٨١، ١٨٥) والبخاري في خلق أفعال العباد (ص ٦٣) والآجري في الشريعة (ص ٦٧ ـ ٦٨) والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٦٠) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وسنده حسن.

(٣٥) اعلم ـ علَّمني الله وإياك ـ أن آيات الصفات لا تعتبر من المتشابه إلا من جهة كيفية الصفة فإنه لا يعلمها إلا الله (ولا يحيطون به علماً) [طه: ١١٠] قال شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى: ١٧/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤): «وكذلك ما أخبر به الربُّ عن نفسه مثلَ استوائه على عرشه وسمعه وبصره وكلامه وغير ذلك، فإن كيفيات ذلك لا يعلمها إلا الله، كما قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس. وسائر أهل العلم تلقوا هذا الكلام عنهما بالقبول لما قيل: (الرحمن على العرش استوى) [طه: ٥]: كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. هذا لفظ مالك، فأخبر أن الاستواء معلوم ـ وهذا تفسير اللفظ ـ، وأخبر أن الكيف مجهول ـ وهذا هو الكيفية التي استأثر الله بعلمها.

وكذلك سائر السلف كابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما يبينون أن العباد لا يعلمون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، فالكيف هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، أما نفس المعنى الذي بيّنه الله فيعلمه الناس كلٌّ على قدرَ فهمه، فإنهم يفهمون معنى السمع ومعنى البصر، وأن مفهوم هذا ليس هو مفهوم هذا، ويعرفون الفرقَ بينهما، وبين (العليم) و(القدير) وإن كانوا لا يعرفون كيفية سمعه وبصره، بل الروح التي فيهم يعرفونها من حيث الجملة، ولا يعرفون كيفيتها. كذلك يعلمون معنى الاستواء على العرش، وأنه يتضمن عُلوَّ الربِّ على عرشه، وارتفاعه عليه كما فسره بذلك السلف قبلهم، وهذا معنى معروفٌ من اللفظ لا يحتمل في اللغة غيره، كما قد بُسِطَ في موضعه، ولهذا قال مالك: الاستواء معلوم». أهـ قلت: وعلى هذا يُحمل أثرُ ابن عباس الآتي، ويخطىء من ينسب إلى السلف القولَ بالتفويض المطلق، وأنهم كانوا يقرأون آياتٍ لا يعلمون معناها ولا يفقهونها، وقد أعظم عليهم الفرية، وقد سار على هذا الزعم الخاطىء كثير من المعاصرين كالشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ في رسالته «العقائد» (ص ٦٦، ٧٦)، وأما محاولة صاحب كتيب «للدعاة فقط» (ص ١٢٩ ـ ١٣١) المتكلّفة في تأويل كلام البنا ليتفق مع مذهب السلف الحقّ فلا أرى ما يدعو للإشتغال بها، لا سيّما أن البنا ـ رحمه الله ـ ليس معصوماً، والتوفيق بين النصوص الشرعية مطلوبٌ، وكلام البنا ليس كذلك، ولا أرى ما يدفع صاحب هذا الكتيب إلى هذه التأويلات المتكلّفة إلا العاطفة المجردة التي لا قيمة لها في مجال البحث والتمحيص، وفق الله الجميع لطاعته.

سمع ابن عباس يوماً من يروي عن النبي - ﷺ - شيئاً من هذه الأحاديث فانتفض رجل استنكاراً لذلك، فقال ابن عباس: «ما فرق هؤلاء؟! يجدون رقَّةً عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه!»[٣٦] خرَّجه عبد الرزاق في كتابه عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس [- رضي الله عنهما -][٣٧].

فكلما سمع المؤمنون شيئاً من هذا الكلام قالوا: هذا ما أخبرنا الله ورسولُه ﴿ وصدقَ الله ورسولُه وما زادَهُم إلاّ إيماناً وتسليماً ﴾[الأحزاب: ٢٢].

وفيه دلالةٌ على أنَّ الملأ الأعلى - وهم الملائكة أو المقرَّبون منهم - يختصمون فيما بينهم، ويتراجعون القولَ في الأعمال التي تُقرِّب بني آدم إلى الله - عز وجل - وتُكفِّرُ بها عنهم خطاياهم، وقد أخبر الله عنهم بأنهم يستغفرون للذين آمنوا ويدعون لهم[٣٨].

وفي الحديث الصحيح: « إن الله إذا أحبَّ عبداً نادى: (يا جبريل[٣٩] إني أُحبُّ فلاناً فأَحِبَّه)، فيحبُّه جبريل ثم يُنادي في السماء: إنّ الله يُحبُّ فلاناً فأحِبُّوه. فيُحِبُّه أهل السماء، ثم يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرض».[٤٠]

---

(٣٦) أخرجه ابن ابي عاصم في السنه (٤٨٥) بسند صحيح.
قوله (ما فرق هؤلاء) يحتمل وجهين:
أحدهما: أن تكون (ما) استفهامية إنكارية و(فَرَق) بفتح الراء.
فالمعنى: ما الذي أفزع هؤلاء من أحاديث الصفات وجعلهم يستنكرونها؟!.
والآخر: أن تكون (ما) نافية، و(فرَّق) بتشديد الراء، فالمعنى: ما فرَّق هؤلاء بين الحق والباطل.
(باختصار من «تيسير العزيز الحميد» ص ٥٧٨ - ٥٧٩).

(٣٧) زيادة من (ط).

(٣٨) قال تعالى: ﴿الذين يحملون العرشَ ومَنْ حَولَهُ يُسبِّحون بحمد ربِّهم ويؤمنون به ويستغفرون للذي آمنوا ربَّنا وسِعتَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا واتَّبعوا سبيلك وقِهِمْ عذابَ الجحيم﴾ [غافر: ٧] وانظر الآيتين بعد هذه الآية.

(٣٩) سقط من (ط): (يا جبريل).

(٤٠) أخرجه البخاري (١٠/٤٦١) ومسلم (٤/٢٠٣٠) عن أبي هريرة.

وقـال أبـو هـريـرة [ـ رضي الله عنـه ـ][41]: «إذا مـات ابن آدم قـال الناس: ما خلَّف؟. وقالت الملائكة: ما قدَّم؟.»[42].

فالملائكةَ يسألون عن أعمالِ بني آدم ولهم اعتناءٌ بذلك واهتمامٌ به.

وبقي الكـلام عـلى المقصـود من الحـديث، وهـو: ذكـر الكفّـارات والدرجات والدعوات، ونعقد لكل واحدة منها فصلاً مفرداً.

* * *

(٤١) زيادة من (ط).

(٤٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ـ كما في الجامع (فيض ١/٤٣٧) ـ عن أبي هـريرة مـرفوعـاً، «وفيه يحيى بن سليمان الجعفي قال النسائي: ليس بثقة. وعبد الرحمن المحاربي له مناكير» قالـه المناوي.

الفصل الأول
في ذكر الكفّارات

و[هي][٤٣] إسباغ الوضوء في الكريهات، ونقلُ الأقـدام إلى الجُمُعات أو الجماعات، والجلوس في المساجد بعـد الصلوات. وسُمِّيت هذه كفّـارات لأنها تُكفِّر الخطايا والسيئات، ولذلك جاء في بعض الروايات: «من فعلَ ذلك عاش بخـير، ومات بخـير، وكان من خـطيئته كيـوم ولـدتـهُ أمـهُ». وهـذه الخصـال المذكورة الأغلب عليها تكفيرُ السيئات، ويحصلُ بها أيضاً رفعُ الدَّرجـات كما في صحيح مسلم عن أبي هريـرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «ألاَ أدُلُّكم عـلى ما يمحـو الله بـه الخطايـا، ويرفـعُ به الـدّرجات؟!». قـالوا: بـلى يا رسـول الله. قال: «إسباغُ الوضـوءِ على المكـاره، وكثرةُ الخُـطا إلى المساجـد، وانتظارُ الصـلاةِ بعد الصلاةِ، فذلكم الرِّباط، فذلكم الرِّباط»[٤٤].

وقد روي هذا المعنى عن النبي ـ ﷺ ـ من وجوه متعدّدة[٤٥]. فهذه ثلاثة أسباب تُكفَّر بها[٤٦] الذنوب، أحدهـا: الوضـوء، وقد دلَّ القـرآن على تكفـيره الـذنوب في قـوله ـ عـزّ وجـلّ ـ: **﴿يـآ أيُّهـا الـذين آمنـوا إذا قُمْتُم إلى الصـلاةِ فـاغسِلوا وُجوهَكم وأيـديَكم إلى المـرافقِ وامسحـوا بـرؤوسِكُمْ وَأرجُلَكُمْ إلى الكعبـين﴾** إلى قولـه: **﴿ما يُـريـدُ الله ليجعـلَ عليكم من حَـرَجٍ ولكن يُـريـدُ ليُطهِّرَكم وليُتِمَّ نعمتَهُ عليكُم﴾** [المائدة: ٦] فقوله تعالى: **﴿ليُطَهِّرَكم﴾** يشمـلُ

---

(٤٣) في الأصل و(ط): (هو)، والمثبت من (أ) و(ب) وهو الموافق للسياق.

(٤٤) أخرجه مسلم (١/ ٢١٩).

(٤٥) انظر ـ إن شئت ـ بعض الروايات في مجمع الزوائد (١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٨).

(٤٦) كذا في الأصل و(ب)، وفي (أ) و(ط): (يُكفِّر الله بها).

طهارةَ ظاهر البدن بالماء، وطهارةَ الباطن من الذنوب والخطايا، وإتمامُ النعمة إنما يحصل[٤٧] بمغفرة الذنوب والخطايا[٤٨] وتكفيرها، كما قال تعالى لنبيه - ﷺ -: ﴿ليغفرَ لك الله ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر ويُتِمَّ نعمتَه عليك﴾ [الفتح: ٢]، وقد استنبط هذا المعنى محمد بن كعب القرظي، ويشهد [له][٤٩] الحديث الذي خرّجه الترمذي وغيره عن معاذ أن النبي - ﷺ - سَمِع رجلاً يدعو، يقول: [اللهم إني][٥٠] أسألُك تمامَ النِّعمة. فقال له: «أتدري ما تمامُ النِّعمة؟». قال: دعوةٌ دعوت بها، أرجو بها الخيرَ. فقال النبي - ﷺ -: «إن تمامَ النِّعمة: النجاةُ من النار، ودخولُ الجنة»[٥١]. فلا تتِمُّ نعمةُ الله على عبدِهِ إلا بتكفير سيئاتِه.

وقد تكاثرت النصوص عن النبي - ﷺ - بتكفير الخطايا بالوضوء كما في صحيح مسلم عن عثمان - رضي الله عنه - أنه توضّأ ثم قال: رأيت رسول الله - ﷺ - توضأ مِثلَ وضوئي هذا ثم قال: «من توضّأ هكذا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وكانت صلاتُه ومشيُه إلى المسجدِ نافلةً»[٥٢].

وفيه أيضاً عنه عن النبي - ﷺ - قال: «من توضّأ فأحسنَ الوُضوءَ خرجت خطاياه من جسده حتى تخرجَ من تحتِ أظفارِه»[٥٣].

---

(٤٧) في الأصل (تحصل) والمثبت من النسخ الأخرى.

(٤٨) اقتصرت (أ) و(ب) على (الخطايا) و(ط) على (الذنوب).

(٤٩) زيادة من النسخ الأخرى.

(٥٠) زيادة من (أ) و(ط) وكتب الحديث.

(٥١) أخرجه أحمد (٥/٢٣١، ٢٣٥) والبخاري في الأدب (٧٢٥) والترمذي (٣٥٢٧) وحسنه والطبراني في الكبير (٢٠/٥٥ - ٥٦) وأبو نعيم في الحلية (٦/٢٠٤) والخطيب في التاريخ (٣/١٢٦ - ١٢٧) عن معاذ، وفيه أبو الورد بن ثمامة، قال ابن سعد: «كان معروفاً قليل الحديث». ولم يرو عنه سوى اثنين (التهذيب: ١٢/٢٧١ - ٢٧٢).
وقال الذهبي في الكاشف (٣/٣٨٧): «شيخ». أهـ وقال الحافظ في التقريب: «مقبول» أي عند المتابعة والإفلينّ.

(٥٢) أخرجه مسلم (١/٢٠٧).

(٥٣) أخرجه مسلم (١/٢١٦).

وفيه أيضاً عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: «إذا توضَّأ العبد المسلم - أو المؤمن - فغسل وجهه خرج من وجهه كلُّ خطيئةٍ نَظَرَ إليها بعينيه مع الماءِ - أو مع آخر قَطْرِ الماءِ -، فإذا غسلَ يديه خرجَ من يديه كلُّ خطيئةٍ [كان][٥٤] بطشتها يداه مع الماء - أو مع آخر قَطْرِ الماء -، فإذا غسل رجليه خرجت كلُّ خطيئةٍ مشتها رجلاهُ مع الماءِ - أو مع آخر قَطْرِ الماءِ - حتى يخرجَ نقيًّا من الذنوب»[٥٥]. وفيه أيضاً عن عمرو بن عَبَسَة عن النبي - ﷺ - قال: «ما منكم من[٥٦] رجل يُقَرِّبُ وَضوءه فيتمضمضُ ويستنشقُ فينتثرُ إلا خرَّتْ خطايا وجهه وفيه وخياشيمه، ثم إذا غسلَ وجهَه كما أمره الله إلا خرَّت خطايا وجهه من أطرافِ لحيته مع الماء، ثم يغسلُ يديه إلى المرفقين إلا خرَّت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسحُ رأسه إلا خرَّت خطايا رأسه من أطرافِ شعرهِ مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرَّت[٥٧] خطايا رجليه من أنامله مع الماء، فإنْ هو قَامَ فصلى فحمدَ الله وأثنى عليه ومجَّده بالذي هو له أهْلٌ وفرَّغ قلبَه لله إلا انصرفَ من خطيئته كهيئتِه يومَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[٥٨].

وفي الموطأ ومسند الإمام أحمد وسنن النسائي وابن ماجة عن الصُّنَابِحي عن النبي - ﷺ - [قال][٥٩]: «إذا توضَّأَ العبدُ المؤمنُ فمضمضَ خرجت الخطايا من فِيه، فإذا استنثرَ[٦٠] خرجت الخطايا من أنفِهِ، فإذا غسَلَ وجهَهُ خرجت الخطايا من وجهِه حتى تخرجَ من تحت أشفار[٦١] عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرجَ من تحتِ أظفارِ يديه، فإذا مسحَ برأسه خرجت الخطايا من رأسِه حتى تخرجَ من أُذُنيه، فإذا غسلَ رجليه خرجت

(٥٤) زيادة من (أ) و(ب) وصحيح مسلم.
(٥٥) أخرجه مسلم (١/٢١٥).
(٥٦) ليست عند مسلم.
(٥٧) وقع في الأصول (خرجت) بدلاً من (خرت) في كل الحديث، والتصحيح من مسلم.
(٥٨) أخرجه مسلم (١/٥٧٠ - ٥٧١) وهو قطعة من حديث طويل.
(٥٩) زيادة من الأصول الأخرى.
(٦٠) في (ط): «استنشق» وهو خطأ.
(٦١) جمع (شُفْر) وهو حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر. (النهاية: ٢/٤٨٤).

الخطايا من رجليه حتى تخرجَ من تحتِ أظفارِ رجليه، ثم كـان مشيُه إلى المسجـدِ وصلاتُه نافلةً [له][٦٢]»[٦٣].

وفي المسنـد عن أبي أمامـة عن النبيِ - ﷺ - قال: «مـا من مسلم يتوضـأ فيغسل يديـه ويُمَضْمِضُ فاه ويتـوضأ كـما أمِر إلا حطَّ الله عنـه [ما أصـاب][٦٤] يومئذٍ: ما نطق به فمه، وما مسَّ بيده، وما مشى إليه، حتى إن الخطايا تَحَادَرُ من أطـرافه، ثم هـو إذا[٦٥] مشى إلى المسجد فـرِجْلٌ تكتبُ حسنـةً، وأخرى تمحـو سيئةً»[٦٦].

وفيه أيضاً عن النبي -ﷺ- قال: «أيُّما رجلٍ قامَ إلى وَضوئه يريد الصـلاة ثم غسلَ كفيّة، نزلت خطيئتهُ من كفيّه مع أول قطرةٍ، فـإذا مضمضَ واستنشقَ واستنثرَ نزلت خطيئتُه من لسانِه وشفتيه مع أول قطرةٍ، فإذا غسـل وجهه نـزلت خطيئتُه من سمعِه وبصرِه مع أولِ قطرةٍ، فإذا غسلَ يديـه إلى المرفقـين ورِجليه إلى الكعبين سَلِم من كل ذنبٍ هو لَهُ، وكـان من كل خـطيئةٍ كهيئتـهِ يومَ ولـدَتْهُ أُمُّهُ، فإذا قامَ إلى الصلاة رفع الله [بها][٦٧] درجتهُ، وإن قعدَ قعدَ سالماً»[٦٨]

---

(٦٢) زيادة من كتب الحديث.

(٦٣) أخـرجـه مـالـك (١/٣١) وأحمـد (١/٣٤٩) والنسـائي (١/٧٤ - ٧٥) وابن مـاجـة (٢٨٢) والحاكم (١/١٢٩ - ١٣٠) وصححه على شرطهما والبيهقي (١/٨١) بسنـد صحيح عن عبـد الله الصنـابحي، ووقع عنـد أحمد (١/٣٤٨، ٣٤٩) «أبـو عبـد الله الصنـابحي»، ورجّحـه البخاري، وقال: «هو عبد الرحمن بن عسيلة، لم يسمع من النبي -ﷺ-» أهـ يعني أن حديثه مرسل.
وانظر بسط ذلك في التهذيب (٦/٩٠، ٢٢٩) والإصابة (٢/٣٨٤).

(٦٤) زيادة من المعجم الكبير والمجمع.

(٦٥) وقع في الأصل و(أ) و(ب): «إذا هو». والتصويب من المعجم والمجمع و(ط).

(٦٦) أخـرجه الـطبراني في الكبير (٨/٣٠٦) وفيـه لقيط أبو المشاء فيه جهـالـة. والحـديث لم أره في المسند، ولم يعزه الهيثمي في المجمع (١/٢٢٣) إلا إلى الطبراني، وقال: (وفيه لقيط أبو المشاء، روى عن أبي أمامة، وروى عنـه الجُريـري وقرة بن خـالد، وقـد ذكره ابن حبـان في الثقات، وقال: «يخطىء ويخالف») أهـ.

(٦٧) زيادة من (أ) والمسند، وفي (ب): (به) وهو تحريف.

(٦٨) أخرجه أحمـد (٥/٢٦٣) عن أبي أمامة، قال المنذري في الـترغيب (١/١٥٥): «رواه أحمـد=

وفي المعنى أحاديثُ أُخَر، وفيما ذكرناه كفاية [ولله الحمد والمنـة][٦٩]. وقد وردت النصوص أيضاً بحصولِ الثواب على الوضـوء، وهذا زيـادةٌ على تكفـيرِ السيئات به:

ففي صحيـح مسلم عن عمـرَ ـ رضي الله عنـه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قـال: «من توضأ فأحسنَ الوُضوء ثم قال: (أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأن محمـداً عبده ورسوله)، فُتِحت له أبوابُ الجنةِ الثمانيةِ، يدخلُ من أيِّها شاء»[٧٠].

وفيـه أيضاً: عن أبي هـريـرة عن النبي ـ ﷺ ـ: «تبلغُ الحِلْيَـةُ من المؤمن حيثُ يبلغُ الوُضوء»[٧١].

وفيه أيضاً: [عن أبي هـريرة][٧٢] عن النبي ـ ﷺ ـ قـال: «أنتم الغُرُّ المُحجَّلون [يومَ القيامة][٧٣] من إسباغ الوُضوء»[٧٤]

وخرّجه البخاري، ولفظُه: «إنَّ أمتي يُدْعَونَ يوم القيامـة غُرًّا مُحجَّلين من آثار الوُضوء»[٧٥].

= وغيره من طريق عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب، وقد حسنهـا الترمـذي لغير هـذا المتن، وهو اسنادٌ حسن في المتابعات». أهـ وقال الهيثمي (١/٢٢٢): «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، وفي إسناد أحمـد: (عبد الحميـد بن بهرام عن شهـر بن حوشب) واختُلف في الاحتجاج بهما، والصحيـح أنهما ثقتان لا يقـدح الكلام فيهـما». أهـ قلـت: عبد الحميـد ثقة أُخذ عليه إكثاره الروايـة عن شهر، وشهـر حسن الحديث في الشـواهد، وتقـدم لحديثـه هذا شواهد قوية، وانظر المجمع (١/٢٢٢ ـ ٢٢٦).

(٦٩) زيادة من (أ).

(٧٠) أخرجه مسلم (١/٢٠٩ ـ ٢١٠).

(٧١) أخرجه مسلم (١/٢١٩).

والحلية هنا التحجيل من أثر الوضوء، وقيل: حلية أهل الجنة، مأخوذ من قوله تعـالى ﴿وحُلُّوا أساوِرَ من فضة﴾ [الإنسان: ٢١]

(شرح مسلم للأبي: ٢/٣١).

(٧٢) زيادة من الأصول الأخرى.

(٧٣) زيادة من صحيح مسلم.

(٧٤) أخرجه مسلم (١/٢١٦).

(٧٥) أخرجه البخاري (١/٢٣٥).

والغُرَّة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد=

واعلم أنَّ حديث معاذ بن جبل في المنام إنّما فيه ذكرُ إسباغ الـوضوء عـلى الكريهات، وكذا في حديث أبي هريرة المبـدوء بذكـره في هذا الفصـل، فها هنـا أمران:

أحدهما: إسباغُ الوضوء، وهو إتمامُه وإبلاغهُ مواضِعَه الشرعيـة كالثـوب السـابغ المُغـطِّي للبدن كُلِّه، وفي مسنـد البزّار عن عثمان مرفـوعاً: «من تـوضأ فأسبغَ الوضوءَ غُفِر له ما تقدَّمَ من ذنبـه وما تـأخر»[٧٦]. وإسنـاده لا بأس بـه، وأخرجه ابن أبي عاصم من وجهٍ آخر عن عثمان.

وخـرّج النسائي وابن مـاجة من حـديث أبي مالـك الأشعـري عن النبي - ﷺ - قـال: «إسباغ الـوضوء شطر الإيمـان»[٧٧]، وخـرّجـه مسلم، ولفـظُه: «الطُّهورُ شطرُ الإيمان»[٧٨].

وثانيهما: أن يكونَ إسباغُه على الكـريهات، والمـراد أن يكونَ عـلى حالـةٍ تكره النفسُ فيها الـوضوءَ، وقـد فُسِّر بحال نـزولِ المصائب فـإن النفسَ حينئذٍ تطلبُ الجزعَ فالاشتغالُ عنه بالصـبرِ والمبادرةِ إلى الـوضوءِ والصـلاةِ من علامـةِ الإيمانِ كما قال - عزّ وجلّ -: ﴿**استعينوا بالصبر والصـلاة وإنَّها لكبيرةٌ إلا عـلى الخاشعين**﴾ [البقـرة: ٤٥] وقال تعـالى ﴿**يآ أيُّهـا الذين آمنـوا استعينوا بـالصبرِ**

= بها هنا: النور الكائن في وجوه أمة محمد - ﷺ -.
والتحجيل بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس، والمراد بـه هنا أيضـاً: النور. (فتح الباري: ١/٢٣٦).

(٧٦) أخرجهِ البزار (كشف الأستار: ٢٦٢)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب (١/١٠٣)، وقال الهيثمي (١/٢٣٧): «ورجاله موثقون، والحديث حسن إن شاء الله تعالى» أهـ وهو كـما قالا، وانظر كلام الحافظ على هذا الحديث في كتابه «معرفة الخصال» (بتحقيقي: ص ٣٦ - ٣٨).

(٧٧) أخرجه النسائي (٥/٥) وابن ماجه (٢٨٠) بسند صحيح.

(٧٨) أخرجه مسلم (١/٢٠٣).
وقـد أفرد الحـافظ المنذري - كـما ذكر في تـرغيبه (١/١٥٧) - في طرق هذا الحـديث وفوائـده وحِكَمه جزءاً.

والصلاةِ إن الله مع الصابرين﴾ [البقرة: ١٥٣]، والوضوء مِفتاحُ الصلاةِ، وقد يُطفأُ بـه حرارةُ القلبِ النـاشئةِ عن ألمِ المصـائب، كما يُؤمـرُ من غَضِب بإطفـاءِ غضبِه بالوضوء[٧٩].

وفُسِّرت الكريهات بالبرد الشديد، ويشهدُ له أنَّ في بعض روايات حديث معاذ: «. . إسباغ الوضوء على السَّبْرات»، والسَّبْـرةُ: شدة الـبرد، ولا ريبَ أنّ إسبـاغَ الوضـوءِ في شدةِ البـردِ يشقُّ على النفسِ وتتـألم به، وكـلُّ ما يؤلمُ النفسَ ويشقُّ عليهـا فإنـه كفـارةٌ للذنـوب وإن لم يكن لـلإنسـان فيـه صنعٌ ولا تَسببٌ كالمرض ونحوه كما دلت النصوص الكثيرة على ذلك.

وأما إنْ كان ناشئاً عن فعلٍ هو طـاعةٌ لله فـإنهَ يُكتبُ لصـاحبه بـه أجرٌ، وترفَع به درجاتُـه كالألم الحـاصل للمجـاهد في سبيـل الله تعالى، قـال الله ـ عزّ وجلّ ـ: **﴿ذلـك بأنَّهم لا يُصيبُهُم ظَمأٌ ولا نَصَبٌ ولا مَخْمَصةٌ في سبيل الله ولا يَطئُون مَوطِئاً يَغيظُ الكُفَّـارَ ولا ينالـون من عـدوٍّ نَيـلاً إلا كُتِبَ لهم به عمـلٌ صالحٌ إنَّ الله لا يُضِيـعُ أجرَ المحسنين﴾** [التوبـة: ١٢٠]، وكذلـك ألمُ الجوعِ والعطشِ الذي يحصلُ للصائم، فكـذا التألم بـإسباغ الـوضوء في الـبرد. ويجب الصـبرُ على الألمِ بـذلك، فـإن حصل بـه رضىً فذلـك مقام خـواصِّ العـارفـين المحبِّين، وينشأُ الرضى بذلك عن ملاحظةِ أمورٍ:

أحـدُها: تـذَكُّر فضـل الوضـوء من حطِّه للخـطايـا، ورفعـهِ للدرجـات وحصولِ الغرَّةِ والتحجيلِ به، وبلوغِ الحِليةِ في الجنة إلى حيث يبلغُ، وهـذا كما انكسر ظفرُ بعض الصالحات من عثرةٍ عثرتها فضحِكت وقالت: أنساني حـلاوةُ

---

(٧٩) يشير إلى حديث عطية السعدي مرفـوعاً: «إن الغضب من الشيـطان، وإن الشيطان خُلِق من نار، وإنما تُطفأ النار بالماء، فإذا غضِب أحدكم فليتوضأ» أخرجـه أحمد (٤/٢٢٦) والبخـاري في التـاريخ (٧/٨) وأبـو داود (٤٧٨٤) والـطبراني في الكبـير (١٧/١٦٧) والبغـوي في شرح السنـة (١٣/١٦١) والمزي في تهـذيب الكمال (٢/٩٣٠) وفيـه (عروة بن محمـد السعدي عن أبيه) وكلاهما لم يوثقه غير ابن حبان ففيهما جهالة.

ثوابِه مرارةَ وجعِهِ. وقال بعض العارفين: من لم يعرف ثواب الأعمال ثَقُلت عليه في جميعِ الأحوال.

الثاني: تذكُّر ما أعدّه الله ـ عزّ وجلّ ـ لمن عصاه من العذاب بالبرد والزَّمْهَريرِ، فإن شدَّة بردِ الدنيا يُذَكِّر بزمهريرِ جهنم، وفي الحديث الصحيح: «إن أشدَّ ما تجدون من البردِ من زمهريرِ جهنم»[٨٠]، فملاحظة هذا الألم الموعود يُهوِّن الإحساسَ بألمِ بردِ الماء كما رُويَ عن زُبَيْد[٨١] اليامي أنه قامَ ليلةً للتهجُّدِ، وكان البردُ شديداً، فلما أدخلَ يدَه في الإناء وجد شدةَ بردِه فذكر زمهرير جهنم فلم يشعر ببردِ الماء بعد ذلك، وبقيت يده في الماء حتى أصبح، فقالت له جاريته: مالك لم تصلِّ الليلةَ كما كنت تصلي؟!. فقال: إن لما وجدت شدّةَ بردِ الماء ذكرتُ زمهريرَ جهنم فما شعرت به حتى أصبحت، فلا تخبري بهذا أحداً ما دمت حيّاً.

الثالث: ملاحظةُ جلالِ من أمرَ بالوضوء، ومطالعةُ عظمتِه وكبريائه، وتذكُّرُ التهيؤ للقيامِ بين يديه ومناجاتهِ في الصلاة فذلك يهوِّن كلَّ ألمٍ ينالُ العبدَ في طلبِ مرضاته من بردِ الماء وغيره، وربّما لم يشعر بالماء بالكلية كما قال بعض العارفين: بالمعرفة هانت على العاملين العبادةُ.

قال سعيد بن عامر: بلغني أنّ إبراهيم الخليل ـ ﷺ ـ كان إذا توضأ سُمِع لعظامِه قَعْقَعةٌ. وكان عليُّ بن الحسين إذا توضأ اصفرَّ، فيُقال له: ما هذا الذي يعتريك عندَ الوضوء؟!. فيقول أتدرون بين يدي مَنْ أُريدُ أن أقومَ له؟.

وكان منصور بن زاذان إذا فرغ من وضوئه يبكي حتى يرتفعَ صوتُه، فقيل له: ما شأنُك؟!. فقال: وأيُّ شيءٍ أعظم من شأني، إني أريد أن أقومَ بين

---

(٨٠) أخرج البخاري (٢/ ١٨) ومسلم (١/ ٤٣١ ـ ٤٣٢) عن أبي هريرة مرفوعاً: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب! أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ في الشتاء، ونفَسٍ في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير».

(٨١) في الأصل (زيد) والتصويب من (أ) و(ب) وكتب الرجال.

يدي من لا تأخذه سِنَةٌ ولا نومٌ، فلعله يرضى عني. وكان عطاء السليمي[٨٢] إذا فرغ من وضوئه ارتعد وانتفض وبكى بكاءً شديداً، فقيل له في ذلك، فقال: إني أريد أن أتقدّمَ إلى أمرٍ عظيم: إني أريد أن أقوم بين يدي الله - عزّ وجلّ - .

الرابع: استحضارُ اطّلاع الله - عزّ وجلّ - على عبده في حال العمل له، وتحمُّل المشاق لأجله، فمن تيقّن أن البلاء بعين من يحبه[٨٣] هان عليه الألم كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله - عزّ وجلّ - لنبيّه - ﷺ - : ﴿ **واصبر لحُكم ربِّكَ فإنَّك بأعْيُنِنا** ﴾ [الطور: ٤٨]، وقوله تعالى لموسى وهارون - عليهما السلام - : ﴿ **لا تخافآ إنَّني مَعَكُمآ أسمعُ وأرى** ﴾ [طه: ٤٦]، وقال ﷺ : «اعبدِ الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراهُ فإنّه يراك»[٨٤]. قال أبو سليمان[٨٥]: قرأت في بعض الكتب: يقول الله - عز وجل - : «بعيني ما تحمَّل المتحمِّلونَ من أجلي، وكابدَ المكابِدون في طلبِ مرضاتي، فكيف بهم وقد صاروا في جواري، وتبحبحوا في رياضِ خُلدي؟ فهنالك فليُبشرْ المُصفُّونَ للهِ أعمالَهم بالمنظرِ العجيبِ من الحبيب القريب، أترونَ أنّي أضيعُ لهم عملاً؟ فكيف وأنا أجودُ على المولِّين عني، فكيف بالمُقبلين إليّ[٨٦]؟!».

فإسباغُ الوضوء في البرد - لا سيّما في الليل - يطّلعُ الله عليه، ويرضى به، ويباهي به الملائكة، فاستحضارُ ذلك يهوِّن ألمَ برد الماء، وفي المسند وصحيح ابن حبان عن عقبة بن عامر عن النبي - ﷺ - قال: «رجلان من أمتي يقوم أحدهما من الليل يعالجُ نفسَهُ إلى الطّهور وعليه عُقَدٌ فيتوضأ، فإذا وضّأ يديه

(٨٢) وقع في (ط): «السلمي» والمثبت من الأصل و(ب) وحلية الأولياء (٦/٢١٨).
(٨٣) المعنى: أن من تيقن أن الله مطلع عليه أثناء صبره على الطاعة تقرباً لله، كان ذلك من أقوى الأسباب المعينة على تحمل المشقة في سبيل ما يرضي الله - جلّ وعلا -.
(٨٤) قطعة من حديث جبريل الطويل الذي أخرجه البخاري (١/١١٤) ومسلم (١/٣٩ - ٤٠) عن أبي هريرة، ومسلم (١/٣٦ - ٣٨) عن عمر.
(٨٥) هو الداراني من كبار المتصوفة المعتدلين في تصوفهم.
(٨٦) كذا في الأصول، وفي الحلية (٩/٢٥٥): (عليّ).

انحلَّت عُقدةٌ، وإذا وضّأ وجهه انحلَّت عُقدةٌ، وإذا مسح برأسه[87] انحلّت عُقدةٌ، وإذا وضّأ رجليه انحلَّت عقدة، فيقول الربُّ - عز وجل - للذي وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي هذا يعالجُ نفسه [يسألُني][88]، ما سألني عبدي هذا فهو له . . »[89] وذكرَ بقيةَ الحديث .

وروى عطيَّة عن أبي سعيد عن النبي - ﷺ - : « إن الله يضحك إلى ثلاثة نفَرٍ: رجلٍ قامَ من جوفِ الليل فأحسنَ الطهور. . . »[90] وذكر الحديث. وكان بعض السلف له وردٌ بالليل ففترَ عنه، فهتفَ به هاتفٌ: بعين[91] الله في الليل لما يصنع خُدّامه، إذا قاموا وحثّتهم على الخدمة أحكامُه.

الخامس: الاستغراقُ في محبة من أمرَ بهذه الطاعة، وأنه يرضى بها ويحبُّها كما قال تعالى ﴿ إنَّ الله يُحبُّ التَّوابينَ ويُحبُّ المُتطهِّرينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فمن امتلأ قلبه من محبة الله - عز وجل - أحبَّ ما يُحبُّه وإنْ شقَّ على النفس وتألمت به، كما يُقال: المحبةُ تهوِّن الأثقالَ. وقال بعض السلف في مرضه: أحبُّهُ إليَّ أحبُّهُ إليه.

---

(٨٧) في الأصل و(أ) و(ط): «رأسه» والمثبت من (ب) والمسند.

(٨٨) زيادة من المسند وموارد الظمآن والترغيب (١/٤٣٦) وليست في المجمع.

(٨٩) أخرجه أحمد (٤/٢٠١) وابن حبان (١٦٨) من طريق عمرو بن الحارث عن أبي عشانة عن عقبة، وسنده صحيح.
وأخرجه أحمد (٤/١٥٩) والطبراني في الكبير (١٧/٣٠٥ - ٣٠٦) من طريق ابن لهيعة عن أبي عشانة به، وابن لهيعة صدوق مختلط، وقال الهيثمي (١/٢٢٤): «رواه أحمد والطبراني في الكبير، وله سندان عندهما رجال أحدهما ثقات».

(٩٠) أخرجه البزار (الكشف: ٧١٥) من طريق محمد بن أبي ليلى عن عطية العَوفي عن أبي سعيد، وإسناده ضعيف، محمد صدوق سيء الحفظ جداً كما في التقريب، وعطية قال الذهبي في المغني (٤١٣٩): «تابعي مشهور مجمع على ضعفه». أهـ وهو قبيح التدليس ولم يصرح بالتحديث، وشيخ البزار محمود بن بكر بن عبد الرحمن لم أقف على ترجمته.
وقال الهيثمي (٢/٢٥٦): «رواه البزار وفيه محمد بن أبي ليلي، وفيه كلام كثير لسوء حفظه لا لكذبه.»

(٩١) كذا في الأصول، وفي (ط): «ينظر».

وكما قيل:

* فما لجرح إذا أرضاكم ألم[٩٣] *

وكما قيل أيضاً:

في حُبِّكم يهونُ ما قدْ ألقى * يسعدُ بالنعيمِ مَنْ لا يشقى

من خدمَ من يحبُّ تلذّذ بشقائِه في خدمته. وقال بعضهم: القلبُ المحبُّ لله يحبُّ النصبَ[٩٤] له. وقال عبد الصمد: أوجد لهم في عَذابه عُذوبةً.

إسباغ الوضوء على المكاره من علامات المحبِّين كما في كتاب الزهد للإمام أحمد عن عطاء بن يسار قال: «قال موسى ـ عليه السلام ـ: يا ربِّ! من أهلُك الذين هم أهلُك، الذين تُظلُّهم في ظلِّ عرشك؟. قال: هم البريَّة أيديهم[٩٥]، الطاهرةُ قلوبهم، الذين يتحابُّون بجلالي، الذين إذا ذُكِرتُ ذُكِروا بي، وإذا ذُكِروا ذُكِرت بذكرهم، الذين يُسبِغون الوُضوء في المكاره، ويُنيبون إلى ذكري كما تنيبُ النسور إلى أوكارِها، ويكْلَفون بحُبِّي كما يكْلَف الصبيُّ بحُبِّ الناس، ويغضَبُون لمحارمي إذا استُحِلَّت كما يغضبُ النَّمِرُ إذا حُرِبَ[٩٦]. »[٩٧]

وقد يخرق الله العادة لبعض المحبِّين له فلا يجدُ ألَمَ برد الماء، كما كان بعضُ السلف قد دعا الله أن يهوِّنَ عليه الطهورَ في الشتاء، فكان يؤتى بالماءِ وله بخار، وربّما سُلِب بعضهم الإحساسَ في الحرِّ والبرد مطلقاً، وكان علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قد دعا له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يُذهِبَ الله

---

(٩٣) عجزُ بيتٍ للمتنبي، وصدره: (إن كانَ سرّكم ما قال حاسدُنا) (ديوانه بشرح العكبري: ٣/٣٧٠)

(٩٤) التعب.

(٩٥) كذا في الأصل و(ب) والزهد، وفي (أ) و(ط): «أبدانهم».

(٩٦) أي: إذا غضب، يقال: حَرِبَ يَحْرَبُ حَرَباً. (النهاية: ١/٣٥٨).

(٩٧) أخرجه أحمد في الزهد (ص ٧٤ ـ ٧٥) عن عطاء، وفيه هشام بن سعد المدني ليّنه الجمهور. (التهذيب: ١١/٣٩ ـ ٤١) وقال الذهبي في «كاشفه» (٣/٢٢٢): «حسن الحديث». والخبر من الإسرائيليات التي لم نؤمر بتصديقها ولا تكذيبها.

عنه الحرّ والبردَ، فكان يلبسُ في الصيف لباسَ الشتاء، وفي الشتاءِ لباسَ الصيف[٩٨]، وقال النبي ـ ﷺ ـ فيه: «إنه يحبُّ الله ورسولَه، ويحبُّه الله ورسولُه»[٩٩].

ورأى أبو سليمان الداراني في طريق الحج في شِدة بردِ الشتاء شيخاً عليه أخلاقٌ رثَّةٌ وهو يرشُحُ عَرقاً، فسأله عن حاله، فقال: إنما الحرُّ والبرد خَلْقانِ لله ـ عز وجل ـ ، فإن أمرهما أن يغشياني أصاباني، وإن أمرهما أن يتركاني تركاني. وقال: أنا في هذه البريَّة منذ ثلاثين سنة يُلبسُني في البرد فيحاً من محبته، ويُلبسُني في الصيفِ برداً من محبته[١٠٠]. وقيل لآخر ـ وعليه خرقتان في برد شديد ـ : لو استترت في موضع يُكِنُّك من البرد! . . فأنشد:

ويُحسِنُ ظني أنني في فنائِه * وهل أحدٌ في كُنِّه يجِدُ البردا؟!

(السبب الثاني من مُكفِّرات الذنوب): المشيُ على الأقدام إلى الجماعات وإلى الجُمُعات، ولا سيّما إن توضأ الرجلُ في بيتِه ثم خرجَ إلى المسجد لا يُريد بخروجِه إلا الصلاةَ فيه كما في الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «صلاة الرجل في الجماعة تَضْعُفُ على صلاتِه في بيته وفي سوقه خمسةً وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسنَ الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يُخرِجُه إلا الصلاةُ لم يخطُ خُطوةً إلا رُفعت له بها درجةٌ، وحُطَّ عنه بها خطيئةٌ، فإذا صلى لم تزلِ الملائكةُ تُصلِّي عليه مادامَ في مصلاه: (اللهم صلِّ

---

(٩٨) أخرجه ابن ماجة (١١٧) من حديث علي بلفظ: «اللهم أذهب عنه الحرّ والبرد». وفيه قصة، قال البوصيري في الزوائد (١ / ٢٠): «هذا إسناد ضعيف، ابن أبي ليلى ـ شيخ وكيع ـ هو محمد، وهو ضعيف الحفظ لا يُحتجُّ بما ينفرد به». أهـ.
ورواه الطبراني في الأوسط (مجمع البحرين: ق ٣٣٩) من طريق آخر عنه، وفيه أبو إسحاق السبيعي مختلط مدلس، وفيه راويان لم أهتد إلى ترجمتيهما.
وقال الهيثمي (١٢٢/٩): «إسناده حسن». أهـ.

(٩٩) أخرجه البخاري (٤٧٦/٧) ومسلم (١٨٧٢/٤) عن سهل بن سعد، وأخرجه البخاري (٧ / ٧٠) ومسلم (١٨٧٢/٤ ـ ١٨٧٣) عن سلمة بن الأكوع، وأخرجه مسلم (١٨٧١/٤ ـ ١٨٧٢) عن أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص.

(١٠٠) هذه الحكاية وأمثالها مما يُورده المصنف في صحتها نظر كثير، لا سيما أننا نشمُّ منها رائحة

عليه، اللهم ارحمه.)، ولا يزالُ أحدُكم في صلاةٍ ما انتظر الصلاة»[١٠١].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: «من تطهَّر في بيته ثم مشى إلى بيتٍ من بيوتِ الله ليقضيَ فريضةً من فرائضِ الله، كانت خُطوتاه: إحداهما تحطُّ خطيئةً، والأخرى ترفعُ درجةً»[١٠٢].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: «كلُّ خطوةٍ تمشيها إلى الصلاة صدقةٌ»[١٠٣].

وفي المسند وصحيح ابن حبان عن عقبة بن عامر عن النبي - ﷺ - قال: «إذا تطهَّر الرجلُ ثم أتى المسجدَ يرعى الصلاة[١٠٤] كَتَبَ له كاتباه بكلِّ خطوةٍ يخطُوها إلى المسجدِ عشرَ حسناتٍ»[١٠٥].

وفيهما أيضاً عن عبد الله بن عمرو عن النبي - ﷺ - قال: «مَنْ راحَ إلى مسجدِ جماعةٍ فخُطوتاه: خطوةٌ تمحو سيئةً، وخطوةٌ تكتب حسنةً ذاهباً وراجعاً»[١٠٦].

= الدعوة إلى التواكل والعجز، تلك الدعوة التي انتشرت بين أبناء الأمة الإسلامية بفضل جهود «مخلصي» المتصوفة، جازاهم الله بما يستحقون.

(١٠١) أخرجه البخاري (٢/١٣١) - واللفظ له - ومسلم (١/٤٥٩) عن أبي هريرة.

(١٠٢) أخرجه مسلم (١/٤٦٢) عن أبي هريرة.

(١٠٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٦/٨٥) ومسلم (٢/٦٩٩) عن أبي هريرة.

(١٠٤) أي: يتحيَّن وقتها.

(١٠٥) أخرجه ابن خزيمة (١٤٩٢) والطبراني في الكبير (١٧/٣٠١) وابن حبان (٤٢١) والحاكم (١/٢١١) وصححه على شرط مسلم وسكت عليه الذهبي، والبيهقي (٣/٦٣) من طريق عمرو بن الحارث عن أبي عشّانة عن عقبة، وسنده صحيح، وقال الذهبي في المهذب (٣/٣٥): «قلت: إسناده صالح».
وأخرجه أحمد (٤/١٥٧) وأبو يعلى (١٧٤٧) والطبراني في الكبير (١٧/٣٠٥) والبغوي في شرح السنة (٢/٣٥٨ - ٣٥٩) من طريق ابن لهيعة - وقد اختلط - عن أبي عشّانة به.
قال المنذري في الترغيب (١/٢٠٧) عن الحديث: «بعض طرقه صحيح». أهـ وقال الهيثمي (٢/٢٩): «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط، وفي بعض طرقه ابن لهيعة، وبعضها صحيح، وصححه الحاكم». أهـ.

(١٠٦) أخرجه ابن حبان (٤١٩) من طريق ابن وهب عن حيي بن عبد الله المعافري عن أبي عبد=

وفي سُنن أبي داود عن أبي أمامة عن النبي - ﷺ - قال: «مَنْ خرجَ من بيته متطهِّراً إلى صلاةٍ مكتوبةٍ فأجرُه كأجرِ الحاجِّ المُحرِمِ»[١٠٧].

وفيه أيضاً عن رجل من الأنصار عن النبي - ﷺ - قال: «مَنْ توضأ فأحسنَ الوضوء ثم خرج إلى الصلاة، لم يرفعْ قدمَه اليُمنى إلا كتبَ الله له بها حسنةً، ولم يضعْ قدمَه اليُسرى إلا حطَّ الله عنه بها خطيئةً، فليقْرُبْ أو ليبْعُدْ، فإن أتى المسجدَ فصلى في جماعةٍ غُفِر له»[١٠٨].

والأحاديث في [هذا][١٠٩] المعنى كثيرةٌ جداً.

فالمشي إلى الجُمُعات له مزيدُ فضلٍ، لا سيّما إن كان بعد الاغتسال، كما في السنن عن أوس بن أوس - عن النبي - ﷺ - قال: «من غسّل يوم الجمعة

= الرحمن الحبلي عن عبد الله، وسنده صالح، حيي قال ابن معين وابن عدي: لا بأس به. وقال أحمد: أحاديثه مناكير. وقال البخاري: فيه نظر. وقال النسائي: ليس بالقوي. ووثقه ابن حبان. (التهذيب: ٣/٧٢).

وقال الذهبي في الديوان (١١٩٥): «حسن الحديث». أهـ وقال الحافظ: «صدوق يهم». أهـ

وأخرجه أحمد (٢/١٧٢) من طريق ابن لهيعة عن حيي به.

وقال المنذري (١/٢٠٧): «رواه أحمد بإسناد حسن والطبراني وابن حبان في صحيحه» أهـ

وقال الهيثمي (٢/٢٩): «رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال الطبراني رجال الصحيح، ورجال الإمام أحمد فيهم ابن لهيعة». أهـ.

(١٠٧) أخرجه أحمد (٥/٢٦٨) وأبو داود (٥٥٨) والطبراني (٨/٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٣ - ٢١٤، ٢١٧) والبيهقي (٣/٦٣) والبغوي في شرح السنة (٢/٣٥٧) من طريق القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة، وإسناده حسن للخلاف المعروف في القاسم.

وأخرجه الطبراني (٨/١٤٩ - ١٥٠) من طريق مكحول عن أبي أمامة، ومكحول لم يسمع منه. انظر جامع التحصيل (ص ٣٥٢).

(١٠٨) أخرجه أبو داود (٥٦٣) - ومن طريقه البيهقي (٣/٦٩) - والمزي في تهذيب الكمال (٣/١٣٥٠) عن الأنصاري، وفيه معبد بن هرمز مجهول كما في التقريب. وقال البوصيري في مختصر الاتحاف (١/٦١/أ): «رواه أبو يعلى الموصلي ورجاله ثقات، ورواه أبو داود في سننه باختصار». أهـ قلت: مضمون الحديث ثابت في الأحاديث المتقدمة.

(١٠٩) زيادة من الأصول الأخرى.

واغتسل[١١٠]، وبكّرَ وابتكـر[١١١]، ومشى ولم يـركب، ودنـا من الإمـامِ، واستمعَ ولم يلغُ، كان له بكلِّ خطوةٍ أجرُ سنةٍ: صيامُها وقيامُها»[١١٢].

وكُلَّما بَعُدَ المكانُ الـذي يُمشى منه إلى المسجـد كان المشيُ منـه[١١٣] أفضلَ لكـثرة الخُطا، وفي صحيح مسلم عن جابر قال: كانت دارُنا نائيةً عن المسجدِ، فـأردنا أن نبيـعَ بيوتَنـا فنقْرُبَ من المسجـد، فنهانـا رسول الله ـ ﷺ ـ وقـال: «إنَّ لكم بكُلِّ خُطوةٍ حسنةً»[١١٤].

وفي صحيح البخاري عن أنس أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «يا بني سلمة! ألا تحتسبـون آثـاركم؟!»[١١٥]. وفي الصحيحــين عن أبي مـوسى أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ أعظَمَ الناسِ أجراً في الصلاة: أبعَدُهم إليها ممشى فأبعَدُهم»[١١٦].

ومـع هذا فنفسُ الـدارِ القـريبـةِ من المسجـدِ أفضـلُ من الـدارِ البعيـدة [عنه][١١٧]، لكنَّ المشيَ من الدارِ البعيدة أفضلُ، ففي المسنـد عن حذيفـة عن

---

(١١٠) اختلف في تفسير هذه الجملة، فقيـل: قولـه «غسّل» أي غسـل رأسه و«اغتسـل» أي سائر جسده، وقيل «غسّل» معناه أنه أصاب أهله قبل الخروج إلى الجمعة ومنه قول العرب «فحل غُسَلَة» أي كثير الضراب، وذلك ليكـون أملك لنفسه وأحفظ في طـريقه لبصره، وقيـل إن «غسل» و«اغتسل» مترادفتان، والتكرار للتوكيد.

(١١١) قيل معنى (بكّر) أي أدرك بداية الخطبة، و(ابتكر) أي قدم الجامع مبكراً.
وقيل هما مترادفتان، والتكرار للتهـوكيد. (من معالم السنن للإمام الخطابي: ١/١٠٨).

(١١٢) أخـرجه الـطيالسي (١١١٤) وابن أبي شيبـة في المصنف (٢/٩٣) وأحمـد (٤/٨، ٩ ـ ١٠، ١٠، ١٠٤) والـدارمي (١/٣٦٣) وأبـو داود (٣٤٥، ٣٤٦) والـترمـذي (٤٩٦) وحسّنـه والنسـائي (٣/٩٥ ـ ٩٦، ٩٧) وابن ماجـة (١٠٨٧) وابن خـزيمـة (١٧٥٨، ١٧٦٧) وابن حبـان (٥٥٩) والـطبراني في الكبـير (١/١٨٣ ـ ١٨٦) والحـاكم (١/٢٨٢) وصححـه عـلى شرطهما، والبيهقي (١/٢٢٧، ٢٢٩) والبغوي (٤/٢٣٥ ـ ٢٣٦، ٢٣٦) وحسنه من طرق عن أوس، وإسنـاده صحيح، وقـال الزبـيدي في شرح الإحياء (٣/٢٤١): «سنـده جيـد» وتكلم على طرقه باختصار.

(١١٣) سقط من (ط) «المشي منه».

(١١٤) أخرجه مسلم (١/٤٦١) عن جابر، وعنده «درجة» بدلاً من «حسنة».

(١١٥) أخرجه البخاري (٢/١٣٩) عن أنس، ومسلم (١/٤٦٢) عن جابر.

(١١٦) أخرجه البخاري (٢/١٣٧) ومسلم (١/٤٦٠) عن أبي موسى.

(١١٧) زيادة من الأصول الأخرى.

النبي - ﷺ - قال: «فضلُ الدارِ القريبةِ من المسجدِ على الدارِ البعيدة الشاسعة كفضلِ الغازي على القاعد»(١١٨) وإسناده منقطع.

والمشيُ إلى المسجد أفضل من الركوبِ كما تقدّم في حديث أوس في الجُمَع، ولهذا جاء في حديث معاذ ذكرُ المشي على الأقدامِ، وكان النبي - ﷺ - لا يخرجُ إلى الصلاة إلا ماشياً حتى العيد يخرج إلى المُصلَّى ماشياً(١١٩)، فإن الآتي للمسجدِ زائرُ اللهَ، والزيارةُ على الأقدام أقربُ إلى الخضوع والتذلُّلِ كما قيل:

لو جئتكم زائراً أسعى على بصري لم أَدِّ حقاً وأيُّ الحقِّ أدَّيتُ؟!

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: «من غدا إلى المسجدِ أو راحَ أعدَّ الله له نُزُلاً في الجنة كلما غدا أو راح»(١٢٠). والنُّزُل: هو ما يُعَدُّ للزائرِ عند قُدومه. وفي الطبراني من حديث سلمان مرفوعاً: «من توضّأ في بيته فأحسنَ الوُضوءَ، ثم أتى المسجدَ فهو زائرُ اللهَ تعالى، وحقٌّ على المَزُور أنْ يُكرمَ الزائرَ.»(١٢١)

---

(١١٨) اخرجه حمد (٥/٣٨٧) من طريق ابن لهيعة عن بكر بن عمرو المعافري عن أبي عبد الملك عن حذيفة، وسنده واه، أبو عبد الملك هو: علي بن يزيد الألهاني من أتباع التابعين، تركه غير واحد وقال الساجي: اتفق أهل العلم على ضعفه (التهذيب: ٧/٣٩٦ - ٣٩٧) وروايته عن حذيفة منقطعة، وابن لهيعة مختلط مدلس وقد عنعن.
وقال الهيثمي (٢/١٦): «رواه أحمد وفيه ابن لهيعة، وفيه كلام». أهـ وقال المناوي في الفيض (٤/٤٣١): «ورواه عنه أبو الشيخ والديلمي، ورمز المصنف (أي: السيوطي) لحسنه، وفيه ابن لهيعة». أهـ.
وقال في التيسير (٢/١٦٩): «وإسناده حسن». أهـ ولا يخفى ما فيه من التساهل.

(١١٩) أما المشي إلى الصلاة فقد استفاض عنه - ﷺ - ذلك في أحاديث كثيرة، وأما المشي إلى مصلى العيد فقد وردت فيه أحاديث لا تخلو من ضعف، لكنها تدلُّ بمجموعها على أن له أصلاً، وانظر حالَ هذه الأحاديث في الفتح (٢/٤٥١) وإرواء الغليل (٣/١٠٣ - ١٠٤).

(١٢٠) أخرجه البخاري (٢/١٤٨) ومسلم (١/٤٦٣) عن أبي هريرة.

(١٢١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/٣١١ - ٣١٢) عن سلمان بهذا اللفظ، وفيه سعيد بن زربي منكر الحديث كما في التقريب، وعامر بن سيار مجهول قاله أبو حاتم (الجرح والتعديل: ٦/٣٢٢).
وأخرجه أيضاً (٦/٣١٣) من طريق آخر عنه بلفظ: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه =

وفي صحيح مسلم عن أُبَيٍّ بن كعب قال: كان رجلٌ لا أعلمُ رجلاً أبعدَ من المسجدِ منه، وكان لا تُخطئه صلاةٌ في المسجدِ، قال: فقيلَ له - أو قُلت له - : لو اشتريت حِماراً تركبُهُ في الظَّلماءِ و(١٢٢) في الرَّمضاءِ. فقال: ما يَسُرُّني أنَّ منزلي إلى جنبِ المسجد، إني أريدُ أنْ يُكتبَ لي ممشايَ إلى المسجدِ ورجوعي إذا رجعتُ إلى أهلي. فقال رسول الله - ﷺ - : «قد جمعَ الله لك ذلك كلَّهُ»(١٢٣).

وكلما شقَّ المشي إلى المسجد كان أفضلَ، ولهذا فُضِّلَ المشيُ إلى صلاة العشاء وصلاة الصبح، وعُدِلَ بقيام الليل كلِّه كما في صحيح مسلم عن عثمان عن النبي - ﷺ - قال: «مَنْ صلّى العشاء في جماعة فكأنَّما قام نصفَ الليل، ومن صلّى الصبح في جماعة فكأنَّما صلّى(١٢٤) الليل [كلَّه](١٢٥).»(١٢٦)

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - عن النبي - ﷺ - قال: «أثقلُ صلاةٍ على المنافقين: صلاةُ العشاءِ وصلاةُ الفجرِ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حَبْواً»(١٢٧). وإنما ثقُلت هاتان الصلاتان على المنافقين لأنّ المنافقَ لا ينشطُ للصلاة إلا إذا رآه الناس كما قال تعالى: ﴿**وإذا قامُوآ إلى الصلاةِ قاموا كُسالى يُرآءون الناسَ ولا يذكُرُونَ الله إلا قليلاً**﴾ [النساء: ١٤٢] وصلاةُ العشاءِ والصُّبحِ يقعان في ظُلمَةٍ، فلا ينشطُ للمشي إليهما إلا كلُّ مخلصٍ يكتفي برؤية الله - عز وجل - وحده لعلمه به.

= إلا كان زائراً لله - عزّ وجلّ - وحق على المزور أن يكرمَ زائره». وسنده قوي.
وقال المنذري (١/٢١٤): «رواه الطبراني بإسنادين، أحدهما جيد، وروى البيهقي نحوه موقوفاً على أصحاب رسول الله - ﷺ - بإسناد صحيح». أهـ.
وقال الهيثمي (٢/٣١): «وأحد إسناديه رجاله رجال الصحيح». أهـ

(١٢٢) في الأصول «أو» والمثبت من صحيح مسلم.
(١٢٣) أخرجه مسلم (١/٤٦٠ - ٤٦١) عن أُبيٍّ.
(١٢٤) في الأصول (قام) والمثبت من صحيح مسلم.
(١٢٥) زيادة من صحيح مسلم.
(١٢٦) أخرجه مسلم (١/٤٥٤) عن عثمان.
(١٢٧) أخرجه البخاري (٢/١٤١) ومسلم (١/٤٥١ - ٤٥٢) عن أبي هريرة.

وثوابُ المشي إلى الصلاة في الظُّلَم: النورُ التَّامُّ في ظُلَمِ القيامة كما في سُنن أبي داود والترمذي عن بُريْدَة عن النبي - ﷺ - قال: «بَشِّرِ المشَّائينَ في الظُّلَم إلى المساجدِ بالنُّورِ التَّامّ يومَ القيامة»(١٢٨) وخرّجه ابن ماجة من حديث سهل بن سعد، وقد رُوي من وجوهٍ كثيرة.

---

(١٢٨) أخرجه أبو داود (٥٦١) - ومن طريقه البغوي (٢/٣٥٨) - والترمذي (٢٢٣) واستغربه - ومن طريقه ابن الجوزي في العلل (٦٨٤) - والبيهقي في سننه (٣/٦٣ - ٦٤) والشعب (١/ق ٤٧٠/ب) من طريق عبد الله بن أوس الخزاعي عن بريدة، وعبد الله مجهول الحال كما قال ابن القطان، ولم يوثقه غير ابن حبان (التهذيب: ٥/١٥١) وقال الحافظ: لينّ الحديث.

وقال المنذري في الترغيب (١/٢١٢): «رجال إسناده ثقات». أهـ

وللحديث طرق أخرى عن جماعة من الصحابة، وهم:

١ - **سهل بن سعد:**

أخرج حديثه ابن ماجة (٧٨٠) - ومن طريقه ابن الجوزي (٦٨٦) - وابن خزيمة (١٤٩٨، ١٤٩٩) واستغربه والطبراني (٦/١٨١ - ١٨٢) والحاكم (١/٢١٢) والبيهقي في سننه (٣/٦٣) والشعب (١/ق ٤٧٠/أ)، وفيه ابراهيم بن محمد الحلبي ولم يوثقه غير ابن حبان، ويحيى بن الحارث الشيرازي مقبول كما في التقريب.

وقال البوصيري في الزوائد (١/٩٩): «إسناده فيه مقال» ونقل عن العراقي أنه قال: «حسن غريب».

٢ - **أنس:**

أخرج حديثه ابن ماجة (٧٨١) - ومن طريقه ابن الجوزي (٦٨٥) - والعقيلي في الضعفاء (٢/١٤٠) والحاكم (١/٢١٢) والبيهقي في سننه (٣/٦٣) والشعب (١/ق ٤٧٠/أ) وفيه سليمان بن داود بن مسلم، قال العقيلي: لا يُتابع على حديثه. وقال ابن الجوزي والحافظ: مجهول. وقال الحاكم: رواية مجهولة. وقال البوصيري في الزوائد (١/١٠٠): «حديث ضعيف».

٣ - **أبو الدرداء:**

أخرج حديثه ابن حبان (٤٢٢) والطبراني - كما في المجمع (٢/٣٠) - ومن طريقه: أبو نعيم في الحلية (٢/١٢) - والبيهقي في الشعب (١/ق ٤٧٠/ب) وابن الجوزي (٦٨٨)، وقال الهيثمي: «وفيه جنادة بن أبي خالد ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات» أهـ قلت: جنادة قال الذهبي في الميزان (١/٤٢٤): «لا يعرف». أهـ وفيه عنعنه مكحول وهو مدلس.

وله طريق آخر عند الطبراني في الكبير، قال المنذري (١/٢١٢): «إسناده حسن». أهـ وقال الهيثمي (٢/٣٠): «رجاله ثقات». أهـ =

= ٤ ـ أبو سعيد الخدري:
أخرج حديثه الطيالسي (٢٢١٢) وأبو يعلى (المقصد العلي: ٢٣٨) والعقيلي (٣/١٠٥) وابن الجوزي (٦٨٩)، وقال الهيثمي (٢/٣٠): «وفيه عبد الحكم بن عبد الله وهو ضعيف». أهـ
٥ ـ أبو هريرة:
أخرج حديثه ابن ماجة (٧٧٩) ومن طريقه ابن الجوزي (٦٨٨) قال البوصيري (١/٩٩): «هذا إسناد ضعيف، أبو رافع أجمعوا على ضعفه، والوليد بن مسلم مدلس وقد عنعنه». أهـ
قلت: أبو رافع هو إسماعيل بن رافع متروك كما قال الذهبي في «ديوانه» (٣٩٨).
وله طريق آخر عند الطبراني في الأوسط (مجمع البحرين: ق ٥٨) فيه ابراهيم بن قدامة قال ابن القطان والذهبي: لا يعرف. وقال البزار: ليس بحجة. (اللسان: ١/٩٢ ـ ٩٣). ومع هذا فقد قال المنذري (١/٢١٢) والهيثمي (٢/٣٠): «إسناده حسن». أهـ
٦ ـ عائشة:
أخرج حديثها الطبراني في الأوسط (مجمع البحرين: ق ٥٨) والعقيلي (١/٢٣٤ ـ ٢٣٥) وقال الهيثمي (١/٣٠): «وفيه الحسن بن علي الشروي، قال الذهبي: لا يُعرف وفي حديثه نكرة، وقال الأزدي: لا يتابع عليه». أهـ كذا في الأصل (الأزدي) وصوابه (العقيلي) وزاد: «مجهول بالنقل». وفيه قتادة بن الفضيل مقبول كما في التقريب.
٧ ـ أبو أمامة:
أخرج حديثه الطبراني في الكبير (٨/١٦٧ ـ ١٦٨، ١٦٨، ٣٥٢ ـ ٣٥٣) وقال الهيثمي (٢/٣١): «وفيه سلمة العبسي (الصواب: القيسي) عن رجل من أهل بيته، ولم أر من ذكرهما». أهـ وقال المنذري (١/٢١٣): «في إسناده نظر».
٨ ـ ابن عباس:
أخرج حديثه الطبراني في الكبير (١١/٣٥١) وفيه العباس بن بكار الضبي كذّبه الدارقطني، وقال الهيثمي (٢/٣٠): «وفيه العباس بن عامر الضبي ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله موثقون». أهـ قلت: ليس في الإسناد (ابن عامر) وإنما (ابن بكار).
٩ ـ عمر:
أخرج حديثه ابن الجوزي (٦٨٣) وفيه الوازع بن نافع ضعيف جداً، واتهمه الحاكم بالوضع.
١٠ ـ ابن عمر:
أخرج حديثه الطبراني في الكبير (١٢/٣٥٨) وفيه داود بن الزبرقان متروك كذّبه الجوزجاني، وبه أعل الهيثمي (٢/٣٠) الحديث.
١١ ـ زيد بن حارثة:
أخرج حديثه الطبراني في الكبير (٥/٨٦) والأوسط ـ كما في المجمع (١/٣٠) ـ وأعله

وفي بعضها زيادة: «يفزعُ الناسُ ولا يفزعون»(١٢٩). قال النخعي: وكانوا يرونَ أنَّ المشيَ في الليلةِ الظلماءِ إلى الصلاةِ مُوجِبَةٌ(١٣٠). يعني تُوجِبُ المغفرةَ. ورُوِّينا عن الحسن قال: أهلُ التوحيد في النارِ لا يُقيَّدونَ، فيقول الخَزَنَةُ بعضُهم لبعض: ما بالُ هؤلاءِ لا يُقيَّدون وهؤلاء يُقيَّدون؟! فيناديهم منادٍ: إن هؤلاء كانوا يمشون في ظُلم الليلِ إلى المساجدِ.

كما أنَّ مواضعَ السجود من عُصاة المُوحِّدين في النار لا تأكلها النار(١٣١)، فكذلك الأقدامُ التي تمشي إلى المساجدِ في الظُّلَمِ لا تُقيَّد في النار، ولا يُسوِّي في العذاب بين من خدَمه وبين من لم يخدمه وإن عذَّبه:

ومَنْ كانَ في سُخْطه محسناً فكيف يكونُ إذا ما رضي؟!

لمَّا كانت الصلاةُ صلةً بين العبد وربِّه، ومناجاةً تَظْهَرُ فيها آثارُ تجلِّيه لقلوب العارفين وقُربه، شَرعَ قبل الدخول فيها الطهارة، فإنه لا يصلحُ للوقوفِ بينَ يدي الله ـ عز وجل ـ والخلوةِ بمناجاته إلا طاهِرٌ، فأما المُتلوِّثُ بالأوساخِ الظاهرة والباطنةِ فلا يصلحُ للقرب، فشرعَ الله ـ عز وجل ـ للمُصلي غسلَ أعضائه بالماء، ورتَّبَ عليها طهارةَ الذُّنوبِ وتكفيرَها، حتى يجتمعَ لمن يريدُ المناجاةَ طهارةُ ظاهرِهِ وباطنِهِ، ثم شرعَ المشي إلى المساجد، وفيه أيضاً

= الهيثمي بابن لهيعة وقال: «مختلف في الاحتجاج به» وفاته أن في الاسناد سليمان بن أحمد الواسطي كذبه ابن معين وصالح جزرة.

١٢ ـ أبو موسى الأشعري:

أخرج حديثه البزار (الكشف: ٤٣٢) والطبراني في الكبير ـ كما في المجمع (٢/٣١) ـ وقال الهيثمي: «فيه محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير، وهو منكر الحديث». أهـ قلت: كذا قال البخاري، وتركه النسائي والدارقطني (اللسان: ٥/٢١٦ ـ ٢١٧). وفيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف كما في التقريب، والحسن مدلس وقد عنعنه.

فالحديث بمجموع هذه الطرق ـ باستثناء الواهي منها (٨ ـ ١٢) ـ حسن على أقلِّ أحواله.

(١٢٩) زيادة ضعيفة وردت في حديث أبي أمامة، وقد تقدّم تخريجه.

(١٣٠) نقله عنه البغوي في شرح السنة (٢/٣٥٨).

(١٣١) أخرج البخاري (١١/٤٤٤ ـ ٤٤٦) ومسلم (١/١٦٣ ـ ١٦٦) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «. . . وحرّم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود. .» وهو قطعة من حديث طويل.

تكفيرُ الخطايا حتى تكْمُلَ طهارةُ الذُّنوب إن بقيَ منها شيءٌ بعدَ الوُضوء، حتى لا يقفَ العبدُ في مقامِ المناجاة إلا بعدَ كمالِ طهارة ظاهره وباطنه من دَرَنِ الأوساخ والذُّنوب، ولهذا شَرعَ له تجديدَ التوبةِ والاستغفار عقيب[132] كلِّ وضوء حتى تكمُلَ طهارةُ ذُنُوبه كما خرَّج النسائي من حديث أبي سعيد مرفوعاً وموقوفاً: «من توضَّأ فأسبغَ الوضوءَ، ثم قال عند فراغِه من وضوئه: (سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، أستغفرُك وأتوبُ إليك) خُتِمَ عليها بخاتَم، فوُضِعَت تحتَ العرشِ فلم يُكْسَرْ إلى يوم القيامةِ.»[133]

ومتى اجتهدَ العبدُ على تكميلِ طهارته ومشيه إلى المسجدِ ولم يقوَ ذلك على تكفيرِ ذنوبه فإنَّ الصلاة يكمُلُ بها التكفير، كما في الصحيحين عن أبي

---

(١٣٢) في (أ) و(ط): (عقب).

(١٣٣) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٨١) والطبراني في الأوسط (مجمع البحرين ق ٤٠) والحاكم (١/ ٥٦٤) وصححه على شرط مسلم وسكت عليه الذهبي من طريق أبي غسان يحيى بن كثير عن شعبة عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد مرفوعاً: «من توضأ فقال: (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك) كُتِبَ في رَقٍّ ثم طُبِع بِطَابع، فلم يُكسر إلى يوم القيامة». وإسناده صحيح كما قال الحافظ في تخريج الأذكار - كما في الفتوحات الربانية (٢/ ٢٠)، لكن قال النسائي: «هذا خطأ، والصواب موقوف». ثم ساقه موقوفاً من طريق غندر عن شعبة، وعن ابن المبارك عن الثوري كلاهما عن أبي هاشم به، ورواه ابن مهدي عن الثوري كذلك موقوفاً أخرجه الحاكم (١/ ٥٦٤ - ٥٦٥)، وغندر من أثبت الناس في شعبة وهو أوثق من يحيى، وخالف يوسفُ بن أسباط ابنَ المبارك وابنَ مهدي - جبلي الحفظ - فرواه عن الثوري مرفوعاً أخرجه ابن السني (٣٠) والمعمري - كما في النكت الظراف (٣/ ٤٤٧) -، ويوسف غمزه البخاري، وقال أبو حاتم: لا يحتج به. ووثقه ابن معين (الميزان: ٤/ ٤٦٢) فلا عبرة بمخالفته، فالراجح أن الحديث موقوف والله أعلم. قال الحافظ في النكت: «ومثله لا يُقال من قِبَل الرأي فله حكم المرفوع» أهـ وممن رجح وقفه الدارقطني في علله كما في التلخيص الحبير (١/ ١٠٢).

وقال المنذري في الترغيب (١/ ١٧٢) - وتبعه الهيثمي (١/ ٢٣٩) -: «رواه الطبراني في الأوسط ورواته رواة الصحيح».

وحكَمَ النووي في الأذكار (ص ٢٣) والمجموع (١/ ٤٥٧) بضعف الحديث مرفوعاً وموقوفاً، وانتقده الحافظ في التلخيص الحبير، وقال في تخريج الأذكار عن هذا الحكم: «فيه نظر».

هريرة عن النبي - ﷺ - قال: «أرأيتم لو أنَّ نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كُلَّ يوم خمسَ مراتٍ، هل يبقى من دَرَنه شيءٌ؟». قالوا: لا يبقي من دَرَنِهِ شيءٌ. قال: «فذلك مثَلُ الصلواتِ الخمسِ يمحو الله بِهِنَّ الخطايا»(١٣٤). وإن قويَ الوضوء وحدَه على تكفير الخطايا فالمشيُ إلى المسجد والصلاة بعده تكون زيادةَ حسناتٍ، وهذا هو المرادُ من قول النبي - ﷺ - في حديث عثمان والصُّنابحي: «... وكان مَشيُه إلى المسجد وصلاتُه نافلةً.»، وقد سبقَ ذكرُ الحديثين(١٣٥).

واعلم أن جمهور العلماء على أنّ هذه الأسبابَ كلَّها إنَّما تُكفِّر الصغائر دون الكبائر، وقد استدلّ بذلك عطاءٌ وغيره من السَّلف في الوضوء، وقال سلمان الفارسي - رضي الله عنه -: الوضوء يُكفِّر الجراحاتِ الصِّغار، والمشيُ إلى المسجد يُكفِّرُ أكثرَ من ذلك، والصلاةُ تُكفِّر أكثرَ من ذلك. خرّجه محمد بن نصر المروزي.

ويدُلُّ على أن الكبائر لا تُكفَّر بذلك ما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: «الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ مُكفِّراتٌ لما بينهنَّ إذا اجْتُنِبَت الكبائرُ»(١٣٦).

وفي صحيح مسلم عن عثمان عن النبي - ﷺ - قال: «ما من امرئٍ مسلمٍ تحضُره صلاةٌ مكتوبةٌ فيُحسنُ وُضوءَها وخشوعَها وركوعَها (وسجودها)(١٣٧) إلا كانت كفّارة لما قبلها من الذُّنوب ما لم يُؤتِ(١٣٨) كبيرة، وذلك الدَّهْرَ كُلَّه»(١٣٩).

[فانظر](١٤٠) إلى كم تُيَسَّرُ لك أسبابُ تكفير الخطايا لعلّك تطْهُرُ منها قبل

---

(١٣٤) أخرجه البخاري (٢/١١) ومسلم (١/٤٦٢ - ٤٦٣) عن أبي هريرة.

(١٣٥) انظر الحديثين في ص ٤٦ وص ٤٧ - ٤٨.

(١٣٦) أخرجه مسلم (١/٢٠٩) عن أبي هريرة، وليس في صحيح البخاري.

(١٣٧) ليست في صحيح مسلم و(ب).

(١٣٨) في الأصل و(ط) «تؤت» والتصويب من مسلم و(أ).

(١٣٩) أخرجه مسلم (١/٢٠٦) عن عثمان.

(١٤٠) زيادة من (ط).

الموتِ فتلقاه طاهراً، فتصلُحَ لمجاورته في دارِ السلام، وأنت تأبى إلا أن تموتَ على خُبْثِ الذنوب فتحتاجُ إلى تطهيرها في كير جهنم. يا هذا! أما علمت أنّه لا يصلحُ لقُربنا إلا طاهرٌ؟! فإن أردت قُربَنا ومُناجاتنا اليومَ فطَهِّر ظاهرَك وباطنك لتصلُحَ لذلك، وإن أردت قُربَنا ومُناجاتنا غداً فطَهِّر قلبك من سوانا لتصلحَ لمجاورتنا ﴿يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بَنُونَ ○ إلا مَنْ أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، القلبُ السليم الذي ليس فيه غيرُ محبةِ الله، ومحبةِ ما يحبُّه الله، إن الله طيِّبٌ لا يقبلُ إلا طيّباً، فما كُلُّ أحدٍ يصلحُ لمجاورةِ الله تعالى غداً، ولا كُلُّ أحدٍ يصلح لمُناجاةِ الله اليومَ، ولا على كل الحالات تحسُنُ المناجاة:

النـاسُ من الهوى على أصنافِ ... هـذا نقضَ العهدَ وهذا وافي
هيهاتَ مِنَ الكدورِ تبغي الصافي ... ما يصلِحُ للحضرةِ قلبٌ جافي

(السبب الثالث من مكفرات الذنوب): الجلوس في المساجد بعد الصلوات، والمرادُ بهذا الجلوسِ انتظارُ صلاةٍ أخرى كما في حديث أبي هريرة: «... وانتظارُ الصلاة بعد الصلاةِ، فذلكم الرِّباط، فذلكم الرِّباط.»(١٤١) فجعل هذا من الرباط في سبيل الله ـ عزّ وجلّ ـ، وهذا أفضلُ من الجلوس قبل الصلاة لانتظارها، فإن الجالس لانتظارِ الصلاة ليؤدِّيَها ثم يذهب تقصرُ مدة انتظاره، بخلافِ من صلى صلاةً ثم جلس ينتظرُ أخرى فإن مُدَّته تطول، فإن كان كُلَّما صلى صلاةً جلس ينتظرُ ما بعدها استغرقَ عُمُرَهُ بالطاعةِ، وكان ذلك بمنزلةِ الرباط في سبيل الله ـ عز وجل ـ.

وفي المسند وسنن ابن ماجة عن عبد الله بن عمرو قال: صليت مع رسول الله ـ ﷺ ـ المغربَ، فرجع من رجع، وعَقَّبَ من عَقَّبَ، فجاء رسول الله ـ ﷺ ـ مسرعاً قد حفَزَه النَّفَسُ، وقد حسر عن رُكبتيه فقال: «أبشروا! هذا ربُّكم قد فتحَ باباً من أبواب السماء يُباهي بكم الملائكةَ، يقول: انظروا إلى

---

(١٤١) تقدّم ص (٤٥).

عبادي قد قضوا فريضةً وهم ينتظرون أخرى»(١٤٢).

وفي المسند عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: «مُنتظرُ الصلاة بعد الصلاة كفارس اشتدَّ به فرسُه في سبيل الله على كَشْحِهِ(١٤٣)، تُصلّي عليه ملائكةُ الله ما لم يُحدِثْ أو يقوم، وهو في الرِّباط الأكبر»(١٤٤).

ويدخل في قوله: «والجلوس في المساجد بعد الصلوات»: الجلوس للذكر والقراءة وسماع العلم وتعليمه ونحو ذلك، لا سيّما بعد صلاة الصبح حتى تطلعَ الشمسُ، فإنَّ النصوص قد وردت بفضل ذلك(١٤٥)، وهو شبيهٌ بمن جلسَ

---

(١٤٢) أخرجه أحمد (٢/١٨٦ - ١٨٧، ١٨٧) وابن ماجة (٨٠١) من طريق أبي أيوب الأزدي عن عبد الله بن عمرو، وسنده صحيح، وصححه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١١/٣١)، وقال المنذري في الترغيب (١/٢٨٢): «رواته ثقات، وأبو أيوب هو المراغي العتكي ثقة ما أراه سمع عبد الله، والله أعلم». أهـ وقال البوصيري في الزوائد (١/١٠٢): «رجاله ثقات» ثم ساق مقالة المنذري. ودعوى الإنقطاع هذه لا تستند إلى قول إمام معتبر ولا تأريخ ثابت فهي مردودة، ولم يذكر العلائي في جامع التحصيل أبا أيوب ضمن رواة المراسيل. وللحديث طريق أخرى أخرجها أحمد (٢/١٨٧، ٢٠٨) والبزار (الكشف: ٤٥٢) عن علي بن زيد عن مطرف بن عبد الله عن ابن عمرو، ورجالها ثقات إلا علي فإنه ضعيف الحفظ.

(١٤٣) الكشح هو الخصر، والمراد: على جوعه، يعني أن هذا المجاهد لازمَ الركوب على الفرس وجاهد وجالد وأبدع مع دقيق بُنية الحصان وخِفَّته. (من تعليق الأستاذ مصطفى عمارة - رحمه الله - على الترغيب).

(١٤٤) أخرجه أحمد (٢/٣٥٢) والطبراني في الأوسط (مجمع البحرين: ق ٥٨ - ٥٩) من طريق عبد الرحمن بن مهران عن أبي هريرة، وسنده لا بأس به، وعبد الرحمن احتجَّ به مسلم وقال أبو حاتم: صالح. وقال الدارقطني: يعتبر به. ووثقه ابن حبان وجهّله الأزدي. (التهذيب: ٦/٢٨٢). وقال الذهبي في الكاشف (٢/١٨٨): «صدوق» وقال الحافظ: «مقبول».

وقال المنذري في الترغيب (١/٢٨٤): «وإسناد أحمد صالح». أهـ وقال الهيثمي (٢/٣٦): «وفيه نافع بن سليمان القرشي وثقة أبو حاتم، وبقية رجاله رجال الصحيح». أهـ قلت: لم يوثقه أبو حاتم، وإنما قال: «صدوق يحدِّث عن الضعفاء، مثل بقية». ووثقه ابن معين. كذا في الجرح والتعديل (٨/٤٥٨ - ٤٥٩) والتعجيل ص ٤١٩.

وقال العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١٦/٢٥٦): «إسناده صحيح». أهـ

(١٤٥) انظرها في الترغيب (١/٢٩٤ - ٣٠٢).

ينتظرُ صلاةً أخرى، لأنه قد قضى ما جاء المسجدَ لأجله من الصلاة وجلسَ ينتظرُ طاعةً أخرى.

وفي الصحيح عن النبي - ﷺ - قال: «وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوت الله تعالى يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينةُ، وغشيتهم الرحمةُ، وحفّتهم[146] الملائكةُ، وذكرهم الله فيمن عنده.»[147]

وأما الجالسُ قبلَ الصلاةِ في المسجد لانتظار تلك الصلاة خاصةً فهو في صلاةٍ حتى يُصلي، وفي الصحيحين عن أنس عن النبي - ﷺ - أنّه لما أخَّرَ صلاة العشاء الآخرة ثم خرجَ فصلى بهم: قال لهم: «إنكم لم تزالوا في صلاةٍ ما انتظرتم الصلاة». [148]

وفيهما أيضاً عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: «الملائكة تُصلّي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يُحدِثْ: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه. ولا يزالُ أحدُكم في صلاةٍ ما كانت الصلاة تحبِسُهُ، لا يمنعُه أنْ ينقلبَ إلى أهله إلا الصلاةُ»[149]. وفي رواية لمسلم: «ما لم يُؤذِ فيه، ما لم يُحدِث فيه».

وهذا يدلُّ على أن المرادَ بالحدثِ: حدثُ اللسان ونحوه، وفسَّره أبو هريرة بَحدَث الفَرْجِ، وقيلَ إنه يشملُ الحَدَثين.

وفي المسند عن عقبة بن عامر عن النبي - ﷺ - قال: «القاعدُ يَرعى[150] الصلاةَ كالقانت، ويُكتبُ من المصلّين من حين يخرجُ من بيته حتى يرجعَ إليه»[151]. وفي رواية له: «فإذا صلى في المسجد ثم قعد فيه كان كالصائم

---

(١٤٦) في الأصل: «وحفت بهم» والتصويب من الأصول الأخرى وصحيح مسلم.
(١٤٨) أخرجه مسلم (٤/٢٠٧٤) عن أبي هريرة، وعن أبي سعيد أيضاً بنحوه.
(١٤٨) أخرجه البخاري (٢/٣٣٤) ومسلم (١/٤٤٣) عن أنس.
(١٤٩) أخرجه البخاري (٢/١٤٢) ومسلم (١/٤٥٩ - ٤٦٠) عن أبي هريرة.
(١٥٠) في (ط): «يراعى» وهو تحريف.
(١٥١) تقدم ص ٥٧ .

القانت حتى يرجع»(١٥٢). وفي هذا المعنى أحاديثُ كثيرة.

وبالجملة فالجلوس في المسجد للطاعات له فضلٌ عظيمٌ، وفي حديث أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: «لا يُوطِّنُ رجلُ المساجدَ للصلاة والذِّكرِ إلا تَبَشْبَشَ(١٥٣) الله - عز وجل - [به](١٥٤) كما يتبَشْبشُ أهل الغائب إذا قدِمَ عليهم غائبهُم.»(١٥٥)

ورَوى درّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي - ﷺ - قال: «من أَلِفَ المسجدَ أَلِفَهُ الله.»(١٥٦) وقال سعيد بن المسيب: من جلسَ في المسجد فإنما يجالسُ الله - عز وجل -. وصحَّ عن النبي - ﷺ - أنه عدَّ من السبعةِ الذين يُظلُّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلُّه: «رجلٌ قلبه مُعلَّقٌ بالمسجدِ إذا خرجَ منهُ حتى يعودَ إليه»(١٥٧).

وإنما كان ملازمةُ المسجد مُكفِّراً للذُّنوب لأنَّ فيه مجاهدةَ النفس، وكفّاً لها عن أهوائها فإنها لا تميل إلا إلى الإنتشار في الأرض لابتغاء الكسب أو لمجالسة الناس ومحادثتهم(١٥٨) أو للتنزه في الدور الأنيقة والمساكن الحسنة ومواطن النَّزه

---

(١٥٢) اخرجها أحمد (٤/١٥٩) وفيها ابن لهيعة وقد اختلط.

(١٥٣) البشّ معناه الفرح، وهو صفة لله - عزّ وجلّ - تليق بجلاله وكماله.

(١٥٤) زيادة من الأصول الأخرى وكتب الحديث.

(١٥٥) رواه الطيالسي (٢٣٣٤) وأحمد (٢/٣٢٨، ٤٥٣) وابن ماجة (٨٠٠) وابن خزيمة (١٥٠٣) وابن حبان (٣٠٩) والحاكم (١/٢١٣) وصححه على شرطهما وسكت عليه الذهبي عن أبي هريرة بسند صحيح، وصحح الحديث عبد الحقّ الإشبيلي - كما في الفيض (٥/٤٣٨) - والبوصيري في الزوائد (١/١٠٢) والمناوي في التيسير (٢/٣٤٧).

(١٥٦) أخرجه الطبراني في الأوسط (مجمع البحرين: ق ٥٨)، وقال المنذري (١/٢١٩) والهيثمي (٢/٢٣): «وفيه ابن لهيعة». وزاد الهيثمي: «وفيه كلام». أهـ وفيه أيضاً دراج بن سمعان أبو السمح ضعيف ذو مناكير.
وقال العراقي في تخريج الإحياء (١/١٥١) - وتبعه المناوي في التيسير (٢/٤٠٥) -: «سنده ضعيف».

(١٥٧) أخرجه البخاري (٢/١٤٣) ومسلم (٢/٧١٥) من حديث أبي هريرة بلفظ: «... ورجل قلبه معلق في المساجد..» زاد مالك في الموطأ (٢/٩٥٢) بسند صحيح: «إذا خرج منه حتى يعود إليه».

(١٥٨) كذا في الأصل، وفي (أ) و(ب): (لمحادثتهم)، وفي (ط): (أو لمحادثتهم).

ونحو ذلك، فمن حبسَ نفسَه في المساجدِ على الطاعةِ فهو مرابطٌ لها في سبيل الله، مخالفٌ لهواها وذلك من أفضلِ أنواع الصبر والجهاد.

وهذا الجنس - أعني ما يؤلم النفسَ ويُخالفُ هواها - فيه كفارةٌ للذُّنُوب وإنْ كانَ لا صُنعَ فيه للعبد كالمرض ونحوه، فكيف بما كان حاصلاً عن فعلِ العبد واختياره إذا قصدَ به التقربَ إلى الله - عز وجل - ؟! فإنّ هذا من نوع الجهاد في سبيل الله الذي يقتضي تكفيرَ الذنوب كُلِّها.

ولهذا المعنى كان المشيُ إلى المساجد كفارةً للذُّنُوب أيضاً، وهو نوع من الجهاد في سبيل الله أيضاً، كما خرَّجه الطبراني من حديث أبي أمامة عن النبي - ﷺ - : «الغُدوُّ والرَّواحُ إلى المساجد من الجهادِ في سبيل الله - عز وجل - »[159].

كان زيادٌ مولى ابن عباس أحدَ العُبَّادِ الصالحين، وكان يلازمُ مسجدَ المدينة، فسمعوه يوماً يُعاتبُ نفسَه ويقولُ لها: «أين تريدين أن تذهبي؟! إلى أحسنَ من هذا المسجد!! تريدين أن تُبصري دارَ فلانٍ ودار فلان!».

لما كانت المساجدُ في الأرض بيوتَ الله أضافها الله إلى نفسه تشريفاً لها، وتعلّقت قلوبُ المحبين لله - عز وجل - بها، لنسبتها إلى محبوبهم، وانقطعت[160] إلى ملازمتها لإظهار ذكره فيها[161] **﴿في بُيُوتٍ أذِنَ الله أنْ تُرفعَ ويُذْكَرَ فيها اسمُهُ يُسبِّحُ لهُ فيها بالغُدُوِّ والأصالِ ○ رجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تجارةٌ ولا**

---

(159) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/٢٠٨) عن أبي أمامة بسند تالف، فيه الحسين بن أبي السري العسقلاني كذّبه أخوه محمد وأبو عروبة. (التهذيب: ٢/٣٦٦ - ٣٦٧). وقال الحافظ: «ضعيف».
وقال الهيثمي (٢/٢٩ - ٣٠): «وفيه القاسم بن عبد الرحمن، وفيه اختلاف». أهـ كذا قال! والبلاء من الحسين، أما القاسم فحسن الحديث. واغترّ المناوي في التيسير (٢/١٦٢) بكلام الهيثمي، فقال: «إسناده حسن»!!.

(١٦٠) في (أ) و(ب): (ارتاحوا) وفي (ط): (ارتاحت).

(١٦١) في (ط) زيادة (قال الله تعالى) وليست في بقية الأصول.

بَيعٌ عن ذكرِ الله وإقامِ الصلاة وإيتآءِ الزكاة يخافونَ يوماً تتقلَّبُ فيه القلوبُ والأبْصارُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

أين يذهبُ المحبّون عن بيوت مولاهم؟! قلوبُ المحبين ببيوت محبوبهم متعلِّقة، وأقدامُ العابدين إلى بيوت معبودهم مترددة:

يا حبّذا العرعرُ النجدي والبان ... ودارُ قومٍ بأكناف الحِمىٰ بانوا
وأطيبُ الأرضِ ما للقلبِ فيه هوى ... سَمُّ الخَياطِ مع المحبوبِ(١٦٢) ميدانُ
لا يُذكرُ الرَّملُ إلا حَنَّ مُغتربٌ ... له بذي الرمل أوطارٌ وأوطانُ
يهفو إلى البان من قلبي نوازعُه ... وما بيَ البانُ بل مَنْ دارُه البانُ

***

(١٦٢) كذا في الأصل و(ب) وفي (ط): (الأحباب) والأبيات ساقطة من (أ).

الفصل الثـــاني

في ذكر الدرجات المذكورة في حديث معاذ

وهي ثـلاثٌ، أحـدُهـا: إطعـامُ الـطعـام، وقـد جعلَه الله في كتـابـه من الأسباب المُوجبة للجنة ونعيمها، قال الله - عز وجل -: ﴿ ويُـطعِمون الـطعامَ على حُبِّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ○ إنَّما نُطْعِمُكُم لوجهِ الله لا نُريدُ منكم جزآءً ولا شُكوراً ○ إنَّا نخافُ من ربِّنا يوماً عبوساً قَمـطريراً[١٦٣] ○ فـوقاهُمُ الله شرَّ ذلك اليومِ ولقَّاهُمْ نَضْرةً وسُروراً ○ وجـزاهُم بما صَـبروا جنَّةً وحـريراً ○ مُتَّكِئينَ فيها على الأرآئكِ لا يـرونَ فيها شمسـاً ولا زَمْهريـراً ○ ودانيةً عليهم ظِلالُها وذُلِّلتْ قُطوفُها تذليلاً ○ ويُطافُ عليهم بآنيةٍ من فِضَّةٍ وأكـوابٍ كانت قواريراْ ○ قـواريراْ من فِضَّـةٍ قدَّروهَـا تقديـراً ○ ويُسقَون فيهـا كأسـاً كان مِـزاجُها زنجبيلاً ○ عيناً فيهـا تُسمَّى سَلْسَبِيلاً ○ ﴾ إلى قـوله ﴿ وسقـاهم ربُّهم شراباً طَهُوراً ﴾ [الإنسـان: ٨ - ٢١]. فوصفَ فـاكهتَهم وشرابَهم جزاءً لإطعـامهم الطعـامَ، وفي الترمـذي من حديث أبي سعيـد الخـدري عن النبي - ﷺ - قال: «أيُّما مؤمنٍ أطعمَ مؤمناً على جوعٍ أطعمه الله من ثـمار الجنة، ومن سقى مؤمنـاً على ظمـأٍ سقاه الله من الـرحيق المَختـوم[١٦٤]»[١٦٥].

---

(١٦٣) أي: شديداً. (مفردات الراغب ص ٤١٣).

(١٦٤) هو خمر الجنة المختوم بالمسك. (فيض القدير: ٣/١٤٣).

(١٦٥) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٣/١٣) والترمذي (٢٤٤٩) من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد، وعطية ضعيف، والحديث استغربه الترمذي ورجّح وقفه على أبي سعيد،ورواه أبو داود (١٦٨٢) من طريق آخر عن أبي سعيد، وفيه أبو خالد الدالاني متكلم فيه، وقال الذهبي في المغني (٧١٢٢): «مشهور حسن الحديث». أ هـ وباقي رجاله ثقات، فالحديث حسن لا سيما أن الطريق المتقدمة تعضده. وقال المناوي في التيسير (١/٤١٠): «إسناده حسن».

وفي المسند والترمذي عن علي عن النبي - ﷺ - قال: «إنَّ في الجنة غُرَفاً يُرى ظاهِرُها من باطِنها، وباطُنها من ظاهِرها». قالوا: لمن هي يا رسولَ الله؟. قال: «لمن أطعمَ الطعامَ، وأطابَ الكلامَ، وصلّى بالليل والناسُ نيامٌ»(١٦٦)

وفي حديث عبد الله بن سَلَام الذي خرّجه أهل السنن أنه سمع النبي - ﷺ - أوّلَ قُدومه المدينةَ يقول: «أيُّها الناسُ! أفشوا السلامَ، وأطعِموا الطعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصَلُّوا بالليل والناسُ نيام، تدخلوا الجنة بسلام»(١٦٧).

---

(١٦٦) أخرجه ابن أبي شيبه (٨/٦٢٥) والترمذي (١٩٨٤، ٢٥٢٧) وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١/١٥٥ - ١٥٦) وابن نصر في قيام الليل (مختصره - ص ٢١) عن علي، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ضعيف كما في التقريب، وقال الترمذي: «حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن إسحاق هذا من قِبَل حفظه». أهـ والحديث ضعفه العراقي كما في الفيض (٢/٤٦٥). وأخرجه عبد الرزاق (١١/٤١٨ - ٤١٩) وأحمد (٥/٣٤٣) والطبراني في الكبير (٣/٣٤٢) وابن حبان (٦٤١) والبغوي في شرح السنة (٤/٤٠ - ٤١) عن أبي مالك الأشعري، وقال الهيثمي (١٠/٤٢٠): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن معانق، ووثقه ابن حبان.»أهـ قلت: والعجلي، لكن قال الدارقطني: لا شيء مجهول. (التهذيب: ٦/٣٨) وباقي رجاله ثقات.
وأخرجه أحمد (٢/١٧٣) من طريق ابن لهيعة عن حُيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو، وابن لهيعة حسن الحديث في الشواهد، وحُيي متكلمٌ فيه، وقد تقدم بيان حاله في التعليق (١٠٦)، وعزاه المنذري (٢/٦٣) للطبراني وحسّن إسناده، وقال الهيثمي (١٠/٤٢٠): «ورجاله وثقوا على ضعفٍ في بعضهم». أهـ وقال في موضع آخر (٢/٢٥٤): «رواه أحمد والطبراني في الكبير، وإسناده حسن». أهـ.
قلت: ولم ينفرد به ابن لهيعة، بل تابعه ابن وهب عند الحاكم (١/٣٢١) وصححه على شرط مسلم، وسكت عليه الذهبي، فالحديث بهذه الطرق حسنٌ إن شاء الله، والله أعلم.

(١٦٧) أخرجه أحمد (٥/٤٥١) والدارمي (١/٣٤٠ - ٣٤١ و٢/٢٧٥) والترمذي (٢٤٨٥) وصححه وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢١٥) وابن نصر في قيام الليل (مختصره - ص ٢١) والحاكم (٣/١٣) وصححه على شرطهما وسكت عليه الذهبي والبيهقي (٢/٥٠٢) والبغوي في شرح السنة (٤/٣٩ - ٤٠) من طريق زُرارة بن أوفى عن عبد الله بن سلام، ورجاله ثقات، لكن قال الحافظ في أماليه على الأذكار - كما في الفتوحات الربانية (٥/٢٧٧) - تعليقاً على تصحيح الترمذي: «وفي تصحيحه له نظرٌ، فإن زرارة - وإنْ كان ثقةً - لا يُعرف له سماعٌ من عبد الله بن سلام». أهـ وفي المراسيل لابن أبي حاتم ص ٦٣: «سُئل أبي: هل سمع زرارة من عبد الله بن سلام؟ قال: ما أراه، ولكن يُدخل في المسند» =

وفي حديث عبادةَ عن النبي - ﷺ - أنه سُئل: أيُّ الأعمالِ أفضل؟. قال: «إيمانٌ بالله وجهادٌ في سبيله وحجٌّ مبرور، وأهونُ من ذلك: إطعامُ الطعامِ، ولينُ الكلامِ»(١٦٨). خرّجه الإمام أحمد. وفي حديث هانىء بن يزيد أن رجلاً قال: يا رسول الله! دُلَّني على عملٍ يُدخلني الجنة ويُباعدني من النار؟. قال: «تُطعم الطعامَ، وتُفشي السلامَ»(١٦٩). وفي حديث حذيفة عن لنبي - ﷺ - قال: «من خُتِمَ له بإطعامِ مسكين دخلَ الجنةَ»(١٧٠).

وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو أن رجلاً قال: يا رسولَ الله! أيُّ الإسلام خيرٌ؟. قال: «تُطعمُ الطعامَ، وتُقْرِىءُ السلام على مَنْ عرفت ومن لم تعرف»(١٧١). وفي حديث صُهيب عن النبي - ﷺ - قال: «خَيرُكم مَنْ أطعمَ الطعامَ»(١٧٢).

= أهـ يعني المتصل. والحديث قال عنه النووي في الأذكار (ص ٢٠٧): «أسانيده جيدة». وقال الحافظ في أماليه - كما في الفتوحات (٥/٢٧٧) -: «حديث حسن». أهـ وله شاهد قوي من حديث أبي هريرة عند أحمد (٢/٢٩٥، ٣٢٣ - ٣٢٤، ٤٩٣) وابن نصر (ص ٢١) وابن حبان (٦٤٢) والحاكم (٤/١٢٩) وصححه وسكت عليه الذهبي.

(١٦٨) لم أجده في المسند، وقد بحثت عنه في مسند عبادة منه فلم أره فيه، ولم يعزه الهيثمي في المجمع (٥/٢٧٨ - ٢٧٩) إلا إلى الطبراني فقط، حيث قال: «رواه الطبراني بإسنادين، في أحدهما: ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف، وفي الآخر: سويد بن إبراهيم وثقه ابن معين في روايتين، وضعفه النسائي، وبقية رجالهما ثقات». أهـ قلت: سويد قال الحافظ: «صدوق سيىء الحفظ له أغلاط، وقد أفحش ابن حبان فيه القول».

(١٦٩) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/٥١٩) والبخاري في الأدب (٨١١) وفي «خلق أفعال العباد» (ص ٦٨) والبزار (كشف: ٢٨٨٩) والطبراني في الكبير (٢٢/١٨٠) وابن حبان (١٩٣٧، ١٩٣٨) والحاكم (١/٢٣) وصححه وسكت عليه الذهبي عن هانىء بن يزيد قال: قلت: يا رسول الله! أخبرني بشيء يُوجب لي الجنة؟ قال: «عليك بحسن الكلام، وبذل الطعام». وفي رواية: «أطعم الطعام، وأفش السلام». وإسناده حسن، وقال الهيثمي (٥/١٧): «رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات».

(١٧٠) أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (١/٢١٨ - ٢١٩) من طريق هشام بن القاسم عن نعيم بن أبي هند عن حذيفة، وهشام لم يوثقه غير ابن حبان، ونعيم لم يثبت له سماع من حذيفة.

(١٧١) أخرجه البخاري (١/٥٥) ومسلم (١/٦٥) عن عبد الله بن عمرو.

(١٧٢) أخرجه أحمد (٥/١٦) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١/١٥٣) عن صهيب، وفيه حمزة بن صهيب لم يوثقه غير ابن حبان، وقال الحافظ: مقبول. وعبد الله بن محمد بن عقيل =

فإطعامُ الطعام يُوجبُ دخول الجنة، ويُباعدُ من النار ويُنجي منها كما قال تعالى: ﴿فلا اقْتحمَ العَقَبَةَ ○ وما أدْراك ما العقبةُ ○ فكُّ رقَبةٍ ○ أو إطعامٌ في يوم ٍ ذي مسْغَبةٍ ○ يتيماً ذا مقربةٍ ○ أو مِسكيناً ذا مَتربةٍ ○﴾[173] [البلد: ١١ - ١٦]. وفي الحديث الصحيح عن النبي - ﷺ - : «اتقوا النارَ ولو بشق تمرة».[174]

وكان أبو موسى الأشعري يقول لولده: «اذكروا صاحبَ الرغيف». ثم ذكر أن رجلاً من بني اسرائيل عبدَ الله سبعين سنةً، ثم إن الشيطان حسَّنَ في عينيه امرأة فأقامَ معها سبعةَ أيام ٍ، ثم خرج هارباً فأقام مع مساكين فتُصُدِّقَ عليه برغيفٍ كان بعض أولئك المساكين يريده، فآثرد به ثم مات، فوُزِنَ عبادته بالسبعةِ الأيام ِ التي مع المرأة فرجحت الأيامُ السبعةُ بعبادته، ثم وُزِنَ الرغيفُ بالسبعةِ الأيام ِ فرجحَ بها[175].

ويتأكَّدُ إطعامُ الطعام ِ للجائع ِ وللجيران خصوصاً، وفي الصحيح عن

= والجمهور على تضعيفه، وقال الهيثمي (١٧/٥): «رواه أحمد، وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وحديثه حسن وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات». أهـ قلت: يغني عنه الحديث السابق.

(١٧٣) العقبة هي جهنم، وقوله (وما أدراك ما العقبة) أي: ما أدراك ما تجاوزها ثم بيّن ذلك وقوله (يوم ذي مسغبة) أي ذي مجاعة، و(ذا متربة) أي: ذا فقر مدقع كأنه لصق بالتراب. فالمعنى الإجمالي: فهلا أنفق ماله في فك الرقاب وإطعام المحتاجين ليجاوز بذلك العقبة؟!. (انظر زاد المسير لابن الجوزي: ١٣٣/٩ - ١٣٥)

(١٧٤) أخرجه البخاري (١١/ ٤٠٠) ومسلم (٢/ ٧٠٣، ٧٠٤) من حديث عدي بن حاتم.

(١٧٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٦٣) عن أبي موسى موقوفاً، وقد اختصره المصنف وسنده ضعيف، فيه أبو عثمان قال ابن المديني: «لم يرو عنه غير سليمان التيمي، وهو مجهول». (التهذيب: ١٢/ ١٦٣).
وقد رُوي نحوه مرفوعاً من حديث أبي ذر، أخرجه ابن حبان (٨٢٠) بسند واه، فيه غالب بن وزير قال العقيلي: «حديثه منكر لا أصل له». ووثقه ابن حبان (اللسان: ٤/ ٤١٦) وقال الذهبي في المغني (٤٦٨٠): «هالك». وأخرج البيهقي في الشعب (١/ق ٥٥٩/ب) نحو هذه القصة عن ابن مسعود بسند لا بأس به.
وفي كنز العمال (٦/ ٢١٠): «قال الحافظ ابن حجر في أطرافه: رواه أحمد في الزهد عن مغيث بن سُمَيّ مقطوعاً وهو أشبه، ومغيث تابعي أخذ عن كعب الأحبار وغيره». أهـ.

أبي موسى الأشعري عن النبي - ﷺ - قال: «أطعموا الجائع، وعُودوا المريض، وفُكّوا العاني[176]»[177]. وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي - ﷺ - قال له: «يا أبا ذر! إذا طبخت مرقةً فأكثر ماءَها، وتعاهد جيرانك»[178]. وفي المسند وصحيح الحاكم[179] عن عمر عن النبي - ﷺ - قال: «أيُّما أهلِ عَرْصَةٍ[180] أصبح فيهم امرؤٌ جائعاً فقد بَرِئت منهم ذمَّةُ الله - عز وجل -.»[181] وقال - ﷺ -: «لا يشبعُ المؤمنُ دونَ جارِه»[182]. وفي صحيح الحاكم عن ابن عباس عن النبي - ﷺ - قال: «ليس بالمؤمن الذي يشبعُ وجارُه جائعٌ»[183]. وفي روايةٍ: «ما آمن من بات شبعاناً، وجارُه طاوياً».

---

(١٧٦) هو الأسير، وكل من ذَلَّ واستكان وخضع فقد عنا. (النهاية: ٣/٣١٤)

(١٧٧) أخرجه البخاري (٩/٥١٧) عن أبي موسى.

(١٧٨) أخرجه مسلم (٤/٢٠٢٥) عن أبي ذر.

(١٧٩) في الأصل و(ط): «ابن حبان» والمثبت من (أ) و(ب) حيث إن الحديث لم يروه ابن حبان.

(١٨٠) هي كل موضع واسع لا بناء فيه (النهاية: ٣/٢٠٨).

(١٨١) قطعة من حديث أخرجه ابن أبي شيبة (٦/١٠٢) وأحمد (٢/٣٣) وأبو يعلى (المقصد العلي: ق ٥٥/أ) والبزار (الكشف: ١٣١١) والطبراني في الأوسط (مجمع البحرين: ق ١٧٢) والحاكم (٢/١١ - ١٢) وأبو نعيم في الحلية (٦/١٠٠ - ١٠١) عن ابن عمر - وليس عمر كما وهم المصنف -، وسنده واه فيه أبو بشر صاحب أبي الزاهرية، قال في التعجيل (ص ٤٦٩): «وهّاه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم: لا أعرفه». أهـ وهو في أسانيدهم جميعاً إلا الحاكم، ففيه عمرو بن الحصين العقيلي، وهو ضعيف جداً.
وقال أبو حاتم - كما في العلل لابنه (١/٣٩٢) -: «هذا حديث منكر». أهـ وقال ابن حزم في المحلي (٩/٦٤): «لا يصح، لأن أصبغ بن زيد وكثير بن مرة مجهولان». أهـ كذا قال وقد وُثِّقا، وعلة الحديث أبو بشر، والحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات (٢/٢٤٢).
وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: «عمرو - يعني ابن الحصين - تركوه، وأصبغ فيه لين». أهـ وقال الهيثمي (٤/١٠٠): «وفيه أبو بشر الأملوكي ضعّفه ابن معين» أهـ. وخالفهم المنذري (٢/٥٨٢) فقال: «في هذا المتن غرابة، وأسانيده جيدة». ولا يخفى تساهله - رحمه الله -.

(١٨٢) أخرجه أحمد في المسند (١/٥٤) وفي الزهد ص ١١٨ - ومن طريقه الحاكم (٤/١٦٧) - وأبو نعيم في الحلية (٩/٢٧) عن عمر بلفظ: «لا يشبع الرجل...» وفيه إنقطاع، قال الهيثمي (٨/١٦٧ - ١٦٨): «رواه أحمد وأبو يعلى ببعضه ورجاله رجال الصحيح إلا أن عباية بن رفاعة لم يسمع من عمر». أهـ قلت: قال ذلك أبو زرعة كما في المراسيل ص ١٥١ ومع هذا فقد قال الذهبي في التلخيص: «سنده جيد»!

(١٨٣) أخرجه البخاري في الأدب (١١٢) والتاريخ الكبير (٥/١٩٥) والطبراني في الكبير

فأفضلُ أنواعِ إطعامِ الطعام: الإيثار مع الحاجة كما وصفَ الله تعالى بذلك الأنصار [- رضي الله عنهم -](١٨٤) فقال: ﴿ **ويُؤثِرون علىٰ أنْفُسِهم ولو كانَ بهمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ [الحشر: ٩]، وقد صحَّ أنَّ سببَ نُزولها أنَّ رجلاً منهم أخذ ضيفاً من عند النبي - ﷺ - يُضَيِّفُهُ، فلم يجد عنده إلا قوتَ صبيانه، فاحتال هو وامرأته حتى نوّما صبيانَهما، وقام إلى السِّراج كأنه يُصلحه فأطفأه، ثم جلس مع الضيف يُريه أنه يأكلُ معه ولم يأكلْ، فلما غدا على رسول الله - ﷺ - قال له: «عَجِبَ الله من صنيعِكُمَا الليلةَ». ونزلت الآية(١٨٥).

وكان كثير من السلف يؤثر بفطوره(١٨٦) وهو صائمٌ ويُصبح صائماً، منهم: عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما -، وداود الطائي، وعبد العزيز بن سليمان، ومالك بن دينار، وأحمد بن حنبل وغيرهم. وكان ابن عمر لا يُفطرُ إلا مع اليتامى والمساكين، وربّما علمَ أن أهله قد ردُّوهم عنه فلم يُفطرْ في تلك الليلة(١٨٧).

ومنهم من كان لا يأكل إلا مع ضيفٍ له، قال أبو السوار العدوي: كان

= (١٢/١٥٤) والحاكم (٤/١٦٧) وصححه وسكت عليه الذهبي والخطيب في تاريخه (١٠/٣٩١ - ٣٩٢) من طريق عبد الله بن المساور عن ابن عباس، وابن المساور مجهول كما قال ابن المديني، ووثقه ابن حبان. (التهذيب: ٦/٢٧)
وقال المنذري (٣/٣٥٨) والهيثمي (٨/١٦٧): «رواه الطبراني وأبو يعلى ورجاله ثقات». أهـ
أما الرواية الأخرى فقد أخرجها الطبراني في الكبير (١/٢٣٢) والبزار - كما في المجمع (٨/١٦٧) - من حديث أنس، وقال الهيثمي: إسناد البزار حسن». أهـ وحسنه أيضاً المنذري (٣/٣٥٨) والحافظ في القول المسدد ص ٢٧. فالحديث بهذين الطريقين حسن على أقل أحواله، وله طريق ثالث من حديث عائشة لكنه واه، أخرجه الحاكم (٢/١٢) وفيه عبد العزيز بن يحيى المدني كذبه ابراهيم بن المنذر وأبو مصعب. (التهذيب: ٦/٣٦٣)، وقال الذهبي في تلخيصه: «قلت: عبد العزيز ليس بثقة». أهـ

(١٨٤) زيادة من (ب) و(ط).
(١٨٥) أخرجه البخاري (٨/٦٣١) ومسلم (٣/١٦٢٤) من حديث أبي هريرة بنحوه.
(١٨٦) في (ط) زيادة: (غيره).
(١٨٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/٢٩٨) عن ميمون بن مهران بنحوه، وسنده جيد.

رجالٌ من بني عدي يُصلّون في هذا المسجد، ما أفطرَ أحد منهم على طعامٍ قط وحده، إن وجد من يأكل معه أكل، وإلا أخرجَ طعامه إلى المسجد فأكله مع الناس، وأكل الناس معه.

وكان منهم من يُطعم إخوانه الطعام وهو صائم، ويجلس يخدمهم ويُروِّحهم ـ منهم الحسنُ وابنُ المبارك، وكان ابن المبارك ربما يشتهي الشيءَ فَلا يصنعه إلا لضيفٍ ينزل به فيأكله مع ضيفه، وكان كثيرٌ منهم يُفضل إطعامَ الإخوان على الصدقة على المساكين، وقد رُوي هذا المعنى مرفوعاً من حديث أنس بإسنادٍ ضعيف(١٨٨)، ولا سيّما إن كان الإخوان لا يجدون مثل ذلك الطعام. كان بعضهم يعملُ الأطعمةَ الفاخرةَ ثم يطعمها إخوانه الفقراء، ويقول: إنّهم لا يجدونها. وبعضهم يَصنع له طعاماً ولا يأكل، ويقول: إني لا أشتهيه، وإنما صنعته لأجلكم. وبعضهم اتَّخذ حلاوةً فأطعمها المعتوه، فقال له أهله: إنَّ هذا لا يدري!. فقال: لكن الله يدري.

واشتهى الربيع بن خيثم حلواء، فلما صُنعت له دعا بالفقراء فأكلوا، فقال له أهله: أتعبتنا ولم تأكل!. فقال: ومن أكله غيري!(١٨٩). وقال آخرٌ منهم ـ وجرى له نحو من ذلك ـ: إذا أكلته كان في الحشِّ، وإذا أطعمته كان عند الله مذخوراً. ورُوي عن علي قال: لأن أجمعَ أُناساً من إخواني على صاعٍ من طعام، أحبُّ إليَّ من أن أدخُلَ سوقكم هذا فأبتاعَ نسمةً فأُعتِقها. وعن أبي جعفر محمد بن علي قال: لأن أدعو عشرةً من أصحابي فأطعمهم طعاماً يشتهونه أحبُّ إليَّ من أن أعتقَ عشرةً من ولد إسماعيل.

أأصِفُ الإيثارَ لمن يبخلُ بأداء الحقوق الواجبة عليه؟! أأطلب الشجاعة

---

(١٨٨) لعله يقصد ما أخرجه الديلمي ـ كما في كنز العمال (٦/ ٢٣٣) ـ عن أنس مرفوعاً: «لأن تدعو أخاك المسلم فتطعمه وتسقيه أعظم لأجرك من أن تتصدق بخمسة وعشرين درهماً». ومفاريد الديلمي يغلب عليها الوضع والضعف، وقد جعل السيوطي ـ كما في مقدمة الكنز (١/ ٨) ـ عز والحديث إليه معلماً بضعفه.

(١٨٩) لأنه قد انتفع به من جهة الأجر، فوقع الأجر له وإن أكل الطعامَ غيره في الحقيقة.

من الجبان، وأستشهدُ على رؤية الهلال مَنْ هو من جملة العُميان؟! كم بين مَنْ قيل فيه: ﴿فلمّآ آتاهم من فضلِه بَخِلوا به﴾ [التوبة: ٧٦] وبين من قيل فيه: ﴿ويُؤثِرون على أنفسِهم ولو كان بهم خَصاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. ؟! بيننا وبين القوم كما بين اليقظة والنوم:

لا تَعْرِضَنَّ لذكرنا في ذكرهم   ليس الصحيحُ إذا مشىٰ كالمقعد

فيا مَنْ يطمعُ في عُلوِّ الدرجات من غير عملٍ صالح هيهات هيهات! ﴿أَمْ حَسِبَ الذين اجْتَرحوا السيئاتِ أن نجعلَهم كالذين آمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ﴾ [الجاثية: ٢١]:

نزلوا بمكة في قبائلَ نوفلٍ(١٩٠)   ونزلتُ بالبيداء أبعدَ منزل

(الثاني(١٩١) من الدرجات): لينُ الكلام، وفي رواية: «إفشاء السلام». وهو داخلٌ في لين الكلام، وقد قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿وقُولوا للناس حُسناً﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسنُ فإذا الذي بينَك وبَينَهُ عداوةٌ كأنَّهُ وليٌّ حميم ○ وما يُلقّاهآ إلا الذين صبروا وما يُلقّاهآ إلا ذُو حظٍّ عظيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿ولا تُجادِلوآ أهلَ الكتابِ إلا بالتي هيَ أحسنُ إلا الذين ظلموا منهم﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ولمّا قال النبي ـ ﷺ ـ: «الحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة» قالوا له: وما الحج المبرور(١٩٢) يا رسول الله؟ قال: «إطعام الطعام، ولين الكلام»(١٩٣). خرّجه الإمام أحمد، وقد تقدَّم في ذكر

---

(١٩٠) في (ا) و(ب): «هاشم».

(١٩١) في (ط) (الفصل الثالث) وهو خطأ ظاهر.

(١٩٢) في (أ) و(ب): «وما برُّ الحج» وهكذا جاء في بعض روايات الحديث.

(١٩٣) أخرجه أحمد (٣/٣٢٥، ٣٣٤) عن جابر بن عبد الله، وفيه محمد بن ثابت البناني وهو ضعيف كما في التقريب، ولذا قال الحافظ في الفتح (٣/٣٨٢): «في إسناده ضعف» أهـ وأخرجه الطبراني في الأوسط (مجمع البحرين: ق ١٤٥) من وجه آخر عن جابر، وسنده حسن فيه بشر بن الوليد الكندي اختلف في توثيقه. (اللسان: ٢/٣٥). وقال المنذري في=

إطعامِ الطعام أحاديثُ أُخَر في طِيب الكلام، وفي حديث الصحيح عن النبي - ﷺ - : «والكلمةُ الطيّبة صدقة»(١٩٤)، وفيه أيضاً: «اتّقوا النار ولو بشِقّ تمرة، فمن لم يجد فبكلمةٍ طيبةٍ»(١٩٥).

وأما إفشاء السلام فمن مُوجِبات الجنة، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، ألا أدُلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟! أفشوا السلام بينكم»(١٩٦). وخرّج أبو داود من حديث أبي أمامة عن النبي - ﷺ - قال: «إنّ أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام»(١٩٧). ويُروى من حديث ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً: «إذا مرّ الرجل بالقوم فسلّم عليهم فرَدُّوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكّرهم بالسلام، وإن لم يردُّوا عليه ردَّ عليه ملأٌ خيرٌ منهم وأطيب.»(١٩٨)

= الترغيب (٢/١٦٥): «رواه أحمد والطبراني في الأوسط بإسناد حسن». أهـ وقال الهيثمي (٣/٢٠٧): «رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن». أهـ

وأخرجه الحاكم (١/٤٨٣) وصححه وسكت عليه الذهبي والبيهقي (٥/٢٦٢) من طريق آخر عن جابر مختصراً، وفيه أيوب بن سويد الرملي ضعيف لم يوثق.

وصدر الحديث ثابت في الصحيحين من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري (٣/٥٩٧) ومسلم (٢/٩٨٣)، وبالرغم من كونه فيهما فقد أبعد النجعة بعض المعاصرين فادّعى أنه حسن!!

(١٩٤) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٦/١٣٢) ومسلم (٢/٦٩٩) عن أبي هريرة.

(١٩٥) تقدم برقم (١٧٤).

(١٩٦) أخرجه مسلم (١/٧٤) عن أبي هريرة.

(١٩٧) أخرجه أبو داود (٥١٩٧) عن أبي أمامة بسند صحيح، وقال النووي في الرياض (٨٥٨) والمناوي في التيسير (١/٣١٦): «إسناده جيد».

وله طرق أخرى عند الترمذي (٢٦٩٤) وعند أحمد (٥/٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٩) والطبراني في الكبير (٨/٢١٠، ٢٣٧، ٢٥٢) وعند ابن السني (٢١٢) ولكنها واهية.

(١٩٨) أخرجه البزار (كشف: ١٩٩٩) والطبراني في الكبير (١٠/٢٢٤ - ٢٢٥) عن ابن مسعود مرفوعاً وسنده لا بأس به، وأخرجه البزار (١٩٩٩) والطبراني (١٠/٢٢٤) من وجه آخر عنه مرفوعاً، وفيه (عبد الرحمن بن شريك القاضي عن أبيه) وقد ضُعِّفا.

وقال المنذري في الترغيب (٣/٤٢٨): «وأحد إسنادي البزار جيد قوي». أهـ وقال الهيثمي (٨/٢٩): «رواه البزار بإسنادين، والطبراني بأسانيد، وأحدهما رجاله رجال الصحيح عند البزار والطبراني». أهـ أما الموقوف فقد أخرجه البخاري في الأدب (١٠٣٩) بسند قوي، وقال الحافظ في الفتح (١١/١٣): «وطريق الموقوف أقوى». أهـ

وقد رُوي من حديث عمران بن حصين وغيره أن رجلاً دخل على النبي - ﷺ - فقال: السلام عليكم. فقال النبي - ﷺ - : «عشرٌ»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله. فقال رسول الله - ﷺ - : «عشرون»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال رسول الله - ﷺ - : «ثلاثون»(١٩٩). خرّجه الترمذي وغيره، وخرّجه أبو داود، وزاد: ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته. فقال النبي - ﷺ - : «أربعون» ثم قال: «هكذا تكون الفضائل»(٢٠٠).

وقد سبق حديث: «أن تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»(٢٠١) وفي حديث ابن مسعود مرفوعاً: «من أشراطِ الساعةِ: السلامُ بالمعرفة». (٢٠٢) خرَّجه الإمام [أحمد](٢٠٣).

---

(١٩٩) أخرجه أحمد (٤/ ٤٣٩ - ٤٤٠) والدارمي (٢/ ٢٧٧ - ٢٧٨) وأبو داود (٥١٩٥) - وعنه النسائي في عمل اليوم والليلة (٣٣٧) - والترمذي (٢٦٨٩) وقال: «حسن صحيح» والطبراني في الكبير (١٨/ ١٣٤) عن عمران بسند حسن، وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار - كما في الفتوحات الربانية (٥/ ٢٨٩) -، وقوّى إسناده في الفتح (١١/ ٦).
وللحديث شواهد عن عدة من الصحابة انظرها في: المجمع (٨/ ٣٠ - ٣١) والدر المنثور (٢/ ١٨٨) والفتوحات (٥/ ٢٩٠ - ٢٩١).

(٢٠٠) هذه الزيادة أخرجها أبو داود (٥١٩٦) والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٨٢) من حديث معاذ بن أنس، وفيه أبو مرحوم عبد الرحيم بن ميمون، وسهل بن معاذ، وقد ضعّفهما ابن معين وغيره، ولذا قال الحافظ في الفتح (١١/ ٦): «سنده ضعيف». أهـ

(٢٠١) تقدم ص ٧٥.

(٢٠٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٧) والطبراني في الكبير (٩/ ٣٤٤) عن ابن مسعود، وفيه مجالد بن سعيد، وأخرجه أحمد (١/ ٤٠٥ - ٤٠٦) من طريق آخر، وفيه شريك القاضي وكلاهما ليس بالقوي.
وأخرجه الطبراني (٩/ ٣٤٣ - ٣٤٤) من طريق آخر عنه، وفيه الحكم بن عبد الملك ضعيف كما في التقريب، وأخرج أحمد (١/ ٤٠٧) والبخاري في الأدب (١٠٤٩) عنه مرفوعاً: «إنّ بين يدي الساعة تسليمَ الخاصة . . .» وفيه سيار أبو حمزة مقبول كما في التقريب، ووقع في الإسناد: (سيار أبو الحكم) وهو وهم كما هو مبين في تهذيب الكمال (١/ ٥٦٥) وتهذيب التهذيب (٤/ ٢٩٢ - ٢٩٣). فالحديث حسن بهذه الطرق.

(٢٠٣) زيادة من الأصول الأخرى.

وإنما جمعَ بين إطعامِ الطعام ولينِ الكلام ليكمُلَ بذلك الإحسانُ إلى الخَلق بالقول والفعل، فلا يتمُّ الإحسانُ بإطعام الطعام إلا بلين الكلام وإفشاء لسلام، فإنْ أساء بالقول بَطَلَ الإحسانُ بالفعل من الإطعام وغيره كما قال تعالى: ﴿يآ أيُّها الذين آمنوا لا تُبطِلوا صدقاتِكم بالمنِّ والأذى﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وربما كان معاملةُ الناس بالقول الحسن أحبَّ إليهم من[٢٠٤] الإحسان باعطاء المال كما قال لقمان لابنه: يا بُنيَّ! لِتكُنْ[٢٠٥] كلمتُك طيبةً، ووجهك منبسطاً، تَكُنْ أحبَّ إلى الناس ممن يُعطيهم الذهبَ والفضةَ. وقد كان النبي ـ ﷺ ـ يُلينُ القولَ لمن يشهدُ له بالشر فينتفي بذلك شرُّه، وكان ـ ﷺ ـ لا يواجه أحداً بما يكره في وجهه، ولم يكن ـ ﷺ ـ فاحشاً ولا متفحِّشاً.

ورُوي عن ابن عمر أنه كان يُنشد:

بُنيَّ إنَّ البرَّ شيءٌ هيِّنٌ ... وجهٌ طليقٌ وكلامٌ ليِّنٌ

ولبعضهم:

خُذ العفو وأمر بُعرف كما ... أُمِرتَ وأعرِضْ عن الجاهلينْ

ولِنْ في الكلام لكلِّ الأنام ... فمُستحسَنٌ من ذوي الجاهِ لينْ[٢٠٦]

وقد وصف الله ـ عز وجل ـ في كتابه أهلَ الجنة بمعاملة الخلق بالإحسان بالمال واحتمالِ الأذى، فقال تعالى: ﴿وسارعوآ إلى مغفرةٍ من ربِّكم وجَنَّةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ أُعِدَّتْ للمتقين ۝ الذين يُنفقون في السرّآء والضرّآء والكاظمين الغيظَ والعافين عن الناسِ والله يُحبُّ المُحسنين﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤] فالإنفاقُ في السرّاء والضرّاء يقتضي غايةَ الإحسان بالمال من الكثرة والقلة، وكظمُ الغيظ والعفو عن الناس يقتضي عدمَ المقابلة على السيئة من قولٍ وفعلٍ، وذلك يتضمّنُ إلانةَ القول، واجتنابَ الفُحشِ والإغلاظِ في المقال ولو كان مُباحاً، وهذا نهايةُ الإحسان، فلهذا قال تعالى: ﴿والله يحبُّ المحسنين﴾.

---

(٢٠٤) في (ط) زيادة: (إطعام الطعام و) وليست في الأصول.

(٢٠٥) كذا في الأصل و(ب)، وفي (أ) و(ط): (لأن تكن).

(٢٠٦) البيتان لأبي الفتح البستي.

ومن هــذا قـول بعضهم وقــد سُئل عن حُسنِ الخُلُق، فقــال: بـذلُ النَّدى[٢٠٧] وكفُّ الأذى. وهذاالوصفُ المذكور في القرآن أكملُ من هذا، لأنّـه وَصفَهم ببـذل الندى، واحتـمال الأذى. وحُسن الخُلُقِ يبلغُ بـه العبـدُ درجاتِ المجتهدين في العبادة، كما قال النبي - ﷺ - : «إنّ الـرجلَ ليـدركُ بحُسن خُلُقِه درجةَ الصائمِ النهارَ، القائمِ الليلَ»[٢٠٨]. ورُؤيَ بعضِ السلف في المنام فسُئلَ عن بعض إخوانه الصالحين، فقال: وأين ذلك؟! رُفِعَ في الجنة بحُسنِ خُلُقه.

ومما يُندَب إلى الإلانةِ القولِ فيه: الأمرُ بـالمعروف والنهيُ عن المنكـر، وأن يكـونَ بـرفقٍ كـما قـال تعـالى في حق الكفـار: ﴿وجـادِلهم بـالتي هيَ أحسنُ﴾ [النحـل: ١٢٥]، قال بعض السلف[٢٠٩]: مـا أغضبتَ أحداً فقَبِـلَ منـك. وكان أصحاب ابن مسعود إذا رأوا قوماً على مـا يُكره يقـولون لهم: مهـلاً مهلاً بارك الله فيكم[٢١٠]. ورأى بعض التابعين رجلاً واقفاً مع امـرأة فقال لهـما: إن الله يراكما، سترنا الله وإياكما. ودُعيَ الحسنُ إلى دعوةٍ، فجِيءَ بآنيـةِ فضةٍ فيهـا حلواء، فـأخذَ الحسنُ الحلواءَ فقلبهـا على رغيفٍ وأكـل منهـا، فقـال بعض من حضر: هذا نهيٌ في سكون[٢١١].

ورأى الفُضيل رجلاً يعبث في صلاته فزبره، فقال له الرجل: يا هذا!

---

(٢٠٧) الندى: السخاء والكرم. (لسان العرب: ١٥/٣١٥).

(٢٠٨) أخـرجه أبـو داود (٤٧٩٨) وابن حبان (١٩٢٧) والحـاكم (١/٦٠) وصححه عـلى شرطهـما وسكت عليه الذهبي والبغوي في شرح السنة (١٣/٨١، ٨٢) من طريق المطلب بن حنطب عن عائشة، والمطلب لم يسمع من عائشة كما قال أبو حاتم. (جامع التحصيل: ص ٣٤٧). وأخرجه البخاري في الأدب (٢٨٤) والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص ٩) عن أبي هريـرة، وفيـه فضيل بن سليـمان النميري ضعفـوه، وصـالـح بن خـوات بن صـالـح مقبـول كـما في التقريب.
وأخـرجه الـطبراني في الأوسط (مجمع البحـرين: ق ٢٦٣) والحاكم (١/٦٠) وصححـه على شرط مسلم وسكت عليه الذهبي من طريق آخر عن أبي هـريرة، وسنـده حسن، فالحـديث بهذه الطرق صحيح لغيره.

(٢٠٩) هو سليمان التيمي كما في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٩ للخلال.

(٢١٠) رواه الخلال ص ٨ عن الإمام أحمد قال: كان أصحاب ابن مسعود... فذكره.

(٢١١) رواه الخلال ص ٩.

ينبغي لمن يقوم لله أن يكون ذليلاً. فبكى الفُضيل، وقال له: صدقت. قال شعيب بن حرب: ربما مرَّ سفيان الثوري بقومٍ يلعبون الشِّطرنج، فيقول: ما يصنع هؤلاء؟ فَيُقال له: يا أبا عبد الله ينظرون في كتاب. فيُطأطيء رأسَه ويمضي، وإنما يريد بذلك ليُعلمَ أنه قد أنكر. وقال سفيان: لا يأمرُ بالمعروفِ ولا ينهى عن المنكرِ إلا من كانَ فيه خصالٌ ثلاثٌ: رفيقٌ بما يأمر، رفيقٌ بما ينهى، عدلٌ بما يأمر، عدلٌ بما ينهى، عالمٌ بما يأمر، عالمٌ بما ينهى[٢١٢]. وقال الإمام أحمد: الناسُ يحتاجون إلى مداراةٍ ورفقٍ في الأمر بالمعروف بلا غلظةٍ إلا رجلاً معلناً بالفسق[٢١٣] فإنه لا حُرمةَ له[٢١٤].

وكان كثير من السلف لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا سِرّاً فيما بينه وبين من يأمره وينهاه. وقالت أم الدرداء[٢١٥]: من وعظَ أخاه سرّاً فقد زانَهُ، ومن وعظه علانيةً فقد شانَهُ[٢١٦].

وكذلك مقابلة الأذى بالإلانة القول كما قال تعالى: ﴿**ادفعْ بالتي هيَ أحسنُ**﴾ [فصلت: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿**ويدرَؤُن بالحسنةِ السيئةَ أولَئك لهم عُقْبى الدَّارِ**﴾ [الرعد: ٢٢]، قال بعض السلف: هو الرجلُ يَسبُّه الرجلُ فيقول له: إن كنتَ صادقاً فغفرَ الله لي، وإن كنت كاذباً فغفرَ الله لك. قال رجلٌ لسالم بن عبدالله وقد زَحَمتْ راحلتُه راحلتَه[٢١٧] في سفرٍ: ما أراك إلا رجلَ سُوءٍ. فقال له سالم: ما أراك أبْعَدْتَ.

وقالت امرأة لمالك بن دينار: يا مُرائي!. قال: متى عرفت اسمي؟! ما عرفه أحدٌ من أهل البصرة غيرُكِ. ومرَّ بعضُهم على صبيانٍ يلعبون بجَوْزٍ،

---

(٢١٢) أخرجه الخلال ص ٨.

(٢١٣) في كتاب الخلال ص ٨ زيادة: «والردى فقد وجب عليك نهيه وإعلامه، لأنه يقال: ليس لفاسق حرمة، فهذا لا حرمة له».

(٢١٤) في (ط): «لا صبر عليه».

(٢١٥) في الأصل و(ط): (قال أبو الدرداء) والتصويب من (أ) و(ب) وكتاب الخلال.

(٢١٦) أخرجه الخلال ص ١٠ عن أم الدرداء موقوفاً، وفيه سعيد بن أبي سعيد الزبيدي ضعيف كان جرير يُكذِّبه. كذا في التقريب، وصالح بن زنبور وثور بن الأسود لم أقف على ترجمتيهما.

(٢١٧) سقطت من (ط).

فوطىء على بعض الجوز بغير اختياره فكسره، فقال له الصبي: يا شيخَ النار!. فجلس الشيخ يبكي ويقول: ما عرفني غيره. ومرّ بعضهم مع أصحابه في طريق فرموا عليهم رماداً، فقال الشيخ لأصحابه: من يستحق النار فصالحوه على الرماد؟! يعني فهو رابح.

ورأى جنديٌّ ابراهيمَ بن أدهم خارج البلد فسأله عن العمران، فأشار له إلى القبور، فضرب رأسه ومضى، فقيل له إنه ابراهيم بن أدهم! فرجع يعتذر إليه، فقال له ابراهيم: الرأسُ الذي يحتاجُ إلى اعتذارك تركته ببَلْخ. ومرَّ به جنديٌّ آخر وهو ينظرُ بُستاناً لقوم بأجرة، فسأله أن يُناوله شيئاً فلم يفعل وقال: إن أصحابَه لم يأذنوا لي في ذلك. فضرب رأسَه، فجعلَ ابراهيمُ يُطأطِيءُ رأسَه وهو يقولُ: اضرب رأساً طالما عصى الله(٢١٨).

من أجلك قد جعلتُ خدِّي أرضاً للشامت والحسود حتى ترضى

(الثالث من الدرجات): الصلاة [بالليل](٢١٩) والناسُ نيام، فالصلاة بالليل من موجبات الجنة كما سبق ذكره في غير حديثٍ، وقد دَلَّ عليه قولُ الله ـ عز وجل ـ: **﴿إنَّ المتقين في جناتٍ وعُيونٍ ○ آخذين مآ آتاهم ربُّهم إنهم كانوا قبلَ ذلك مُحسنين ○ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ○ وبالأسحارِ هم يستغفرون ○ وفي أموالِهم حقٌّ للسائلِ والمحرومِ﴾** [الذاريات: ١٥ ـ ١٩]، فوصَفَهم بالتيقُّظِ بالليل، والاستغفارِ بالأسحار، وبالإنفاقِ من أموالهم.

وكان بعضُ السلف نائماً فأتاه آتٍ في منامه فقال له: قم فصلِّ، أمَا علمت أن مفاتيحَ الجنةِ مع أصحابِ الليل، هم خُزّانها هم خُزّانها(٢٢٠).

---

(٢١٨) هذا ضعفٌ وخَوَر، وينبغي للمسلم أن يكون عزيز النفس أبيّاً لا يرضى بالذل والمهانة، ومثل هذه الحكايات نلاحظ فيها التأثر بحكمة نصرانية تقول: «إذا ضرب خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر». وهذا غير موجود في الإسلام، وقد أُلصقت بهذا الزاهد حكاياتٌ وأقوالٌ هو منها براء، قد افتراها عليه المتأخرون، فينبغي التثبت من صحتها قبل أن يُحكم على الرجل على ضوء هذه الروايات المختلقة فيكون الحكم جائراً ولابد.

(٢١٩) زيادة من (أ) و(ط).

(٢٢٠) في (أ) و(ط): «هم خزانها» بلا تكرار.

وقيامُ الليل يُوجبُ عُلوَّ الدرجات في الجنة، قال الله تعالى لنبيه ـ ﷺ ـ : **﴿ومن الليل فتهجَّدْ به نافلةً لك عسىٰ أنْ يبعثَك ربُّك مقاماً محموداً﴾** [الإسراء: ٧٩]، فجعلَ جزاءه على التهجُّد بالقرآن بالليل أن يبعثَهُ المقامَ المحمودَ، وهو أعلى درجاته ـ ﷺ ـ .

قال عون بن عبدالله: «إنَّ الله يُدخلُ الجنة أقواماً فيعطيهم حتى يَمَلُّوا، وفوقهم ناسٌ في الدرجات العُلىٰ، فلما نظروا إليهم عرفوهم، فقالوا: ربَّنا إخواننا كنا معهم، فبمَ فضّلتهم علينا؟ فيقول: هيهات هيهات! إنهم كانوا يجوعون حين تشبُعون، ويظمئون حين تَرْوُون، ويقومون حين تنامون، ويشخَصُون حين تخفضون»(٢٢١).

ويُوجب أيضاً نعيمَ الجنة ما لم يطَّلع عليه العبادُ في الدنيا، قال الله ـ عز وجل ـ : **﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُم عن المضاجع يدعون ربَّهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم يُنفقون ۝ فلا تعلم نفسٌ مآ أُخفِيَ لهم من قُرَّة أَعْيُنٍ جزآءً بما كانوا يعملون﴾** [السجدة: ١٦، ١٧]. وفي الصحيح عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «يقول الله ـ عز وجل ـ : أَعْدَدْتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سَمِعت، ولا خَطَر على قلبِ بشر. اقرءوا إن شئتم: (فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخفِي لهم من قُرَّةِ أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون)»(٢٢٢). قال بعض السلف*: أَخْفَوْا لله العملَ فأخفى الله لهم الجزاء، فلو قَدِموا عليه لأقرَّ تلك الأعين عنده.

ومما يَجزي به المتهجدين في الليل: كثرةَ الأزواج من الحُور العِين في الجنة، فإن المتهجِّدَ قد تركَ لذةَ النوم ولذة التمتع بأزواجه طلباً لما عند الله ـ عز وجل ـ ، فعوّضه الله تعالى خيراً مما تركه وهو الحُور العين في الجنة، ومن هنا قال بعض السلف: طولُ التهجُّدِ مهور الحور العِينِ في الجنة. وكان بعض السلف يُحيي الليلَ بالصلاة ففتر عن ذلك، فأتاه آتٍ في منامه فقال له: قد

---

(٢٢١) أخرجه ابن نصر في قيام الليل (مختصره ـ ص ٢٤)

* هو محمد بن كعب القرظي كما في قيام الليل (ص ١٣).

(٢٢٢) أخرجه البخاري (٨/٥١٥، ٥١٦) ومسلم (٤/٢١٧٤ ـ ٢١٧٥) عن أبي هريرة.

كنت يا فُلان تدأبُ في الخِطْبَةِ، فما الذي قصَّر بك عن ذلك؟. قال: وما ذلك؟. قال: كنتَ تقومُ من الليل، أَوَ ما علمت أن المتهجد إذا قام إلى التهجد قالت الملائكة: قد قام الخاطب إلى خِطبته؟!

ورأى بعضهم(٢٢٣) في منامه امرأةً لا تشبه نساء الدنيا فقال لها: من أنت؟ قالت: حوراءُ أمةُ الله. فقال لها: زوِّجيني نفسَك. قالت: اخطبني إلى سيدي وأمهرني. قال: وما مهرُك؟. قالت: طولُ التهجُّدِ.

نام(٢٢٤) بعض المتهجدين ذات ليلة فرأى في منامه حوراء تنشد:

أتخطبُ مثلي وعنِّي تنام ... ونومُ المحبين عنَّا حرام
لأنّا خُلقِنا لكلِ امرئٍ ... كثيرِ الصلاةِ براه الصيام(٢٢٥)

وكان لبعض السلف وِردٌ من الليل فنام عنه ليلةً، فرأى في منامه جاريةً كأنّ وجهها القمرُ ومعها رِقٌّ فيه كتاب، فقالت: أتقرأ؟. قال: نعم. فأعطته إياه ففتحه فإذا فيه مكتوب:

أألهتك لذةُ نَومةٍ عن خيرِ عيشٍ ... مع الخيرات في غُرَفِ الجنان(٢٢٦)
تعيش مخلّداً لا موتَ فيه ... وتنعُمُ في الجنان مع الحسان
تيَقّظ من منامك إن خيراً ... من النوم التهجُّدُ بالقُران

---

(٢٢٣) هو ثابت التغلبي كما في قيام الليل لابن نصر (مختصره - ص ٤٥).

(٢٢٤) في (ط): (قام) وهو تحريف.

(٢٢٥) أي: أهزله وأضعفه. (اللسان: ١٤/ ٧١)

(٢٢٦) هكذا في الأصل وهو موافق لما في قيام الليل لابن نصر (ص٤٥)، لكن في (أ) و(ب) وقع البيت هكذا: (أألهتك اللذائذ والأماني * عن الفردوس والظلل الدواني) وفي (ب) زيادة بيت على البيت المذكور في (أ):
(ولذة نومة عن خير عيش * مع الخيرات في غرف الجنان)
ووقع في (ط) الشطر الأول من البيت: (أتلهو بالكرى عن طيب عيش *). وفي الإحياء (١/ ٣٥٣) بدلاً من هذا البيت: (أألهتك اللذائذ والأماني * عن البيض الأوانس في الجنان) وفيه أن صاحب الحكاية: مالك بن دينار الزاهد المعروف.

فاستيقظ، قال: فوالله ما ذكرتها إلا ذهبَ عني النوم.

كان بعض الصالحين له وِردٌ فنامَ عنه، فوقف عليه فتى في منامه فقال له بصوت محزون:

تيقّظ لساعاتٍ من الليل يا فتى ... لعلك تحظى في الجنان بحورها
فتنعُمَ في دارٍ يدومُ نعيمُها ... محمدٌ فيها والخليلُ يزورها
فقمْ فتيقظْ ساعةً بعد ساعةٍ ... عساك تُوفّي ما بقيْ من مهورها(٢٢٧)

كان بعض السلف الصالحين كثيرَ التعبُّد، وبكى(٢٢٨) شوقاً إلى الله ستين سنة، فرأى في منامه كأنه على ضَفَّة نهرٍ يجري بالمسكِ، حافتاه شجرُ لؤلؤٍ ونبتٌ من قُضبان الذهب، فإذا بجوارٍ مُزيَّناتٍ يقلن بصوت واحد:

ذرانا(٢٢٩) إلهُ الناس ربُّ محمدٍ ... لقومٍ على الأقدام بالليل قُوَّمُ
يناجُون ربَّ العالمين إلههم ... وتسري همومُ القومِ والناسُ نُوَّمُ

فقال: بخٍ بخٍ لهؤلاء! من هم؟! لقد أقرّ الله أعينهم بكُنَّ. فقلن: أوَمَا تعرفهم؟! قال: لا. فقلن: بلى هؤلاء المتهجِّدون أصحابُ القرآن والسَّهرِ.

وكان بعض الصالحين ربما نام في تهجده فتوقِظُه الحوراءُ في منامه فيستيقظُ بإيقاظِها، ورُوي عن أبي سليمان الداراني أنه قال: ذهب بي النوم ذات ليلةٍ في صلاتي، فإذا بها ـ يعني: الحوراء ـ تنبِّهني وتقول: يا أبا سليمان! أترقُدُ وأنا أُربَّى لك في الخِدْرِ منذُ خمسمائة سنة؟!. وفي رواية عنه أنه نام ليلةً في سجوده قال: فإذا بها ركضتني برجلها وقالت: حبيبي أترقد عيناك والملكُ يقظانٌ ينظر إلى المتهجدين في تهجدهم؟ بؤساً لعين آثرت لذةَ نومٍ على مناجاة العزيز، قُمْ فقد دنا الفراغُ، ولقيَ المحبون بعضُهم بعضاً، فما هذا الرقادُ يا حبيبي وقُرّةَ عيني؟

---

(٢٢٧) هذا البيت غير موجود في (أ) و(ب).
(٢٢٨) في (ط) و(أ): (فبكى).
(٢٢٩) في (ط): (برانا).

أترقدُ عيناك وأنا أربىّ لك في الخدور منذ خمسمائة عام؟ فوثبَ فَزِعاً من توبيخها له، قال: وإن حلاوةَ مَنطِقها لفي سمعي وقلبي(٢٣٠).

وكان أبو سليمان يقول: أهلُ الليل في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليلُ ما أحببت البقاء في الدنيا. وقال يزيد الرقاشي لحبيبٍ العجمي: ما أعلم شيئاً أقرَّ لعيون العابدين في الدنيا من التهجد في ظلمة الليل، وما أعلم شيئاً من نعيم الجنان وسرورها ألذَّ عند العابدين ولا أقرَّ لعيونهم من النظر إلى ذي الكبرياء العظيم إذا رُفِعَت تلك الحُجُب وتجلّى لهم الكريم. فصاح حبيب عند ذلك وخرَّ مغشياً عليه.

وكان السَّريُّ يقول: رأيت الفوائدَ تردُ في ظلام الليل. وقال أبو سليمان: إذا جنَّ الليلُ وخلا كلُّ حبيب بحبيبه، افترشَ أهلُ المحبة أقدامَهم، وجرت دموعُهم على خدودِهم، أشرفَ الجليلُ - جل جلاله - فنادى؛ يا جبريلُ! بعيني من تلذَّذ بكلامي، واستروحَ إلى مُناجاتي، نادِ فيهم يا جبريل: ما هذا البكاء؟! هل رأيتم حبيباً يُعذِّب أحبَّاءه؟ أم كيف يَجْمُلُ بي أن أُعذِّبَ قوماً إذا جنَّهم الليل تملقوني؟ فبي حلفت إذا قَدِموا عليَّ يومَ القيامةِ لأكشِفَنَّ لهم عن وجهي ينظرون إليّ وأنظرُ إليهم(٢٣١).

وسُئل الحسنُ: لِمَ كان المتهجِّدون أحسنَ الناسِ وجوهاً؟. قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نُوراً من نُوره. رأت امرأةٌ من الصالحات في منامها كأن حُللاً قد فُرِّقت على أهل مسجد محمد بن جُحادة، فلما انتهى الذي يُفرِّقها إليه دعا بسَفَطٍ(٢٣٢) مختومٍ فأخرجَ منه حُلَّةً صفراء، قالت: فلم يقم لها بصري،

---

(٢٣٠) قد أسرف المصنف - رحمه الله - في إيراد مثل هذه الحكايات التي هي من نسج الخيال، وتظهر عليها لوائح الوضع والانتحال، وإن امرءاً لم يرغبه في قيام الليل ما ورد في الكتاب والسنة، لن يرغبه فيه أمثال هذه الحكايات الغثة.

(٢٣١) الإخبار عن الله - عزّ وجلّ - أمر عظيم، وما لم يرد في أحد الوحيين: كتاب الله وسنة رسول الله - ﷺ - فهو مردود على قائله.

(٢٣٢) كيس يُعبىء فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء. (اللسان: ٣١٥/٧)

فكساه إيّاها، وقال: هذه لك بطول السهر. قالت: فوالله لقد كنت أراه ـ تعني: محمد بن جُحادة ـ بعد ذلك فأتخايلُها عليه. ـ تعني تلك الحُلَّة ـ.

قال كرز بن وبرة: بلغني أنّ كعباً قال: إن الملائكة ينظرون من السماء إلى الذين يتهجدون بالليل كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء.

يا نفسُ فازَ الصالحون بالتُّقى ... وأبصرُوا الحقَّ[٢٣٣] وقلبي قد عُمي
يا حسنَهُم والليل قد جنَّهم ... ونورهم يفوقُ نورَ الأنجُمِ
ترنَّموا بالذكر في ليلهم ... فعيشهم قد طاب بالترنُّمِ
قلوبهم للذكر قد تفرَّغت ... دموعهم كلؤلؤ مُنظَّمِ[٢٣٤]
أسحارهم بهم لهم قد أشرقت ... وخِلعُ الغفران خيرُ القِسَمِ[٢٣٥]

في بعض الآثار يقول الله ـ عز وجل ـ كلَّ ليلة: يا جبريل أقم فُلاناً وأنم فلاناً. قام بعض الصالحين في ليلة باردةٍ، وكان عليه خلقانٌ رثَّةٌ فضربه البردُ فبكى، فسمِعَ هاتفاً يقول: أقمناك وأنمناهم، ثم تبكي!.

تنبَّهوا يا أهلَ وادي المنحنى ... كم ذا الكرى، هبَّ نسيمُ وجدي
كم بين خالٍ وجَوٍّ وساهرٍ ... وراقدٍ وكاتمٍ ومُبدي[٢٣٦]

قيل لابن مسعود: ما نستطيع قيام الليل. قال: أبعدتكم ذنوبكم.

وقيل للحسن: أعجزنا قيامُ الليل. قال: قيّدتكم خطاياكم. إنما يُؤهِّل الملوكُ للخلوة بهم ومخاطبتهم من يُخلصُ في وِدادهم ومعاملتهم، فأما من كان من أهل مخالفتهم فلا يرضونه لذلك:

الليلُ لي ولأحبابي أحادِثُهم ... قد اصطفيتُهم كي يسمعوا ويَعُوا
لهم قلوبٌ بأسرارٍ لها مُلئت ... على وِدادي وإرشادي لهم طُبِعوا
قد أثمرت شجراتُ الفهمِ عندَهم ... فما جَنوا إذ جَنَوا مما به ارتفعوا
سُرُّوا فما وهِنوا عجزاً وما ضَعُفوا ... وواصَلُوا حبلَ تقريبي فما انقطعوا

---

(٢٣٣) في المدهش: (الرشد).

(٢٣٤) في الأصل و(أ) و(ب): (منتظم)، والمثبت من المدهش و(ط).

(٢٣٥) الأبيات لابن الجوزي أنشدها في كتابه «المدهش» ص ٥٣٦.

(٢٣٦) في (ط): (معبدي)، وهو تحريف.

الفصل الثالث
في ذكر الدعوات المذكورة في هذا الحديث

وهي: «اللهم إني أسألك فعلَ الخيراتِ، وتركَ المنكراتِ، وحُبَّ المساكين، وأن تغفرَ لي وترحمني، وإذا أردت بقوم فتنةً فاقبضني إليك غيرَ مفتونٍ، وأسألُكَ حُبَّك، وحُبَّ من يُحبُّك، وحُبَّ العمل الذي يبلغني حُبَّك». فقال النبي -ﷺ-: «تعلَّمُوهُنَّ وادرسُوهُنَّ فإنَّهُنَّ حقٌّ».

هذا دعاءٌ عظيم من أجمع الأدعية وأكملها، فقوله -ﷺ-: **«أسألك فعلَ الخيراتِ وتركَ المنكراتِ»** يتضمن طلب كلِّ خير وتركَ كلِّ شرٍ، فإنَّ الخيرات تجمعُ كلَّ ما يحبُّه الله تعالى ويُقرِّبُ منه من الأعمال والأقوال من الواجبات والمستحبات، والمنكرات تشمل كلَّ ما يكرهه الله تعالى ويباعد منه من الأقوال والأعمال، فمن حصلَ له هذا المطلوب حصل له خير الدنيا والآخرة، وقد كان النبي -ﷺ- يستحب مثل هذه الأدعية الجامعة، قالت عائشة: كان النبي -ﷺ- يُعجِبُهُ الجوامعُ من الدعاء، ويدَعُ ما بين ذلك(٢٣٧). خرّجه أبو داود.

وقوله: **«وحبَّ المساكين»**. هذا قد يُقال أنه من جملة فعل الخيرات، وأفرده بالذكر لشرفه وقوةِ الاهتمام به، كما أفرد أيضاً ذكرَ حُبِّ الله تعالى وحُبِّ من يحبُّه وحبِّ عملٍ يُبلِّغه إلى حُبِّه، وذلك أصلُ فعل الخيرات كُلِّها، وقد يقال أنه طلب من الله ـ عزّ وجلّ ـ أن يرزقه أعمال الطاعات بالجوارح وترك المنكرات بالجوارح، وأن يرزقه ما يُوجب له ذلك، وهو حُبُّه وحُبُّ من يحبُّه وحُبُّ عملٍ

---

(٢٣٧) أخرجه أحمد (٦/١٤٨، ١٨٨ ـ ١٨٩) وأبو داود (١٤٨٢) وابن حبان (٢٤١٢) والحاكم (١/٥٣٩) وصححه وسكت عليه الذهبي عن عائشة، وسنده صحيح، وقال النووي في الأذكار ص ٣٣٣ والرياض (١٤٦٦): «إسناده جيد». أهـ وحسنه السخاوي في تتمة تخريج الأذكار ـ كما في الفتوحات الربانية (٧/١٩٢) ـ وصححه المناوي في التيسير (٢/٢٧٥).

يبلغه حبَّه، فهذه المحبةُ بالقلب موجبةٌ لفعل الخيرات بالجوارح ولترك المنكرات بالجوارح، وسألَ الله تعالى أن يرزقه المحبة فيه. فقد تَضَمَّنَ هذا الدعاءُ سؤالَ حبِّ الله ـ عزّ وجلّ ـ وحُبِّ أحبابه وحبِّ الأعمال التي تقرب من حبِّه والحب فيه، وذلك مُقتضٍ فعلَ الخيراتِ كلِّها. وتَضَمَّن ترك المنكرات والسلامة من الفتن، وذلك يتضمنُ اجتنابَ الشر كُلِّه، فجمعَ هذا الدعاء طلب خير الدنيا، وتضمَّن سؤال المغفرة والرحمة، وذلك يجمع خير الآخرة كله، فجمع هذا الدعاء خير الدنيا والآخرة.

والمقصود أنّ حبَّ المساكين أصلُ الحبِّ في الله تعالى، لأن المساكين ليس عندهم من الدُّنيا ما يُوجبُ محبتهم لأجله، فلا يُحَبُّونَ إلا لله ـ عزّ وجلّ ـ، و(الحبُّ في الله من أوثقِ عُرى الإيمان)، و(من علاماتِ ذوقِ حلاوةِ الإيمان)، وهو (صريحُ الإيمان)، وهو (أفضلُ الإيمانِ)، وهذا كلُّه مرويٌ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه وصفَ به الحبَّ في الله تعالى(٢٣٨)، ورُوي عن ابن عباس أنه قال: «به تُنالُ

(٢٣٨) وإليك بيان ذلك:

١ ـ حديث: «أوثق عُرى الإيمان الحبُّ في الله».

أخرجه الطيالسي (٧٤٧) وأحمد (٤/٢٨٦) وغيرهما عن البراء بن عازب، وأخرجه أحمد (٥/٢٤٧) وغيره عن معاذ، وأخرجه أحمد (٥/١٤٦) وأبو داود (٤٥٩٩) عن أبي ذر، وأخرجه الطيالسي (٣٧٨) والطبراني في الكبير (١٠/٢١١ ـ ٢١٢، ٢٧١ ـ ٢٧٢) والصغير (١/٢٢٣ ـ ٢٢٤) والحاكم (٢/٤٨٠) عن ابن مسعود، ولا تخلو أسانيدهم من ضعف، ولكنها ترتقي باجتماعها إلى درجة الحسن، وانظر تفصيل ذلك في كتابي «النهج السديد» (رقم الحديث: ٣٦٨).

٢ ـ حديث: «ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان» وذكر منها: «وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله».

أخرجه البخاري (١/٦٠) ومسلم (١/٦٦) عن أنس.

٣ ـ حديث: «لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله تعالى..» الحديث.

أخرجه أحمد (٣/٤٣٠) بسند ضعيف منقطع عن عمرو بن الجموح، وتفصيل ذلك في «النهج السديد» (رقم: ٣٦٧).

٤ ـ حديث معاذ بن أنس أنه سأل النبي ـ ﷺ ـ عن أفضل الإيمان. قال: «أن تحب لله وتبغض لله».

أخرجه أحمد (٥/٢٤٧) والطبراني في الكبير (٢٠/١٩١) وفيه رشدين بن سعد وزبان بن فائد وسهل بن معاذ وهم ضعفاء، وقد تابع الأول منهم: ابن لهيعة وهو ضعيف مثلهم.

ولايةُ الله، وبه يُوجدُ طعمُ الإيمان»(٢٣٩).

وحُبُّ المساكين قد وصّى به النبي -ﷺ- غيرَ واحدٍ من أصحابه، قال أبو ذر: أوصاني رسول الله -ﷺ- أن أُحِبَّ المساكين، وأن أدنوَ منهم(٢٤٠). خرّجه الإمام أحمد، وخرّج الترمذي عن عائشة أن النبي -ﷺ- قال لها: «يا عائشةُ! أَحبِّي المساكينَ وقرِّبيهم فإن الله يُقرِّبُك يوم القيامة»(٢٤١).

ويُروىٰ أن داود - عليه السلام - كان يجالس المساكين، ويقول: يا ربِّ مسكينٌ بين مساكين. ولم يزل السلفُ الصالح يُوصون بحُبِّ المساكين، كتب سفيانُ الثوري إلى بعض إخوانه: «عليك بالفقراء والمساكينَ والدُّنُو منهم، فإن رسول الله -ﷺ- كان يسألُ ربَّه حُبَّ المساكين».

وحُبُّ المساكين مستلزمٌ لإخلاص العمل لله تعالى، والإخلاص هو أساسُ الأعمال الذي لا تثبت الأعمال إلا عليه، فإن حبَّ المساكين يقتضي إسداءَ النفع إليهم بما يمكن من منافع الدين والدنيا، فإذا حصل إسداءُ النفعِ إليهم حُبًّا لهم والإحسانُ إليهم كان هذا العمل خالصاً، وقد دَلَّ القرآن على

---

(٢٣٩) اخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٥٣) عن ابن عباس موقوفاً، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣١٢/١) عن ابن عمر مرفوعاً، وأخرجه الطبراني في الكبير (٤١٧/١٢) عن ابن عمر موقوفاً، وفي أسانيدهم جميعاً: ليث بن أبي سليم وهو ضعيف لاختلاطه، وقد اضطرب في رواية هذا الحديث كما ترى.

(٢٤٠) أخرجه أحمد (١٥٩/٥) والطبراني في الأوسط (مجمع البحرين: ق ٤١٤) عن أبي ذر، وإسناده حسن فيه سلام بن سليمان أبو المنذر القارىء فيه كلام لا يُنزل حديثه عن رتبة الحسن.وأخرجه أحمد (١٧٣/٥) من طريق آخر عنه، وفيه عمر مولى غفرة ضعيف كما في التقريب، وفيه انقطاع بين محمد بن كعب القرظي وأبي ذر.
وقال الهيثمي (٢٦٣/١٠): «رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه، وأحد إسنادي أحمد ثقات». أهـ

(٢٤١) قطعة من حديث أخرجه الترمذي (٢٣٥٢) واستغربه - ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (١٤١/٣ - ١٤٢) - والبيهقي (١٢/٧) من طريق الحارث بن النعمان الليثي عن أنس، وسنده واه، الحارث قال عنه البخاري: منكر الحديث. وضعفه غيره. (التهذيب: ١٥٩/٢ - ١٦٠).
وقال الحافظ في التلخيص (١٠٩/٣): «إسناده ضعيف».

ذلك، قال - عزّ وجلّ -: **﴿ويُطعِمون الطعام على حُبِّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ○ إنما نُطعمكم لوجهِ الله لا نريدُ منكم جـزاءً ولا شُكوراً﴾** [الإنسان: ٨، ٩]، وقال - عزّ وجلّ -: **﴿ولا تطرُدِ الـذين يدعـون ربَّهم بالغَداةِ والعَشيِّ يُريـدون وجهَـهُ مـا عليـك من حِسـابِهم من شيءٍ ومـا مِنْ حِسَـابِـك عليهم مِنْ شيءٍ فتطرُدَهم فتكون مِنَ الظالمين﴾** [الأنعام: ٥٢]، وقال تعـالى: **﴿واصبرْ نفسَـك مع الذين يـدعون ربَّهم بـالغداةِ والعَشيِّ يـريدون وجهَـه ولا تعدُ عينـاك عنهم تريدُ زينةَ الحياة الدنيا﴾** [الكهف: ٢٨].

قال سعد بن أبي وقـاص: نزلت هـذه الآية في ستـةٍ: فيَّ وفي ابن مسعود وصُهيب وعمَّار والمقداد وبلال، قالت قريشٌ لرسول الله - ﷺ -: إنّا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهم فاطـردهم عنك. فـأنزل الله - عـزّ وجلّ -: **﴿ولا تـطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيِّ يريدون وجهه﴾** الآية(٢٤٢).

وقال خبّاب بن الأرت في هذه الآية: جاءَ الأقرعُ بن حابس وعيينةُ بن حصن فوجدوا رسول الله - ﷺ - مع صهيب وعمّار وبلال وخباب قاعداً في ناسٍ من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حولَ النبي - ﷺ - حقَّروهم، فأتوه فخلوا به، وقالوا: إنا نريد أن تجعلَ لنا منك مجلساً تعرفُ لنا به العربُ فضلَنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب(٢٤٣) مع هؤلاء الأَعْبُدِ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت. قال: نعم. قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً. قال: فدعا بصحيفةٍ، ودعا عليًّا ليكتب ونحن قعودٌ في ناحيةٍ فنزل جبريلُ - عليه السلام - فقال: **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعَشيِّ يُريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيءٍ وما من حسابك عليهم من شيءٍ فتطردَهم فتكون من الظالمين﴾** ثم ذكرَ الأقرعَ بن حابس وعيينةَ

(٢٤٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجة (٤١٢٨) والواحدي في أسباب النـزول (ص ١٤٥) عن سعد. وفيه قيس بن الربيع وقد اختلف في توثيقه.
لكن الحـديث أخرجـه مسلم (١٨٧٨/٤) عن سعد بمعنـاه، وليس فيـه ذكـر صهيب وعـمار والمقداد.

(٢٤٣) سقطتْ من (ط).

ابن حصن فقال : ﴿ وكذلك فتنَّا بعضهم ببعضٍ ليقولوآ أهؤلآء مَنَّ الله عليهم من بيننا أليسَ الله بأعلمَ بالشاكرين ﴾ [الأنعام : ٥٣] ثم قال : ﴿ وإذا جآءك الذين يؤمنون بآياتنا فقُلْ سلامٌ عليكم كتبَ ربُكم على نفسه الرحمةَ ﴾ [الأنعام : ٥٤] . قال : فدنونا منه حتى وضعنا رُكَبنا على رُكبتيه ، وكان رسول الله - ﷺ - يجلسُ معنا فإذا أرادَ أن يقومَ قام وتركنا ، فأنزل الله - عزّ وجلّ - : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربَّهم بالغداةِ والعَشيَّ يُريدون وجهَه ولا تعدُ عيناك عنهم ، ﴾ولا تجالس الأشراف ،﴿ولا تُطِعْ مَنْ أغفلنا قلبَهُ عن ذِكرِنَا ﴾ [الكهف : ٢٨] يعني : عيينةَ والأقرعَ . قال خباب : فكُنّا نقعُدُ مع النبي - ﷺ - فإذا بلغنا الساعةَ التي يقوم قمنا وتركناه حتى يقومَ(٢٤٤) . خرَّجه ابن ماجة وغيره .

وكان النبي - ﷺ - يعود المرضى من مساكين أهل المدينة ويُشيِّعُ جنائزَهم ، «وكان لا يأنفُ أن يمشيَ مع الأرملةِ والمسكين حتى يقضيَ حاجتها»(٢٤٥) ، وعلى هذا الهَدْي كان أصحابه من بعده والتابعون لهم بإحسان .

ورُوي عن أبي هريرة قال : كان جعفر بن أبي طالب يحبُّ المساكين ويجلس إليهم ، ويُحدِّثهم ويحدثونه ، وكان النبي - ﷺ - يُكنِّيه : أبا

---

(٢٤٤) أخرجه ابن ماجة (٤١٢٧) وابن أبي حاتم في التفسير - كما في تفسير ابن كثير (٢/١٣٤ - ١٣٥) - وابن جرير في تفسيره (٧/١٢٧ - ١٢٨) وأبو نعيم في الحلية (١/٣٤٤ - ٣٤٥) - ومن طريقه المزي في تهذيب الكمال (٣/١٦٤١) - عن خباب ، وسنده ضعيف ، فيه : أسباط بن نصر صدوق كثير الخطأ يغرب كما في التقريب ، واسماعيل بن عبد الرحمن السدي وفي توثيقه خلاف ، وأبو سعد الأزدي وأبو الكنود وكلاهما مقبول كما في التقريب.
قال ابن كثير في تفسيره (٢/١٣٥) : «هذا حديث غريب ، فإن هذه الآية مكية ، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر» . أهـ
ومع هذا فقد قال البوصيري في الزوائد : «إسناده صحيح ، ورجاله ثقات»! .

(٢٤٥) أخرجه الدارمي (١/٣٥) والنسائي (٣/١٠٩) والحاكم (٢/٦١٤) وصححه على شرطهما وسكت عليه الذهبي والخطيب في التاريخ (٨/٥) عن عبد الله بن أبي أوفى ، وسنده جيد .
وأخرجه الحاكم (٢/٦١٤) عن أبي سعيد الخدري ، وصححه على شرطهما وسكت عليه الذهبي ، وسنده جيد أيضاً .

المساكين(٢٤٦). وفي روايةٍ: أنه كان يُطعمُهم، ورُبَّما أخرج لهم عُكَّةً(٢٤٧) فيها العسلُ فشقُّوها ولَعِقوها(٢٤٨).

وكانت زينب بنت خزيمة أم المؤمنين تسمَّى أمَ المساكين لكثرة إحسانها إليهم، وقد تُوفِّيت في حياة النبي ـ ﷺ ـ.(٢٤٩) وقال ضرار بن مُرَّة في وصف علي بن أبي طالب في أيام خلافته: كان يُعظِّمُ أهلَ الدين، ويحبُّ المساكين. ومرَّ ابنه الحسنُ ـ رضي الله عنهما ـ على مساكين يأكلون، فدعَوْهُ فأجابَهم وأكل معهم، وتلا: ﴿إنَّه لا يُحبُّ المُستكبرين﴾ [النحل: ٢٣] ثم دعاهم إلى منزله فأطعمهم وأكرمهم. وكان ابن عمر لا يأكل غالباً إلا مع المساكين، ويقول: لعلَّ بعض هؤلاء أن يكون ملكاً يومَ القيامة.

وجاء مسكين أعمى إلى ابن مسعود ـ وقد ازدحم الناسُ عنده ـ فناداه: يا أبا عبد الرحمن! آويت أرباب الخزِّ واليمنية(٢٥٠) وأقصيتني لأجل أني مسكين. فقال له: أُدْنه. فلم يزل يُدنيه حتى أجلسه بجانبه أو بقربه. وكان مطرف بن عبد الله يلبسُ الثيابَ الحسنة ثم يأتي المساكين ويُجالسهم. وكان سفيان الثوري يُعظِّمُ المساكين ويجفو أهل الدنيا، فكان الفقراءُ في مجلسه هم الأغنياء، والأغنياءُ هم الفقراء. وقال سليمان التيمي: كنا إذا طلبنا عِليةَ أصحابِنا وجدناهم عند الفقراء والمساكين. وقال الفُضَيْل: من أراد عِزَّ الآخرة فليكُن مجلسُه مع المساكين.

ومن فضائل المساكين أنهم أكثرُ أهل الجنة كما قال النبي ـ ﷺ ـ: «قُمت

---

(٢٤٦) أخرجه الترمذي (٣٧٦٦) واستغربه وابن ماجة (٤١٢٥) والإسماعيلي في مستخرجه ـ كما في الفتح (٥٥٨/٩) ـ والطبراني في الكبير (١٠٩/٢) وأبو نعيم في الحلية (١١٧/١) عن أبي هريرة، وسنده واه، فيه ابراهيم بن الفضل المخزومي متروك كما في التقريب، وبه أعلّ الحديث الترمذي والحافظ.

(٢٤٧) وعاء من جلد مستدير يختص بالسمن والعسل. (النهاية: ٢٨٤/٣).

(٢٤٨) أخرجها البخاري (٧٥/٧) من حديث أبي هريرة.

(٢٤٩) انظر: طبقات ابن سعد (١١٥/٨).

(٢٥٠) أي أصحاب الثياب الفاخرة، يكني بذلك عن أهل الغنى والسعة.

على باب الجنة فإذا عامةُ من دخلها المساكين»[٢٥١]. وقال -ﷺ-: «تحاجَّت الجنة والنار، فقالت الجنةُ: لا يدخلني إلا الضعفاءُ والمساكين»[٢٥٢] وسُئل النبي -ﷺ- عن أهل الجنة، فقال: «كلُّ ضعيفٍ مُتضعِّفٍ»[٢٥٣]

وهم أول الناس دخولاً الجنة كما صحَّ عنه -ﷺ-: «أن الفقراءَ يسبقون الأغنياءَ إلى الجنة بأربعين عاماً»[٢٥٤]. وفي رواية: «أنهم يدخلون الجنة بنصف يومٍ، وهو خمسمائة سنة»[٢٥٥].

وهم أولُ الناس إجازةً على الصراط كما صحَّ عنه -ﷺ- أنه سُئل: من أول الناس إجازة على الصراط؟ فقال: «فقراء المهاجرين»[٢٥٦].

وهم أول الناس وروداً الحوضَ كما قال -ﷺ-: «أولُ الناس وروداً عليه: فقراءُ المهاجرين، الدُّنْسُ ثياباً والشُّعْثُ رُؤوساً[٢٥٧]، الذين لا يَنكِحُون

---

(٢٥١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (١١/٤١٥) ومسلم (٤/٢٠٩٦) من حديث أسامة بن زيد

(٢٥٢) أخرجه البخاري (٨/٥٩٥) ومسلم (٤/٢١٨٦ - ٢١٨٧) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم...» وفي رواية لمسلم: «يدخلني الضعفاء والمساكين».

(٢٥٣) أخرجه البخاري (٨/٦٦٢) ومسلم (٤/٢١٩٠) عن حارثة بن وهب الخزاعي مرفوعاً: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعِّف لو أقسم على الله لأبره...» الحديث.

(٢٥٤) أخرجه مسلم (٤/٢٢٨٥) من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ: «إن فقراء المهاجرين...».

(٢٥٥) أخرجها أحمد (٢/٣٤٣، ٤٥١) والترمذي (٢٣٥٣، ٢٣٥٤) وصححه والنسائي في الكبرى - كما في تحفة الأشراف (١١/٦) - وابن ماجة (٤١٢٢) وابن حبان (٢٥٦٧) من حديث أبي هريرة بسند حسن، فيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث كما قال الذهبي في المغني (٥٨٧٦).
وأخرجه أحمد (٢/٥١٢ - ٥١٣) من طريق آخر عن أبي هريرة، وفيه أبو بكر بن عياش وقد ساء حفظه لما كبر.
وللحديث شواهد عدة، فقد أخرجه أحمد (٢/٦٣) وأبو داود (٣٦٦٦) والبغوي في شرح السنة (١٤/١٩١ - ١٩٢) من حديث أبي سعيد، والترمذي (٢٣٥١) وابن ماجة (٤١٢٣) من طريق آخر عن أبي سعيد، وابن ماجه (٤١٢٤) من حديث ابن عمر، وهذه الطرق لا تخلو من ضعف، لكن الحديث يرتقي بها إلى الصحة.

(٢٥٦) قطعة من حديث أخرجه مسلم (١/٢٥٢) عن ثوبان.

(٢٥٧) وقع في الأصول: (الدنسة رؤوسهم، الشعثة ثيابهم) وهو قلبٌ ظاهر، والمثبت من كتب الحديث.

المُتَنعِّمات ، ولا تُفتحُ لهم السُّدَدُ(٢٥٨) »(٢٥٩) .

وهم أتباعُ الرسل كما أخبر الله تعالى عن نوح ـ عليه السلام ـ أن قومَه عيَّروه باتِّباع الضعفاءِ له فقالوا: ﴿أنؤمنُ لك واتَّبعَك الأرْذَلُون﴾[الشعراء: ١١١]، وكذلك قال هرقل لأبي سفيان لما سأله عن النبي ـ ﷺ ـ :وهل يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم. قال هرقل: هم أتباع الرسل(٢٦٠).

وهم أفضل من الأغنياء عند كثير من العلماء أو أكثرهم(٢٦١)، وقد دلَّ

---

(٢٥٨) الأبواب، جمع سُدَّة. (النهاية: ٢/٣٥٣)، وذلك لاحتقار الناس لهم.

(٢٥٩) أخرجه الطيالسي (٩٩٥) وأحمد (٥/٢٧٥ ـ ٢٧٦) والترمذي (٢٤٤٤) واستغربه وابن ماجة (٤٣٠٣) والحاكم (٤/١٨٤) وصححه وسكت عليه الذهبي وتمام في فوائده (ق ٤١/ب) من طريق أبي سلام ممطور عن ثوبان، وسنده صحيح لولا انقطاعه فممطور لم يسمع من ثوبان كما قال أحمد وابن معين وابن المديني. (التهذيب: ١٠/٢٩٦) وصححه المناوي في التيسير (١/٥٠٢).

وأخرجه الطبراني في الكبير (٢/٩٦، ٩٧) من طريقين عن ثوبان، أحدهما فيه الإنقطاع المذكور، والآخر لا بأس به في المتابعات. وقال الهيثمي (١٠/٢٦٠) عن رجال الطريق الأول: «رجال الصحيح». أهـ وأخرجه أحمد (٢/١٣٢) والطبراني في الكبير ـ كما في المجمع (١٠/٣٦٦) ـ من حديث ابن عمر، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني من رواية (عمر بن عمرو الأحموسي عن المخارق بن أبي المخارق)، وقد ذكرهما ابن حبان في الثقات، وشيخ أحمد: (أبو المغيرة) من رجال الصحيح». أهـ قلت: الأحموسي قال أبو حاتم ـ كما في الجرح والتعديل (٦/١٢٨) ـ: «لا بأس به صالح الحديث، وهو من ثقات الحمصيين». وقال المنذري في الترغيب (٤/٤٢٠): «رواه أحمد بإسناد حسن». أهـ

وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/١٤٠) من طريق أبي سلام عن أبي أمامة ، وهو منقطع ، فإن أبا سلام لم يسمع من أبي أمامة كما قال أبو حاتم . (المراسيل : ص ٢١٥) ، وفيه الحسن بن سهل الخياط ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/١٧) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وفيه مصعب بن سلام الأكثر على تضعيفه . (التهذيب : ١٠/١٦١) وقال المنذري في الترغيب (٤/٤٢٠) : « إسناده حسن في المتابعات » . أ هـ وقال الهيثمي (١٠/٣٦٦) : « رجاله وثقوا على ضعفٍ في بعضهم » . أهـ فالحديث بمجموع هذه الطرق حسن لغيره .

(٢٦٠) أخرجه البخاري (١/٣١ ـ ٣٢) ومسلم (٣/١٣٩٣ ـ ١٣٩٥) من حديث ابن عباس عن أبي سفيان.

(٢٦١) وقع في المفاضلة بين الفقر والغنى خلاف طويل بين أهل العلم، وقد بسطه الحافظ في الفتح =

علـى ذلك أدلـةٌ كثيرةٌ، منهـا قولُ النبي -ﷺ- حـين مـرَّ بـه الغنيُ والمسكـينُ في المسجد: «هذا - يعني: المسكـين - خيرٌ من مـلء الأرض من مثل هـذا - يعني: الغني -»[٢٦٢]. وقد خرجه البخاري [وغيره][٢٦٣].

ومنهم من لو أقسم على الله لأبرّه كما في الصحيح عن النبي -ﷺ- أنه قال في أهل الجنة: «كـل ضعيف متضعِّف لو أقسم على الله لأَبَرَّه»[٢٦٤]. وفي رواية: «أشعث ذو طمـرين»[٢٦٥]، وفي روايـة خـرّجهـا ابن مـاجـة: «أنهم ملوك الجنـة»[٢٦٦]، وفي الحديث المشهـور: «ربَّ أشعثَ أغبرَ ذي طمـرين مدفـوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه»[٢٦٧] خرّجه الحاكم وغيره.

= (١١/٢٧٤ - ٢٧٧) فراجعه إن شئت، وخير ما قيل في ذلك ما نقله ابن بطال عن أحمـد بن نصر الداودي أنه قال: «الفقر والغنى محنتان من الله يختبر بهما عباده في الشكر والصبر كما قال تعالى ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبلوهم أيُّهم أحسنُ عملاً﴾ [الكهف: ٧]، وقـال تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].»

ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أنـه لا تفاضل بين الإثنين، فليس الفقير أفضـل من الغني مطلقاً، وليس الغني أفضل من الفقير مطلقاً، بل أفضلهما أتقـاهما كـما قال تعـالى: ﴿إنّ أكـرمَكم عند الله أتقـاكم﴾ [الحجرات: ١٣]، وانتصر لـه أيما انتصـار، وأجـاب عن الأدلة التي يحتج بها القائلون بتفضيل الفقير على الغني - التي أورد المصنِّف معظمها - فراجعه في مجموع الفتاوى (١١/١٢٢ - ١٣٢) فإنه نافعٌ جداً، والله أعلم.

(٢٦٢) أخرجه البخاري (١١/٢٧٣) عن سهل بن سعد.

(٢٦٣) زيادة من الأصول الأخرى.

(٢٦٤) تقدم ص ٩٩.

(٢٦٥) أخـرج هذه الـرواية أحمـد (٣/١٤٥) من حديث أنس، وقـال الهيثمي (١٠/٢٦٤): «وفيه ابن لهيعة وحديثه يعتضد». أهـ وأخرجه ابن ماجة (٤١١٥) والـطبراني في الكبير (٢٠/٨٤) من حديث معاذ بن جبل مرفوعاً: «ألا أخـبرك عن ملوك الجنة؟ »قلت: بـلى. قال: «رجـلٌ ضعيف مستضعف ذو طمـرين...» وفي إسناده سـويـد بن عبـد العـزيـز السلمي، قـال الحافظ: لين الحديث. أهـ قلت: تركه أحمد (التهذيب: ٤/٢٧٦ - ٢٧٧)

وقال العراقي في تخريج الإحياء (٤/١٩٧): «سنده جيـد». أهـ وانظر: روايـات أخرى فـي ذكر ذي الطمرين في المجمع (١٠/٢٦٤ - ٢٦٥).

(٢٦٦) انظر التعليق السابق.

(٢٦٧) أخرجه الحـاكم (٤/٣٢٨) وصححه وسكت عليـه الذهبي وأبـو نعيم في الحلية (١/٧) من حديث أبي هريرة، وفيه كثير بن زيد لين الحديث، وقد اضطرب فيه، فرواه عن المـطلب بن =

رُبَّ ذي طمرين نِضْوٍ[٢٦٨] يأمَنُ العَالَمُ شَرَّهْ
لا يُرى إلاّ غنياً وهو لا يملكُ ذَرَّهْ
ثم لو أقسمَ في شيءٍ على اللهِ أبَرَّهْ

قال ابن مسعود: كونوا جُدَدَ القلوب، خُلْقَانَ الثياب، سُرُجَ الليل، مصابيحَ الظلام، تُعْرَفُون في أهل السماءِ، وتَخْفَوْن على أهلِ الأرض.

طوبى لعبدٍ بحبلِ الله مُعْتَصَمُه على صراطٍ سَويٍّ ثابتٍ قدمُه
رثّ اللباس جديدِ القلب مُستترٍ في الأرض مشتهرٍ فوق السما وَسْمُه
[ما زال يستحقرُ الأُولَى بهمَّته حتى ترقّى إلى الأخرى به هِمَمُه[٢٦٩]]
فذاك أعظمُ من التاج مُتَّكئاً على النمارق مُحْتَفاً به خَدَمُه

واعلم أن محبّة المساكين لها فوائدُ كثيرةٌ، منها: أنها تُوجبُ إخلاصَ العمل لله ـ عز وجل ـ، لأن الإحسانَ إليهم لمحبتهم لا يكون إلاّ لله ـ عز وجل ـ، لأن نفعَهم لا يُرجى غالباً. فأما من أحسنَ إليهم ليُمدحَ بذلك فما أحسنَ إليهم حبّاً لهم بل حبّاً لأهل الدنيا، وطلباً لمدحهم له بحب المساكين.

= عبد الله عن أبي هريرة ـ كما عند الحاكم ـ، ورواه عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة ـ كما عند أبي نعيم ـ، والمطلب ـ وهو ابن حنطب ـ لم يسمع من أبي هريرة، والوليد لا يُعرف له سماع من أبي هريرة.

وأخرجه الطبراني في الأوسط (مجمع البحرين: ق ٤٩٦) من حديث أنس، وقال الهيثمي (١٠/٢٦٤): «وفيه عبد الله بن موسى التيمي وقد وُثِّق، وبقية رجاله رجال الصحيح غير جارية بن هرم وقد وثقه ابن حبان على ضعفه». أهـ قلت: التيمي صدوق كثير الخطأ كما في التقريب.

وأخرجه البزار من حديث ابن مسعود، وقال الهيثمي (١٠/٢٦٤): «ورجاله رجال الصحيح غير جارية بن هرم، وقد وثقه ابن حبان على ضعفه». أهـ قلت: جارية تركه الساجي والدارقطني، وضعفه غيرهما. (اللسان: ٢/٩١ ـ ٩٢)

ويُغني عنه ما أخرجه مسلم (٤/٢١٩١) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرَّه».

(٢٦٨) أي: ذو ثياب خلقة بالية. (اللسان: ١٥/٣٢٩).

(٢٦٩) زيادة من الأصول الأخرى.

ومنها: أنها تزيلُ الكِبْر، فإن المستكبر لا يرضى مجالسةَ المساكين كما سبق عن رؤساء قريش والأعراب ومن حذا حذوهم من هذه الأمة ممن تشبّه بهم، حتى إنَّ بعضَ علماء السوء كان لا يشهدُ الصلاة في جماعة خشيةَ أن تُزاحمَه المساكين في الصف.

ويمتنع بسبب هذا الكبر خيرٌ كثير جداً، فإن مجالس الذكر والعلم يقعُ فيها كثيراً مجالسة المساكين، فإنهم أكثر هذه المجالس، فيمتنع المتكبر من هذه المجالس بتكبُّرِه، وربما كان المسموعُ منه الذكرُ والعلمُ من جملة المساكين، فيأنفُ أهل الكِبْر من التردُّد إلى مجلسه كذلك فيفوتهم خيرٌ كثير. وقد أخبر الله تعالى عن المشركين أنهم قالوا: ﴿**لولا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتين عظيمٍ**﴾ [الزخرف: ٣١] يشيرون إلى عظماء مكة والطائف كعُتبةَ بن ربيعة وأخيه شيبة ونحوهما من صناديدِ قريش وثقيف ذوي الأموال والشرف فيهم ممن كان أكثرَ مالاً من محمد - ﷺ - وأعظمُ رياسةً عندهم، وردَّ عليهم سبحانه بأنَّهُ يَقسِمُ رحمتَه كما يشاء، وأنه كما رفع درجات بعضهم على بعض في الدنيا فكذلك يرفعها في الآخرة، وأن رحمته(٢٧٠) بالنبوة والعلم والإيمان خيرٌ مما يجمعونه من الأموال التي تفنى، فهو يخصُّ بهذه الرحمة الدينية من يشاء ويرفعه على أهل النعم الدنيوية(٢٧١)، وقد خصَّ محمداً - ﷺ - بما لم يَشرِكه غيره من هذه النِّعم كما قال تعالى له: ﴿**وأنزل الله عليك الكتابَ والحكمةَ وعلَّمكَ ما لم تكنْ تعلمُ وكانَ فضلُ الله عليك عظيماً**﴾ [النساء: ١١٣].

وقد كان علي بن الحسين يجلس في مجلس زيد بن أسلم فيُعاتب على ذلك فيقول: إنما يجلسُ المرءُ حيث يكون له فيه نفعٌ. أو كما قال، يشيرُ إلى أنه ينتفعُ بسماعِ ما لم يسمعه من العلم والحكمة، وزيد بن أسلم أبوه مولى لعمر، وعلي بن الحسين سيدُ بني هاشم وشريفُهم.

---

(٢٧٠) سقط من (ط): (وأن رحمته).

(٢٧١) قال تعالى: ﴿**أهم يَقْسِمون رحمةَ ربِّك نحنُ قَسمْنا بينهم معيشتَهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعضٍ درجاتٍ ليتَّخِذَ بعضُهم بعضاً سُخرِيًا ورحمةُ ربك خيرٌ مما يجمعون**﴾ [الزخرف: ٣٢].

ولما اجتمع الزُهْرِيُّ وأبو حازم الزاهد بالمدينة عند بعض بني أمية ـ لمّا حجَّ ـ وسمِعَ الزهري كلامَ أبي حازم وحكمته أعجبَهُ ذلك، وقال: هو جاري منذ كذا وكذا، وما جالسته ولا عرفت أن هذا عنده! فقال له أبو حازم: أجل إني من المساكين، ولو كنت من الأغنياء لعرفتني فوبَّخه بذلك. وفي رواية عنه أنه قال له: لو أحببت الله أحببتني، ولكنك نسيتَ الله فنسيتَني. يشير إلى أنَّ من أحبَّ الله تعالى أحبَّ المساكين من أهلِ العلمِ والحكمة لأجل محبته لله تعالى، ومن غفلَ عن اللهِ تعالى غفلَ عن أوليائه من المساكين فلم يرفع بهم[٢٧٢] رأساً، ولم ينتفع بما اختصَّهم الله ـ عزّ وجل ـ به من الحكمةِ والعلومِ النافعة التي لا توجد عند غيرهم من أهل الدنيا.

وقد كان علماء السلف يأخذون العلم عن أهله والغالبُ عليهم المسكنةُ وعَدَمُ المالِ والرِّفعة في الدنيا، ويَدَعُون أهلَ الرياسات والولايات فلا يأخذون عنهم ما عندهم من العلم بالكُلِّيَّة[٢٧٣].

ومنها: أنه يُوجب صَلاحَ القلب وخشوعَه، وفي المسند عن أبي هريرة أن رجلاً شكى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ قسوةَ قلبه، فقال له: «إنْ أحببت أن يلينَ قلبُك فأطعمْ المسكينَ وامسحْ رأسَ اليتيم»[٢٧٤].

---

(٢٧٢) في (ط): (لهم) وهو تحريف.

(٢٧٣) هذا التعميم ليس في محله، فإن كثير من العلماء كانوا ولاةً وقضاةً ووزراء وتولوا رياسات عديدة، وليس هذا بمانع قبول العلم النافع منهم، أما من وصل إلى هذه المناصب عن طريق التزلف والمداهنة في حدود الله فهو من علماء السوء الذين لا ينبغي أخذُ العلم منهم، وإنما كَرِهَ السلف للعلماء أن يتولوا هذه الرياسات، لأن الوصول إليها ـ في الغالب ـ لا يخلو من مثل هذه المحظورات، والله أعلم.

(٢٧٤) أخرجه أحمد (٢/٢٦٣، ٣٨٧) من طريق أبي عمران الجوني عن رجل عن أبي هريرة، وسنده ضعيف لجهالة التابعي، ووقع في الرواية الثانية عند أحمد: (عن أبي عمران عن أبي هريرة) دون ذكر التابعي المبهم، وقال المنذري (٣/٣٤٩) والهيثمي (٨/١٦٠): «رجاله رجال الصحيح».

وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٧٤ عن أبي عمران الجوني مرسلاً، وفيه سيّار بن حاتم له مناكير كما قال غير واحد ورُوي من حديث أبي الدرداء، قال المنذري (٣/٣٤٩): «رواه =

ومنها: أنَّ مجالسةَ المساكين تُوجب رضى من يجالسُهم برزق الله - عز وجل -، وتعظُمُ عنده نعمةُ الله+عز وجل - عليه بنظره في الدنيا إلى من دونه. ومجالسة الأغنياء تُوجب التسخُّطَ بالرزق، ومدَّ العين إلى زينتهم وما هم فيه، وقد نهى الله - عز وجل - نبيَّه - ﷺ - عن ذلك فقال تعالى: **﴿ولا تَمُدَّنَّ عينيك إلى ما متَّعنا به أزواجاً منهم زَهْرةَ الحياةِ الدنيا لنفتِنَهم فيه ورزقُ ربِّك خيرٌ وأبقى﴾** [طه: ١٣١]، وقال النبي - ﷺ -: «انظروا إلى مَنْ دونَكم ولا تنظروا إلى من فوقَكم، فإنَّه أجدرُ أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»(٢٧٥). قال أبو ذر: أوصاني رسول الله - ﷺ - أن أنظرَ إلى من دوني ولا أنظرَ إلى من فوقي، وأوصاني أن أحبَّ المساكينَ وأن أدنوَ منهم(٢٧٦).

وكان عون بن عبد الله بن عتبة بنَ مسعود يجالسُ الأغنياءَ فلا يزالُ في غَمٍّ، لأنّه لا يزال يرى من هو أحسنُ منه لباساً ومَركباً ومسكناً ومطعماً، فتركهم وجالسَ المساكين فاستراح من ذلك.

وقد رُوي عن النبي - ﷺ - أنه نهى عائشة من مخالطة الأغنياء(٢٧٧).

= الطبراني في رواية بقية، وفيه راوٍ لم يُسَمَّ». وكذا قال الهيثمي (٨/١٦٠)
وأخرجه أبو نعيم (١/٢١٤) عنه، وفيه صاحب معمر لم يُسمَّ. وأخرجه الخرائطي ص ٧٥ عنه بسند منقطع، وشيخ الخرائطي لم أقف على ترجمته.
وكما ترى هذه الطرق كلها مشتركة في علة واحدة، وهي جهالة التابعي.

(٢٧٥) أخرجه مسلم (٤/٢٢٧٥) من حديث أبي هريرة.

(٢٧٦) تقدم برقم (٢٤٠).

(٢٧٧) أخرجه الترمذي (١٧٨٠) والحاكم (٤/٣١٢) وصححه والبغوي في شرح السنة (١٢/٤٤ - ٤٥) وابن الجوزي في الموضوعات (٣/١٣٩ - ١٤٠) عن عائشة قالت: قال لي رسول الله - ﷺ -: «إن أردتِ اللحوق بي فليكفكِ من الدنيا كزاد الراكب، وإياكِ ومجالسةَ الأغنياء..» الحديث. قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح بن حسان، قال: وسمعت محمداً - يعني البخاري - يقول: صالح بن حسان منكر الحديث».
أهـ قلت: قد أجمعوا على ضعفه كما قال الخطيب، وتركه النسائي وأبو نعيم، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات. (التهذيب: ٤/٣٨٤ - ٣٨٥).
وبه أعلَّ المنذري (٤/١٦٦) والحافظ - كما في الفيض (٣/٢٨) - الحديث، وقال الذهبي متعقباً تصحيح الحاكم: «قلت: الوراق - يعني: سعيد بن محمد - عَدَم». أهـ قلت: لكنه =

وقال عمر: إيّاكم والدخولَ على أهل السَّعَة فإنَّه مَسخطَةٌ للرزق.

واعلم أن المسكين إذا أُطْلِقَ يُراد به غالباً من لا مالَ له يكفيه، فإن الحاجة توجبُ السكون والتواضع، بخلاف الغنى فإنه يُوجب الطغيان، ولهذا ذُمَّ الفقيرُ المختال وعَظُمَ وعيده(٢٧٨) لأنه عصى بما ينافي فقره، وهو الاختيالُ والزَّهو والكِبْر.

ولما كان المسكين عند الإطلاق لا ينصرفُ إلاّ إلى مَنْ لا كفاية له مِن المال وصَّى الله تعالى بإيثار المساكين وإطعامهم الطعام، ومدحَ من يُطعِمهُم، وذَمَّ من لا يَحُضُّ على إطعامهم، وجعل لهم حقاً في أموال الصدقات والفيء وخُمس الغنائم وحضور قسمة الأموال.

وهؤلاء المساكين على قسمين، أحدهما: من هو محتاجٌ في الباطن وقد أظهر حاجتَه للناس، والثاني: من يكتُمُ حاجته ويُظهِرُ للناس أنه غنيٌ فهذا أشرفُ القسمين، وقد مدح الله ـ عز وجل ـ هذا في قوله تعالى: ﴿للفقرآءِ الذين أُحْصِروا في سبيلِ الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسَبُهم الجاهلُ أغنيآءَ من التَّعفُّفِ تعرفُهم بسيماهم لا يسألون الناسَ إلحافاً﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقال النبي ـ ﷺ ـ: «ليس المسكينُ بهذا الطوَّاف الذي تردُّه اللقمةُ واللقمتان والتمرةُ والتمرتان، ولكنَّ المسكينَ من لا يجدُ ما يُغنيه، ولا يُفطنَ له فيُتصدَّقَ عليه»(٢٧٩). وقال بعضهم: هذا المحروم المذكور في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿للسآئلِ والمحرومِ﴾ [الذاريات: ١٩]، فأخبرَ النبي ـ ﷺ ـ أن من كتمَ حاجتَه فلم يُفطن له أحقُّ باسم المسكين من الذي أظهر حاجته بالسؤال، وأنه

= إعلال قاصر، فالوراق لم ينفرد به بل تابعه عند الترمذي وابن الجوزي: عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني وفيه ضعف، وقال المناوي في التيسير (١/ ٣٧١): «إسناده ضعيف، وردوا تصحيح الحاكم».

(٢٧٨) أخرج مسلم (١/ ١٠٢ ـ ١٠٣) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «ثلاثة لا يُكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ، وملكٌ كذاب، وعائلٌ مستكبر». والعائل: هو الفقير.

(٢٧٩) أخرجه البخاري (٣/ ٣٤١) ومسلم (٢/ ٧١٩) عن أبي هريرة بنحوه.

أحقُّ بالبرِّ منه، وهذا يدلُّ على أنهم كانوا لا يعرفون من المساكين إلاّ من أظهر حاجته بالسؤال، وبهذا فرَّق طائفة من العلماء بين الفقير والمسكين، فقالوا: من أظهر حاجته فهو مسكين، ومن كتمها فهو فقير(٢٨٠). وفي كلام الإمام أحمد إيماءٌ إلى ذلك، وإن كان المشهورُ عنه أن التفريقَ بينهما بكثرة الحاجة وقلَّتِها كقول كثير من الفقهاء، وهذا حيث جُمِع بين ذكر الفقير والمسكين كما في آية الصدقات(٢٨١)، وأمَّا إن أُفرِدَ أحدُ الاسمين دخل فيه الآخر عند الأكثرين(٢٨٢).

وقد كان كثير من السلف يكتم حاجته ويُظهِرُ الغنى تعفُّفاً وتكرُّماً، منهم: إبراهيم النخعي كان يلبس ثياباً حسناءَ، ويخرج إلى الناس وهم يرون أنه تحِلُّ له الميتة من الحاجة.

وكان بعض الصالحين يلبس الثياب الجميلة وفي كُمِّه مفتاحُ دار كبيرة ولا مأوى له إلاّ المساجد، وكان آخر لا يلبس جُبَّةً في الشتاء لفقره، ويقول: بي علةٌ تمنعني من لبس المحشوِّ. وإنما يعني به الفقرَ ـ شعر:

إن الكريم ليُخفي عنك عُسرته ... حتى تراه غنياً وهو مجهود(٢٨٣)

وكان بعكس هؤلاء من يلبس ثيابَ المساكين مع الغنى تواضعاً لله ـ عز وجل ـ، وبُعْداً من الكبر كما كان يفعله الخلفاء الراشدون الأربعة وبعدهم عمر بن عبد العزيز، وكذلك كان جماعة من الصحابة منهم: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهما رضى الله عنهم، وروي أن أبا بكر الصديق ـ رضى عنه الله ـ كان يُنشدُ:

---

(٢٨٠) هو قول مالك والزهري وغيرهما. (الجامع للقرطبي: ١٧١/٨).

(٢٨١) ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين..﴾ الآية [التوبة: ٦٠]

(٢٨٢) ذكر القرطبي في الجامع (١٦٨/٨ ـ ١٧١) تسعة أقوال للعلماء في التفرقة بين المسكين والفقير فراجعه، وانظر أيضاً: الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري (ص ١٧٠ ـ ١٧١).

(٢٨٣) لبشار بن برد في ديوانه (ط ابن عاشور ـ ١٢٨/٣)، وقيل لحماد عَجْرَد، وقيل للعتّابي. انظر بهجة المجالس لابن عبد البر (٦٣٧/٢) وتعليق المحقق عليه.

إذا أردت شريفَ النـاس كُـلِّهـمُ فـانـظُر إلى ملكٍ في زِيٍّ مسكـين
ذاك الذي حَسُنت في الناس سيـرتُه وذاك يصلحُ لـلدُّنيـا ولـلدين(٢٨٤)

وكان عليٌّ ـ رضى الله عنه ـ يُعاتَبُ على لباسِه فيقول: هو أبعدُ من الكِبْر، وأجدرُ أن يقتديَ بيَ المسلمُ(٢٨٥). وعُوتِب عمر بن عبد العزيز على ذلك فقال: إن أفضلَ القصدِ عند الجدَةِ. يعني: أفضل ما اقتصد الرجل في لباسه مع قدرته ووِجدانه.

وفي سنن أبي داود وغيره عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «البَذاذةُ من الإيمان»(٢٨٦) يعني: التقشف. وفي الترمذي عن النبي ـ ﷺ ـ: «من ترك اللباسَ تواضعاً لله ـ عز وجل ـ وهو يقدرُ عليه دعاه الله يومَ القيامة [على رؤوس الخلائق](٢٨٧)

(٢٨٤) البيتـان لأبي العتاهيـة في ديوانـه (ص ٣٩٢)، ووقع فيـه صـدر البيت الثـاني: (ذاك الـذي عظمت في الله حرمته).

(٢٨٥) أخرجه أحمد في الزهد ص ١٣٢ والفضائـل (٩٢٤) والحاكم (١٤٣/٣) وأبـو نعيم في الحلية (٨٢/١ ـ ٨٣) وفيـه شـريك القاضي صـدوق سيىء الحفظ. وأخرجـه أحمـد في الفضـائـل (٩٢٣) وعبـد الله بن أحمـد في زوائـد الـزهـد (ص ١٣١) والفضـائـل (٨٩٣) وأبـو نعيم (٨٣/١) بسنـد صحيح عن عمـرو بن قيس ولكن عمرو لم يـدرك عليًـا فقـد وُلِـد في عـام الجماعة، فالأثر حسن بهذين الطريقين.

(٢٨٦) أخرجه أبو داود (٤١٦١) من حديث أبي أمامة إياس بن ثعلبة، وفيه عنعنه ابن اسحـاق وهو مدلس، وأخرجه ابن ماجه (٤١١٨) وفيه أيوب بن سويد الرمـلي ضعيف، وأسامـة بن زيد الليثي في حديثه لين.
وأخرجه أحمد في الزهد ص ٧ ـ ومن طريقه الحاكم (٩/١) ـ والطبراني في الكبير (٢٤٦/١) بسند لا بأس به، وأخرجه الطبراني (٢٤٦/١) وفيه المنيب بن عبد الله لم يوثقه غير ابن حبان ففيه جهالة.
وأخرجه الطبراني (٢٤٧) والطحـاوي في المشكل (٤٧٨/١ و١٥١/٤) وسنـده لا بـأس بـه، وفي جميـع هذه الـطرق إلا الثالث: عبـد الله بن أبي أمامـة لم يوثقـه غير ابن حبـان، وأشـار الذهبي في الكاشف (٧٢/٢) إلى تليين هذا التوثيق بقوله: «وُثِّق». وقد وقع في أسانيـد هذا الحديث اختلاف بسطه الشيخ الألباني في الأحاديث الصحيحة (٣٤١) فراجعه إن شئت.
وله شاهد يتقوى به أخرجه الحميدي في مسنده (٣٥٧) من حديث معبـد بن كعب عن عمه أو أمـه مرفـوعاً، وفيـه عنعنه ابن اسحـاق، والحديث صححـه الديلمي والحـافظ، وحسنه العراقي ـ كما في الفيض (٢١٧/٣) ـ، وقال المناوي في التيسير (٤٣٨/١): «إسناده حسن أو صحيح».

(٢٨٧) زيادة من جامع الترمذي.

حتى يُخيِّره من أيِّ حُلَلِ الإيمان(٢٨٨) شاء يلبُسها(٢٨٩)». وخرَّجه أبو داود من وجه آخر ولفظه: «من ترك ثوبَ جمالٍ ـ أحسَبْه قال: تواضعاً ـ كساه الله حُلَّةَ الكرامة»(٢٩٠).

وإنما يُذَمُّ من تركَ اللباسَ مع قدرته عليه بخلاً على نفسه، أو كُتماناً لنعمة الله ـ عز وجل ـ، وفي هذا جاء الحديثُ المشهور: «إن الله إذا أنعمَ على عبد نعمةً أحبَّ أن يرى أثرَ نعمته على عبده» * . ومن لبس لباساً حسناً إظهاراً لنعمة الله ولم يفعله اختيالاً كان حسناً.

---

(٢٨٨) كذا في الأصل و(ب) وجامع الترمذي، وفي (أ) و(ط): (الجنة) وهي رواية للطبراني قال الترمذي: ومعنى قوله (حُلل الإيمان): يعني ما يُعطي أهل الإيمان من حلل الجنة.

(٢٨٩) أخرجه أحمد (٣/٤٣٨، ٤٣٩) والترمذي (٢٤٨١) وحسنه والطبراني في الكبير (٢٠/١٨٠، ١٨١) والحاكم (١/٦١ و٤/١٨٣ ـ ١٨٤) وصححه وأبو نعيم في الحلية (٨/٤٧ ـ ٤٨) وابن الجوزي في العلل (١١٢٩) من طريق سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه، وسهل ضعفه ابن معين ووثقه العجلي واضطرب فيه قول ابن حبان. (التهذيب: ٤/٢٥٨ ـ ٢٥٩).
وقال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح، قال يحيى: سهل وعبد الرحيم ضعيفان». أهـ وقال الذهبي في التلخيص ـ كما في الفيض (٦/١٠١) ولم أره في التلخيص المطبوع ـ: «قلت: عبد الرحيم ضعفه ابن معين» أهـ قلت: عبد الرحيم ـ وهو ابن ميمون ـ لم ينفرد به فقد توبع.

(٢٩٠) أخرجه أبو داود (٤٧٧٨) من طريق سويد بن وهب عن رجل من أبناء الصحابة عن أبيه، وسويد مجهول كما في التقريب، وابن الصحابي لم يُسمَّ، وقال المنذري في مختصر السنن (٧/١٦٤): «فيه رواية مجهول».

(*) أخرجه أحمد (٤/٤٣٨) وابن سعد في الطبقات (٤/٢٩١ و٧/١٠) وابن أبي الدنيا في الشكر (٥٠) والطحاوي في المشكل (٤/١٥١) والطبراني في الكبير (١٨/١٣٥) والحاكم في معرفة علوم الحديث (ص ١٦١) من طريق شعبة عن فُضيل بن فضالة رجلٍ من قيسٍ عن أبي رجاء العطاردي عن عمران بن حصين مرفوعاً، وقد تصحّف اسم (الفضيل) في الموضع الأول من الطبقات إلى (الفضل. . . رجل من قريش) وفي الثاني منها إلى (مفضل. . . رجل من قريش)، وكذلك في المشكل حيث أصبح (الفضل)، والصواب ما في المصادر الأخرى وهو موافق لما في كتب الرجال، فانظر التاريخ الكبير (٧/١٢١) والجرح والتعديل (٧/٧٤) وتهذيب الكمال (٢/١١٠٥) وتهذيب التهذيب (٧/٢٧٨)، وبوّب الطبراني لمروياته، فقال: (فضيل بن فضالة عن أبي رجاء)، والفضيل وثقه ابن معين وابن حبان وابن شاهين، وقال أبو حاتم: شيخ: وقال الحافظ: صدوق. فالإسناد جيد.
ونتيجة لهذا التصحيف فقد وهم الشيخ الألباني في الأحاديث الصحيحة (٣/٢٨١) في الحكم =

وكـان كثير من الصحـابة والتـابعين يلبسـون لبـاسـاً حسنـاً، منهم: ابن عبـاس، والحسن البصري. وقد صحَّ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه سُئِل عن الرجـل يُحِبُّ أن يكون لباسه حسناً ونَعْلُه حسنـاً؟ قال: «ليس ذلـك بالكِـبْر، إنما الكـبر بـطرُ الحقِّ وغمطُ الناس»(٢٩١). يعني: التَكـبُّرُ(٢٩٢) عن قبـولِ الحق والانقيـاد له، واحتقارُ الناس وازدراءهم فهذا هو الكبر، فأما مجـرد اللباس الحسن الخـالي عن الخيلاء فليس بكبر، واحتقارُ الناس مـع رَثاثـةِ اللباس كـبر. وقد رُوِيَ عن النبي ـ ﷺ ـ أنـه كان مـاشياً في طـريق، وهناك أَمَـةٌ سوداء، فقـال لها رجـلٌ: الـطريقَ! الطريقَ! للنبي ـ ﷺ ـ. فقـالت: الطريق يُمنـةً(٢٩٣) ويُسرةً!. فقـال النبي ـ ﷺ ـ: «دعوها فـإنها جبّارةٌ»(٢٩٤). خـرّجه النسـائي وغيره، وفي روايـةٍ للطبراني وغيره: قالوا: يا رسول الله! إنها. ـ يعني: مسكينة ـ. قـال: «إن ذاك في قلبها»(٢٩٥). يعني: أن الكِبْرَ في قلبها وإن كان لباسُها لباسَ المساكين. وقال

=على هذا الإسناد حيث قال: «وهذا إسناد ضعيف، رجاله ثقات غير المفضل هذا، وهـو ابن أبي أمية أبو مالك البصري أخو مبارك ضعيف». أهـ كذا قال اعتماداً على مـا وقع في إسناد ابن سعـد وفـاتـه أنـه مُصحَّف، كـما أن المفضـل هـذا لم يـذكـر المـزي في تهـذيب الكـمال (١٣٦٥/٣) أبا رجاء العطاردي في شيوخه، ولا شعبة في الـرواة عنه، بخـلاف الفضيل بن فضالة فقد ذكرهما المزي في ترجمته.

والحديث قال عنه الهيثمي (١٣٢/٥): «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات».

(٢٩١) أخرجه مسلم (٩٣/١) من حديث ابن مسعود بنحـوه، بلفظ: «إن الله جميل يحبُّ الجـمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس».

(٢٩٢) في الأصل و(ب): (الكبر)، والمثبت من (أ) و(ط).

(٢٩٣) وقع في المطالب العالية (١٨٩/٣): (ثمة)، وقال محققه الأعظمي مُعلِّقاً: «وهذا هو الصواب عندي». أهـ قلت: الصواب: (يُمْنَة) كما في الحلية.

(٢٩٤) أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو يعـلى ـ كما في المجمـع (٩٩/١) وغيره ـ وأبـو نعيم في الحلية (٢٩١/٦) عن أنس، قال الهيثمي: «وفيه يحيى الحماني ضعفه أحمد ورماه بـالكذب». أهـ وقـال البـوصـيري في الاتحـاف (٣/ق ٨٧/أ): «رواه أبـو يعـلى عن يحيى بن عبـد الحميـد الحماني، وقد ضعفه الجمهور». أهـ وقال الحافظ في التقريب: «حافظ إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث». أهـ.

(٢٩٥) أخرجه الـطبراني في الكبير ـ كـما في المجمع (٩٩/١) ـ من حـديث أبي موسى بلفظ: «إن لا يكن ذلك في قدرتها فإنه في قلبها». قال الهيثمي: «وفيه بلال بن أبي بردة». أهـ قلت: لم أر فيه توثيقاً معتبراً، وقال الحافظ: «مُقِلٌّ».

الحسن: إن قوماً جعلوا التواضع في لباسهم والكبرَ في صدورهم، إنّ أحدَهم أشدُّ كبراً بمَدْرَعته من صاحب السرير بسريره، وصاحبِ المنبر بمنبره. قال أحمد ابن أبي الحواري: قال لي سليمان بن أبي سليمان ـ وكان يُعدَلُ بأبيه(٢٩٦) ـ: أيُّ شيءٍ أرداو بثياب الصوف؟. قلت: التواضع. قال: وما يتكبَّرُ أحدهم إلاّ إذا لبس الصوف!.

وقال أبو سليمان: يكون ظاهرك قطنياً وباطنك صوفياً. قال أبو الحسين بن بشّار: صَوِّف قلبك، والبس القوهي على القوهي. يعني: رفيع الثياب. فمتى أظهرَ الإنسانُ لباسَ المساكين لدعوى الصلاح ليَشتَهِرَ بذلك عند الناس كان ذلك كبْراً ورياء، ومن هنا ترك كثير من السلف المخلصين اللباسَ المُختصَّ بالفقراء والصالحين، وقالوا: إنه شُهرةٌ. ولما قَدِمَ سيّارُ أبو الحكم البصرة لزيارة مالك بن دينار لَبِسَ ثياباً حسنةً ثم دخل المسجد فصلى صلاةً حسنةً، فرآه مالك ـ ولم يعرفه ـ فقال له: يا شيخ! إني أرغَبُ بك عن هذه الثياب مع هذه الصلاة. فقال له: يا مالك! ثيابي هذه تضَعُني عندك أم ترفعُني؟! قال: بل تضَعُك. فقال: نعمَ الثوبُ ثوبٌ يضَعُ صاحبَه عند الناس، ولكن انظر يا مالك لعلَّ ثوبيك هذين ـ يعني: الصوف ـ أنزلاك عند الناس ما لم يُنزلاك من الله. فبكى مالك وقام إليه واعتنقه، وقال له: أنشُدُكَ الله أنت سيارُ أبو الحكم؟ قال: نعم.

فلهذا كَرِه من كَرِه من السلف كابن سيرين وغيره لباسَ الصوف حيث صار شعارَ الزاهدين، فيكون لباسُه إشهاراً للنفس، وإظهاراً للزهد، وأمّا النبي ـ ﷺ ـ فكان يلبس ما وجد، فتارةً يلبسُ لباس الأغنياء من حلل اليمن وثياب الشام نحوها، وتارة يلبسُ لباس المساكين فيلبسُ جُبَّةً من صوفٍ أحياناً، وأحياناً يتّزرُ بعباءةٍ ويُهيء إبل الصدقة، يعني أنه يطليها بيده ويُصلحها كما يفعل أربابُ الإبل بها، ولم يبعثِ الله نبياً من أهل الكِبْر، وإنما بعثَ مَنْ لا كِبْرَ

(٢٩٦) أي من جهة الصلاح.

عنـده، ولا يتكبَّرُ عن معـالجة الأشيـاء التي يأنفُ منهـا المتكبرون كـرعايـة الإبل والغنم، وإجارةِ نفسه(٢٩٧) عنـد الحاجـة إلى الاكتساب: ومن أعـطاه الله منهم مُلْكاً فإنـه لم يزلْ دأبُـه تواضعـاً(٢٩٨) لله ـ عزّ وجـلّ ـ كداودَ وسليمـانَ ومحمدٍ. صلى الله عليهم وسلَّم تسليماً كثيراً.

وقـد يطلق اسمُ المسكـين ويُرادُ بـه من استكان قلبـه لله ـ عـزّ وجـلّ ـ، وانكسرَ له وتواضعَ لجلاله وكبريائه وعظمته وخشيته ومحبته ومهـابته، وعـلى هذا المعنى حمـل بعضهم(٢٩٩) الحـديث المـروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنـه قـال: «اللهم أحيني مِسكينـاً، وأمِتني مِسكيناً، واحشرني في زُمـرة المساكـين»(٣٠٠). خـرّجـه الترمذي من حديث أنس، وخرّجه ابن ماجة من حديث ابن عباس(٣٠١)، وفي حمله على ذلك نظرٌ لأن في تمام حديثيهما مـا يدلُّ عـلى أن المرادَ بـه المساكـينُ من

---

(٢٩٧) أي: اشتغاله أجيراً للآخرين.

(٢٩٨) كذا في الأصل، وفي (ط): (التواضع). وفي (أ) و(ب): (فإنه يزداد تواضعاً).

(٢٩٩) كالقرطبي في تفسيره (٨/١٧٠) وابن تيمية (مجموع الفتاوي: ١١/١٣٠).

(٣٠٠) أما حديث أنس فضعيف جداً وقد تقدم الكلام عليه برقم (٢٤١)، وقد ورد من حديث أبي سعيـد أخرجـه ابن ماجـة (٤١٢٦) والخـطيب في التـاريـخ (٤/١١١) وابن الجـوزي في الموضوعات (٣/١٤١)، وقال البوصيري: «أبو المبارك لا يعرف اسمه وهـو مجهول، ويـزيد بن سنان ضعيف». أهـ وأخرجه الحاكم(٤/٣٢٢) وصححه وسكت عليه الذهبي والبيهقي (٧/١٣) من طريق آخر عنه وفيه خالد بن يـزيد بن عبـد الرحمن الهمـداني كذبـه ابن معين وتركه غيره. (التهذيب: ٣/١٢٦ ـ ١٢٨).
وورد من حديث عبادة بن الصامت، أخرجه الطبراني كما في المجمع (١٠/٢٦٢) ـ وتمام في فوائده ـ كما في اللآلىء المصنوعة (٢/٣٢٥) ـ والبيهقي (٧/١٢)، وقال الهيثمي: «وفيه بقية بن الوليد وقـد وثق على ضعفـه، وشيخ الـطبراني وعبيد الله بن زيـاد الأوزاعي لم أعرفهـما، وبقية رجاله ثقات». أهـ قلت: شيخ الطبراني توبع، فالعلة جهالة عبيد الله المـذكور، وقـد غفل عنها السخاوي في المقاصد (ص ٨٥) حيث قال: «ورجاله موثوقون».
وورد من حديث ابن عباس، أخرجه الشـيرازي في الألقاب ـ كـما في اللآلىء (٢/٣٢٦) ـ، وفيه طلحة بن عمرو الحضرمي متروك كما في التقريب.
وقـد أسرف ابن الجوزي فحكم عـلى الحـديث بـالـوضـع، وتسـاهـل الحـاكم فصححـه، والصـواب أنه ضعيف كما قال شيـخ الإسلام ابن تيميـة في فتاويـه (المجموع: ١٨/٣٨٢) والحافظ ابن حجر في أجوبته على أحاديث المشكاة (٣/١٧٨٦، ١٧٩١).

(٣٠١) كذا قال المصنف وهو وهم، فإن ابن ماجة أخرج الحديث عن أبي سعيد كما مَرَّ.

المال، لأنه ذكرَ سبقَهم الأغنياء إلى الجنة، مع أنّ في إسناد الحديثين ضعفاً.

وقد خُيِّرَ النبي -ﷺ- بين أن يكون نبياً ملكاً أو عبداً رسولاً، فأشارَ إليه جبريلُ أن تواضع. فقال: «بل عبداً رسولاً». وكان بعد ذلك لا يأكل متكئاً، ويقول: «آكل كما يأكل العبد. وأجلس كما يجلس العبد»(٣٠٢). قال الحسن: قال رسول الله -ﷺ-: «فأعطاني الله لذلك أن جعلني سيدَ ولدِ آدمَ، وأولَ شافعٍ، وأول مُشفَّعٍ، وأولَ من تنشقُّ عنه الأرض»(٣٠٣). وصحَّ عنه -ﷺ-

---

(٣٠٢) أخرجه أبو يعلى - كما في المجمع (٩/١٩) - ومن طريقه: أبو الشيخ في أخلاق النبي - ﷺ - ص ١٩٧ - والبغوي في شرح السنة (١٣/٢٤٧ - ٢٤٨) من حديث عائشة، وفيه أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن ضعيف كما في التقريب، ومع هذا فقد حسَّن إسناده الهيثمي! وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/٣٤٩ - ٣٥٠) وأبو الشيخ ص ١٩٨ - ومن طريقه البغوي (١٣/٢٤٨ - ٢٤٩) - وابن صاعد في زوائد الزهد لابن المبارك (٧٦٦) عن ابن عباس بنحوه، وقال الهيثمي (٩/٢٠): «وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس». أهـ قلت: لم ينفرد به، بل تابعه عند ابن صاعد: عبد الله بن سالم الحمصي وهو ثقة، لكن في السند انقطاع بين محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وجدِّه، فإنه لم يسمع منه كما قال المزي، وقال العراقي في تخريج الإحياء (٣/٣٤٠): «وكلا الحديثين ضعيف». أهـ

ولفقره التخيير شاهد من حديث أبي هريرة، أخرجه أحمد (٢/٢٣١) والبزار (الكشف: ٢٤٦٢) وابن حبان (٢١٣٧) وسنده حسن، وقال الهيثمي (٩/١٩): « رواه أحمد والبزار وأبو يعلي، ورجال الأولين رجال الصحيح » . أهـ

أما فقرة: «آكل كما يأكل العبد. . .» فلها شواهد عدة منها:

ما أخرجه نعيم في زوائد الزهد (١٩٣) والبغوي (١١/٢٨٦ - ٢٨٧) من حديث عائشة، وفيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف كما في التقريب.

وما أخرجه أبو الشيخ ص ١٩٧ من طريق يعلى بن حكيم عن جابر، ورجاله ثقات لكنه منقطع فيعلى من أتباع التابعين.

وما أخرجه البزار (الكشف: ٢٤٦٩) - ومن طريقه: أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/٢٧٣) - عن ابن عمر، وفيه مبارك بن فضالة لين الحديث مدلس وقد عنعن، وقال الهيثمي (٩/٢١): «وفيه حفص بن عمارة الطاحي ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا». أهـ

وما أخرجه أحمد في الزهد ص ٥ - ٦ عن الحسن مرسلاً بسند صحيح، فالحديث بهذه الطرق والشواهد حسنٌ على أقل أحواله.

(٣٠٣) هذه رواية مرسلة ولم أقف على من أخرجها، وقد أخرج ابن عساكر - كما في الكنز (١٢/٦٣) - عن عائشة وابن عباس نحوها بلفظ: « . . . فشكر ربي عزّ وجلّ ذلك فقال: أنت أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع» وجعل السيوطي عزو الحديث لابن عساكر معلماً بضعفه كما في مقدمة الكنز (١/٨).

أنه قال: «إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه»(٣٠٤). فأشرفُ أسمائه: عبدُ الله، ولهذا سُمِّيَ بهذا الاسم في القرآن في أفخر مقاماتـه(٣٠٥)، فلما حقَّقَ - ﷺ - عبوديته لربِّه حصَلَت له السيادة على جميع الخلق.

كان كثير من العارفين يقول في مناجاته لربه: كفى بيَ فخراً أني لك عبدٌ، وكفى بيَ شرفاً أنك لي ربٌّ. وكان بعضهم يقول: كلما ذكرت أنه ربي وأنا عبده حصل لي من السرور ما يصلح به بدني:

شرفُ النفـوس دخـولهـا في رقِّهم والعبـدُ يحوي الفخـرَ بـالمُتملِّك

وكان أبو يزيد البسطامي ينشد:

يـا لـيتـني صِرت شيئـاً مـن غـير شي أُعـدُّ
أصبحـت لـلكـل مـولى لأنـنـي لـك عـبـدُ

فمن انكسر قلبه لله - عزّ وجلّ - واستكان وخشع وتواضع جبره الله - عزّ وجلّ -، [ورفعه بقدر ذلك](٣٠٦)، وفي الأثر المشهور: أن الله - عزّ وجلّ - قـال لموسى - على نبينا وعليه السلام - حين سأله: أين أجدك؟. قال: عنـد المُنكسرةِ قلوبهم من أجلي، فإني أدنو منهم كلَّ يوم باعاً ولولا ذلك لانهدموا(٣٠٧). ورُوي عن عبـد الله بن سَـلَام أنـه فسَّره، فقـال: هم المنكسـرةُ قلوبهم بحبِّ الله عن حُبِّ غـيره. وفي الحديث المشهـور المـرفـوع: «إن الله تعـالى إذا تجلَّى لشيءٍ من خلقه خشعَ له، فإذا تجلَّى لقلوبِ العارفين عظمـةُ الله وجلالُـه وكبريـاؤه اندكَّت

(٣٠٤) أخرجه البخاري (٦/٤٧٨) عن عمر بن الخطاب.
(٣٠٥) كمقام الإسراء: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ الآية [الإسراء: ١]، ومقام تنـزيل القـرآن عليه - ﷺ -: ﴿تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده﴾ الآية [الفرقـان: ١] والآياتُ في ذلـك كثيرة.
(٣٠٦) زيادة من الأصول الأخرى.
(٣٠٧) هـذا من الأخبار الإسرائيلية، وبعض الجهلة ينسبه إلى النبي - ﷺ - ولا أصـل له كـما قـال القاري في الأسرار المرفوعة ص ١١٨.

قلوبهم من هيبته، وخشعت وانكسرت من محبته ومخافته»(٣٠٨). - شعر:

مساكين أهل الحب حتى قبورهم　　　　عليها تراب الذُّلِّ بين المقابر

فالمسكين في الحقيقة من استكان قلبه لربه وخشع من خشيته ومحبته، ولا يكون المسكين ممدوحاً بدون هذه الصفة، فإن من لم يخشع قلبه مع فقره وحاجته فهو جبّار كتلك الأمة السوداء التي قال فيها النبي -ﷺ-: «إنها جبّارة». ، وهو إما عائلٌ مستكبر أو فقيرٌ مختال، وكلاهما لا ينظر الله إليه يوم القيامة(٣٠٩)، فالمؤمن من يستكينُ قلبه لربِّه ويخشعُ له ويتواضع، ويُظهر مسكنته وفاقته إليه في الشدة والرخاء، أما في حال الرخاء فإظهارُ الشكر، وأما في حال الشدة فإظهارُ الذلِّ والعبودية والفاقة والحاجة إلى كشف الضر، قال تعالى: ﴿**ولقد أخذناهُم بالعذابِ فما استكانوا لربِّهم وما يتضرَّعُون**﴾ [المؤمنون: ٧٦]، فذمَّ من لا يستكين لربِّه عند الشدة، وكان النبي -ﷺ- يخرجُ عند الاستسقاء متواضعاً مُتخشِّعاً مُتَمسكِناً(٣١٠). وحُبِس لمطرِّف بن عبد الله قريبٌ له فلبس خُلْقان ثيابه، وأخذ بيده قصبةً، وقال: أتمسكَنُ لربي لعله يُشفِّعني فيه.

ومما يُشْرعُ فيه التَّمسْكُنُ لله - عزّ وجلّ - حالُ الصلاة كما في حديث الفضل بن عباس عن النبي -ﷺ- قال: «الصلاةُ مثنى مثنى، تشهَّدُ في كلِّ ركعتين، وتخشَّعُ، وتضرَّعُ، وتَمَسْكَنُ، وتُقنِعُ يدَيْك - يقول: ترفعهما -،

---

(٣٠٨) لم أقف عليه ولا أظنه إلا موضوعاً، فهو أشبه بكلام المتصوفة من كلام المعصوم - ﷺ - وغفر الله لابن رجب ما كان أغناه عن مثل هذه الأحاديث التي لا خطام لها ولا أزمة.

(٣٠٩) انظر التعليق رقم (٢٧٨).

(٣١٠) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٠، ٢٦٩) وأبو داود (١١٦٥) والترمذي (٥٥٨، ٥٥٩) وقال: حسن صحيح. والنسائي (٣/١٥٦، ١٥٧) وابن ماجة (١٢٦٦) وابن الجارود في المنتقى (٢٥٣) والطبراني في الكبير (١٠/٤٠٢، ٤٠٣) والطحاوي في شرح المعاني (١/ ٣٢٤) وابن خزيمة (١٤٠٥، ١٤٠٨، ١٤١٩) وابن حبان (٦٠٣) والدارقطني (١/ ٦٧، ٦٨) والحاكم (١/ ٣٢٦، ٣٢٧) والبيهقي (٣/ ٣٤٤) والبغوي في شرح السنة (٤/ ٤٠١) عن ابن عباس، وفيه هشام ابن إسحاق بن عبد الله بن كنانة لم يوثقه غير ابن حبان، وقال أبو حاتم: شيخ.(التهذيب: ١١/ ٣١ - ٣٢). قال الذهبي في الكاشف (٣/ ٢٢١): «صدوق». وقال الحافظ: «مقبول» أي: عند المتابعة والإفلين، وباقي رجاله ثقات.

وتقـولُ: يا ربِّ ثـلاثاً، فمن لم يفعـل ذلك فهي خِـدَاجُ[٣١١]»[٣١٢]. خـرَّجـه الترمذي وغيره.

وكذلك يُشرعُ إظهارُ المسكنةِ في الدعاء، وخرّج الـطبراني من حديث ابن عبـاس قال: رأيتُ النبي -ﷺ- يـدعو بعـرفة، ويـداه إلى صدره كـاسـتـطعـامِ المسكين[٣١٣]. ومن حديثه أيضـاً أن النبي -ﷺ- قـال في دعائـه عشيَّة عـرفة: «أنا البائسُ الفقير، المُستغيثُ المُستجيرُ، الوَجِلُ المُشفقُ، المُقِـرُّ المعترفُ بـذنبه، أسألُك مسألةَ المسكـين، وأبتهِلُ إليـك ابتهالَ المـذنبِ الذليـل، وأدعوكَ دُعـاءَ الخائفِ الضرير»[٣١٤].

وكان بعض السلف يجلسُ بالليل مُطرقاً رأسَه، ويمُـدُّ يدَيْـه وهو سـاكت

(٣١١) أي: ناقصة.

(٣١٢) أخـرجـه أحمـد (١/٢١١) والـترمـذي (٣٨٥) والنسـائي في الكـبرى - كـما تحفـة الأشراف (٨/٢٦٤) - والـطبراني في الكبير (١٨/٢٩٥) وابن خـزيمة (١٢١٣) والعقيـلي في الضعفـاء (٢/٣١٠ - ٣١١) والـطحـاوي في المشكـل (٢/٢٤، ٢٥) والبيهقي (٢/٤٨٧ - ٤٨٨) والبغوي في شرح السنة (٣/٢٥٩ - ٢٦٠) من حديث الفضل، وأخرجه الطيالسي (١٣٦٦) وأحمد (٤/١٦٧) وأبو داود (١٢٩٦) والنسائي في الكبرى - كما في التحفة (٨/٣٩١) - وابن ماجة (١٣٢٥) وابن خزيمة (١٢١٢) والـطحاوي (٢/٢٤) والعقيـلي (٢/٣١١) وابن عدي في الكـامـل (٤/١٥٤١) والـدارقـطني (١/٤١٨) والبيهقي (٢/٤٨٨) والمـزي في تهـذيب الكمال (١/١٢٢) من حديث المـطلب بن ربيعة - أو ابن أبي وداعـة -، وفي إسنادهمـا: عبد الله بن نـافع بن العميـاء مجهول كـما قال ابن المـديني، وقال البخـاري: لم يصـح حـديثـه. (التهذيب: ٦/٥٠) وقد وقع في الإسناد اختلاف كبير بيّنه البخاري فيما نقله عنه الترمذي.

(٣١٣) أخـرجـه الـطبراني في الأوسط (مجمـع البحـرين: ق ٤٤٧) عن ابن عبـاس، قـال الهيثمي (١٠/١٦٨): «وفيه الحسين بن عبد الله بن عبيد الله، وهو ضعيف». أهـ قلت: وقد اتُّهِمَ بالزندقة، وفيه عنعنة ابن جريج وهو قبيح التدليس.

(٣١٤) قـطعـة من حـديث أخـرجـه الـطبراني في الكبـير (١١/١٧٤ - ١٧٥) والصغـير (١/٢٤٧) والخـطيب في التاريـخ (٦/١٦٣) - ومن طريقـه: ابن الجـوزي في العلل (١٤١٢) - عن ابن عباس، قال الهيثمي (٣/٢٥٢): «وفيـه يحيى بن صالـح الأيلي، وقـال العقيلي: روى عنـه يحيى بن بكير مناكير، وبقية رجاله رجـال الصحيح». أهـ قلت: وقـال ابن عدي: أحـاديثـه غير محفوظة. (التهذيب: ١١/٢٣١).
وقال ابن الجوزي: «حـديث لا يصح». ولكنـه خبّط في إعلالـه، وقال العـراقي في تخريـج الإحياء (١/٢٥٤): «إسناده ضعيف». أهـ.

كحال المسكين المُستعطِي. وقال طاوس: دخل عليٌّ بن الحسين الحجْرَ ليلةً فصلى، فسمعته يقول في سجوده: عُبَيْدُكَ بفنائك، مسكينُك بفنائك، فقيرك بفنائك، سائلك بفنائك. قال طاوس: فحفِظْتُهُنَّ، فما دعوت بهنَّ في كرب إلا فُرِّجَ عني. وكان بعض العُبَّاد قد حجَّ ثمانين حجَّةً على قدميه، فبينما هو في الطواف وهو يقولُ: يا حبيبي! يا حبيبي!.فهتف هاتِفٌ: ليس ترضى أن تكون مسكيناً حتى تكون حبيباً! فكان بعد ذلك يقول: مسكينك مسكينك.

ـ شعرٌ لابن تيميّة ـ رحمه الله ـ:

أنـا الـفقـيرُ إلى ربِّ الـسمـوات	أنـا المُسَيْكينُ في مجمـوع حـالاتي
أنـا الـظَّلوم لنفسي وهـي ظـالمتي	والخـير إنْ جـاءهـا من عنـدِه يـاتي

قوله ـ ﷺ ـ: «وأن تغفرَ لي وترحمني»: المغفرةُ والرحمة يجمعان خيرَ الآخرة كلَّه، لأنّ المغفرةَ سترُ الذنب مع وقاية شره، وقد قيل: إنّه لا تجتمع المغفرةُ مع عقوبة الذنب، حيث كانت المغفرةُ وقايةً لشر الذنب، وهذا لا يكون مع عقوبة عليه، ولذلك سُمِّيَ المِغْفَرُ مِغْفَراً، لأنه يستر الرأسَ ويقيه الأذى، وهذا بخلاف العفو، فإنه يكون تَارةً قبل العقوبة وتارةً بعدها.

وأما الرحمة فهي دخولُ الجنة وعُلوّ درجاتها، وجميعُ ما في الجنة من النعيم بالمخلوقات، ومن رضى الله ـ عز وجل ـ وقُرْبِه ومشاهدته وزيارته فإنه من رحمة الله تعالى، وفي الحديث الصحيح: «إنّ الله ـ عز وجل ـ يقول للجنة: أنت رحمتي أرحمُ بك من أشاء من عبادي»(٣١٥). فكلُّ ما في الجنة فهو من رحمة الله ـ عز وجل ـ، وإنَّما تُنَالُ برحمته لا بالعمل كما قال ـ ﷺ ـ: «لن يدخلَ أحدُ منكم الجنة بعمله». قالوا: ولا أنت يا رسولَ الله؟!. قال: «ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله برحمته»(٣١٦).

(٣١٥) تقدم برقم (٢٥٢).

(٣١٦) أخرجه البخاري (١١/٢٩٤) ومسلم (٤/٢١٧١) من حديث عائشة، وأخرجه البخاري (١٠/١٢٧) ومسلم (٤/٢١٦٩، ٢١٧٠) من حديث أبي هريرة، وقد شرح المصنف هذا الحديث في كتابه «المحجة في سير الدلجة».

قوله - ﷺ - : « وإذا أردت بقومٍ فتنةً فاقبضني إليك غيرَ مفتونٍ » : المقصودُ من هذا الدعاء سلامةُ العبد من فتن الدنيا مدة حياته، فإنْ قدَّرَ الله - عز وجل - على عباده فتنةً قبض عبده إليه قبل وقوعها، وهذا من أهم الأدعية فإن المؤمن إذا عاش سليماً من الفتن ثم قبضه الله تعالى إليه قبل وقوعها وحصولِ الناس فيها كان في ذلك نجاةٌ له من الشرّ كله، وقد أمر النبي -ﷺ- أصحابه أن يتعوَّذُوا باللهِ من الفتن ما ظهرَ وما بطنَ[٣١٧]. وفي حديث آخر: «وجنِّبنا الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن»[٣١٨]. وكان يَخصُّ بعض الفتن العظيمة بالذكر، فكان يتعوَّذُ بالله في صلاته من أربعٍ، ويأمر بالتعوُّذِ منها: «أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنةِ المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجّال»[٣١٩].

ففتنةُ المحيا تدخلُ فيها فتنُ الدين والدنيا كلها، كالكفر والبدعِ والفسوق والعصيان. وفتنةُ الممات يدخلُ فيها سوءُ الخاتمة وفتنة الملكين في القبر، فإن الناس يُفتنون في قبورهم مثلَ أو قريباً من فتنة الدجال[٣٢٠]. ثم خصَّ فتنة الدجال بالذكر لعظم موقعها، فإنه لم يكن في الدنيا فتنةٌ قبلَ يومِ القيامةِ أعظمُ منها، وكلما قَرُبَ الزمان من الساعة كثُرت الفتن.

وفي حديث معاوية عن النبي - ﷺ - أنه قال: «إنه لم يبقَ من الدنيا إلاّ

---

(٣١٧) أخرج مسلم (٤/٢١٩٩ - ٢٢٠٠) عن زيد بن ثابت حديثاً طويلاً، وفيه: قال النبي -ﷺ-: «تعوَّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن» قالوا: نعوذ بالله. . . الحديث.

(٣١٨) قطعة من حديث أخرجه أبو داود (٩٦٩) وابن حبان (٢٤٢٩) والحاكم (١/٢٦٥) وصححه على شرط مسلم وسكت عليه الذهبي عن ابن مسعود، وفيه شريك القاضي وقد ساء حفظه، وباقي رجاله ثقات، لكنه لم ينفرد به فقد تابعه ابن جريج عند الحاكم (١/٢٦٥) لكنه لم يصرح بالتحديث وهو مدلس.

(٣١٩) أخرجه البخاري (٢/٣١٧) ومسلم (١/٤١٢) عن عائشة، وأخرجه مسلم (١/٤١٢، ٤١٣) عن ابن عباس وعن أبي هريرة بألفاظ عدة.

(٣٢٠) أخرج البخاري (١/١٨٢) ومسلم (٢/٦٢٤) من حديث أسماء عن النبي -ﷺ- في خطبة الكسوف أنه قال: «. . . فأوحي إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم مثلَ أو قريباً من فتنة الدجال. . . » الحديث.

بـلاءٌ وفتنةٌ»[٣٢١]. وأخـبر النبي - ﷺ - عن الفتن التي كقِطَع الليـل المـظلم، يُصبحُ الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافـراً، ويُمسي مؤمناً ويصبـح كافـراً، يبيع دينَـه بعَرَضٍ من الدنيا[٣٢٢].

وكـان أول هذه الفتن مـا حدث بعـد عمر - رضي الله عنـه -، ونشـأ من تلك قتـلُ عثمان - رضي الله عنـه -، وما تـرتّب عليه من إراقـةِ الـدمـاء وتفـرُّقِ القلوب وظهـور فتن الدين كبـدع الخوارج المـارقـين من الـدين وإظهـارهم مـا أظهروا، ثم ظهور بـدع أهل القَـدَرِ والرَّفْضِ ونحـوهم، وهذه هي الفتن التي تمـوج كموج البحـر المـذكـورة في حـديث حـذيفـة المشهور حـين سـألـه عنهـا عمر[٣٢٣]، وكان حذيفة - رضى الله عنـه - من أكثر النـاس سؤالاً للنبي - ﷺ - عن الفتن خوفاً من الوقوع فيها[٣٢٤]. ولما حضره المـوت قال: حبيبٌ جـاء على فـاقـةٍ، لا أفلح من نَـدِم! الحمـدلله الـذي سبقَ[٣٢٥] بي الفتنـة! قـادتَهـا وعُلُوجَها[٣٢٦]. وكان موته قبـل قتل عثـمان - رضى الله عنه - بنحـوٍ من أربعين يوماً، وقيل: بل مات بعد قتل عثمان. وكان في تلك الأيام رجـل من الصحابـة نائماً، فآتاه آتٍ في منامه فقال له: قم! فاسأل الله أن يُعيذَك من الفتنة التي أعـاذ منها صالحَ عباده، فقام فتوضأ وصلى، ثم اشتكى ومات بعَد قليل.

---

(٣٢١) أخرجه ابن المبارك في الزهـد (٥٩٦) - ومن طريقـه: أحمـد (٤/ ٩٤) والـطبراني في الكبـير (١٩/ ٣٦٨) - وابن مـاجة (٤٠٣٥) وأبـو نعيم في الحلية (٥/ ١٦٢) والخـطيب في التـاريـخ (١/ ٢٧٤ - ٢٧٥) والمزي في تهذيب الكمال (٣/ ١٦٢٢) عن معاوية بن أبي سفيان، وفيه أبو عبد ربه الزاهد لم يوثقه غير ابن حبان، وقـال الذهبي في الكـاشف (٣/ ٣٥٥): «صدوق». وقال الحافظ: مقبول. وقال البوصيري في الزوائد: «إسناده صحيح، رجاله ثقات».

(٣٢٢) أخـرجه مسلم (١/ ١١٠) عن أبي هـريرة مـرفـوعـاً: «بـادروا بـالأعـمال فتنـاً كقـطع الليـل المظلم...» الحديث.

(٣٢٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٨) ومسلم (١/ ١٢٨) عن حذيفة.

(٣٢٤) أخـرجه البخـاري (١٣/ ٣٥) ومسلم (٣/ ١٤٧٥) عن حذيفـة قال: كـان الناس يسـألـون رسولَ الله - ﷺ - عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.

(٣٢٥) في (ط): (سبقت) وهو تحريف.

(٣٢٦) العُلوج جمع عِلْج وهو الرجل من كفار العجم. (اللسان: ٢/ ٣٢٦) والأثر أخرجـه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٨٢) عن الحسن، وهو لم يدرك حذيفة.

وقد رُويَ عن النبي - ﷺ - أنه قال لرجل: «إذا متُّ أنا وأبو بكر وعُمر و عثمان فإنْ استطعت أن تموتَ فمُتْ»[٣٢٧]، وهذا إشارة إلى هذه الفتن التي وقعت بمقتل عثمان - رضي الله عنه -.

والدعاءُ بالموت خشيةَ الفتنة في الدين جائزٌ، وقد دعا به الصحابةُ والصالحون بعدَهم، ولما حجَّ عمر - رضي الله عنه - آخرَ حَجَّةٍ حجَّها استلقى بالأبْطَح[٣٢٨] ثم رفعَ يديه وقال: اللهم إنَّه قد كبرت سِنِي، ورقَّ عَظْمي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غيرَ مُضَيِّعٍ ولا مفتون. ثم رجع إلى المدينة فما انسلخَ الشهرُ حتى قُتِلَ - رضي الله عنه -[٣٢٩].

ودعا عليٌّ ربَّه أن يُريحَه من رعيته حيث سَئِمَ منهم فقُتِلَ عن قريب. ودعت زينب بنت جحش لما جاءها عطاءُ عمر من المال فاستكثرته وقالت: اللهم لا يدركني عطاءٌ لعمرَ بعدها. فماتت قبل العطاء الثاني[٣٣٠]. ولما ضَجَر عمر بن عبد العزيز من رعيته - حيث ثَقُلَ عليهم قيامه فيهم بالحق - طلب من رجل كان معروفاً بإجابة الدعوة أن يدعوَ له بالموت، فدعا له ولنفسه بالموت

---

(٣٢٧) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٢/١٦٥ - ١٦٦) وابن حبان في المجروحين (١/٣٤٥) وابن عدي في الكامل (٣/١١٧٥) وأبو نعيم في الحلية (٨/٢٨٠) عن سهل بن أبي حثمة - وفي الحلية: (خيثمة) وهو تصحيف -، وإسناده واه، فيه سلم (في الحلية: سالم وهو تحريف) بن ميمون الخواص، قال ابن حبان: غلب عليه الصلاح حتى غفل عن حفظ الحديث وإتقانه، فربما ذكر الشيء بعد الشيء ويقلبه توهماً لا تعمداً فبطل الاحتجاج بما يروي إذا لم يوافق الثقات. أهـ وقال ابن عدي: ينفرد بمتون بأسانيد مقلوبة. وقال العقيلي: حدث بمناكير لا يتابع عليها. وقال أبو حاتم: لا يكتب حديثه، روى عن أبي خالد الأحمر حديثاً منكراً شبه الموضوع. أهـ قلت: يشير إلى هذا الحديث فإنه من روايته عن أبي خالد.
(الجرح والتعديل: ٤/٢٦٨، اللسان: ٣/٦٦)

(٣٢٨) موضع بمكة. (معجم ما استعجم للبكري: ١/٩٧).

(٣٢٩) أخرجه مالك (٢/٨٢٤) وابن أبي الدنيا في «مجابي الدعوة» (٢٤) وأبو نعيم في الحلية (١/٥٤) عن سعيد بن المسيب بنحوه، وسعيد روايته عن عمر مرسلة. (جامع التحصيل ص ٢٢٣).

(٣٣٠) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٣٠٠ - ٣٠١ و٨/١٠٩ - ١١٠) وابن أبي الدنيا (٤٥) وأبو نعيم (٢/٥٤) عن برزة بنت رافع، ولم أقف على ترجمتها.

فماتا. ودُعِيَ طائفة من السلف الصالح إلى ولاية القضاء، فاستمهلوا ثلاثة أيام فدعوا الله لأنفسهم بالموت فماتوا.

واطُّلِعَ على حال بعض الصالحين ومعاملاته التي كانت سرّاً بينه وبين ربِّه، فدعا الله أن يقبضه إليه خوفاً من فتنة الاشتهار فمات. فإن الشهرةَ بالخير فتنة كما جاء في الحديث: «كفى بالمرء فتنةً أن يُشارَ إليه بالأصابع، فإنها فتنةٌ»(٣٣١).

وكان سفيان الثوري يتمنّى الموتَ كثيراً فسُئِل عن ذلك، فقال: ما يُدريني! لعلِّي أدخل في بدعةٍ، لعلِّي أدخل فيما لا يحلُّ لي، لعلِّي أدخل في فتنةٍ، أكون قد مُتُّ فسبقت هذا.

واعلم أنَّ الإنسانَ لا يخلو من فتنةٍ، قال ابن مسعود: لا يَقُل أحدكم:

---

(٣٣١) أخرج الطبراني في الكبير (٨/ ٢١٠، ٢٢٨) والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٧) - ومن طريقه ابن الجوزي في العلل (١٣٨٠) - وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٤٧) والبيهقي في الشعب (٢/ق ٤٤٩/ب) عن عمران بن حصين مرفوعاً: «كفى بالمرء إثماً أن يُشار إليه بالأصابع». قالوا: يا رسول الله وإن كان خيراً؟! قال: «وإن كان خيراً فهي مزلّة - إلا من رحمه الله -، وإن كان شراً فهو شر». وإسناده واه فيه كثير بن مروان المقدسي متفق على ضعفه، وكذبه ابن معين. (اللسان: ٤/ ٤٨٣ - ٤٨٤).
وقال ابن الجوزي: لا يصح. وضعفه العراقي في تخريج الإحياء (٣/ ٢٧٦) والمناوي في التيسير (٢/ ٢٠٧). وأخرجه البيهقي (٢/ق ٤٩٩/أ) من حديث أنس مرفوعاً: «حسب امرىء من الشر - إلا من عصمه الله - أن يشير إليه الناس بالأصابع في دينه ودنياه» قال المناوي في الفيض (٣/ ١٩٧): «وفيه يوسف بن يعقوب، فإن كان النيسابوري فقد قال أبو علي الحافظ: ما رأيت بنيسابور من يكذب غيره. وإن كان القاضي باليمن فمجهول، وابن لهيعة وسبق ضعفه». أهـ.
وأخرجه البيهقي من طريق عطاء الخراساني عن أبي هريرة بهذا اللفظ، وفيه كلثوم بن محمد ابن أبي سدرة، قال أبو حاتم: يتكلمون فيه. (اللسان: ٤/ ٤٨٩) وعطاء لم يَسمع من أبي هريرة فهو منقطع. (جامع التحصيل ص ٢٩٠ - ٢٩١).
وأخرجه الطبراني في الأوسط (مجمع البحرين: ق ٤٩٦) من طريق آخر عن أبي هريرة، وقال الهيثمي (١٠/ ٢٩٧): «وفيه عبد العزيز بن حصين وهو ضعيف». أهـ وأشار البيهقي إلى هذا الطريق، وقال: «هذا إسناد ضعيف». والحديث ضعفه العراقي في تخريج الإحياء (٣/ ٢٧٥).
قلت: وفيه عنعنة الحسن.

اعوذ بالله من الفتن، ولكن ليقل: أعوذ بـالله من مُضِلّاتِ الفتن. ثم تـلا قولـه تعالى: ﴿إنّمآ أمـوالُكم وأولادكم فتنة﴾ [التغـابن: ١٥][٣٣٢]. يشيرُ إلى أنـه لا يُستعاذُ من المال والوُلد وهما فتنةٌ، وفي المسنـد أن النبي - ﷺ - أمر أُمَّ سلمـة أن تقول: «اللهم ربَّ النبي محمد اغفـر لي ذنبي، وأذهب غيظَ قلبي، وأجِرْني من مُضِلّات الفتن ما أبقيتني»[٣٣٣].

وقد جعل النبي - ﷺ - النساءَ والأموالَ فتنةً، ففي الصحيح عنه - ﷺ - قال: «ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء»[٣٣٤]. وفيه أيضاً أنه - ﷺ - قال: «والله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُبسطَ عليكم الدنيا كما بُسطَت على من كان قبلكم، فتنافسُوها كما تنافسُوها، فتهلكَكُم كما أهلكتهم»[٣٣٥].

وفي صحيـح مسلم عنه - ﷺ - قـال: «اتّقُوا النسـاءَ، فإن أولَ فتنـةِ بني اسرائيل كانت في النساء»[٣٣٦]. وفي الترمذي أنه - ﷺ - قال: «لكلِّ أمةٍ فتنةٌ، وفتنةُ أمتي المال»[٣٣٧]. وقـد قال الله - عـز وجل -: ﴿وجعلنـا بعضَكم لبعضٍ فتنةً أتصبرون وكـان ربُّك بصيـراً﴾ [الفرقان: ٢٠]، فالـرجلُ فتنـةٌ للمرأة، والمرأةُ فتنةٌ للرجل، والغني فتنة للفقـير، والفقير فتنـةٌ للغني، والفاجـر فتنةٌ للبرِّ،

---

(٣٣٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/٢١٢ - ٢١٣)، قـال الهيثمي (٧/٢٢٠): «إسناده منقـطع، وفيه المسعودي وقـد اختلط». أهـ قلت: الانقطاع بـين القاسم بن عبـد الرحمن وجـده ابن مسعود، وزاد السيوطي نسبة الأثر في الدر المنثور (٦/٢٢٨) لابن المنذر.

(٣٣٣) قطعه من حديث أخرجه أحمد (٦/٣٠١ - ٣٠٢) عن أم سلمة، وفيه شهر بن حوشب لين، وقـال الهيثمي (٧/٢١١): «وفيـه شهـر وقـد وُثِّق وفيـه ضعف». وقـال في مـوضـع آخـر (١٠/١٧٦): «إسناده حسن».

(٣٣٤) أخرجه البخاري (٩/١٣٧) ومسلم (٤/٢٠٩٧) عن أسامة بن زيد.

(٣٣٥) أخرجه البخاري (٦/٢٥٧ - ٢٥٨) ومسلم (٤/٢٢٧٣ - ٢٢٧٤) عن عمرو بن عوف.

(٣٣٦) أخرجه مسلم (٤/٢٠٩٨) عن أبي سعيد الخدري.

(٣٣٧) أخرجه أحمد (٤/١٦٠) والبخاري في التاريخ (٧/٢٢٢) والترمذي (٢٣٣٦) وقـال: حسن صحيح غريب. والنسائي في الكبرى - كما في تحفة الأشراف (٨/٣٠٩) - والطبراني في الكبير (١٩/١٧٩) وابن حبـان (٢٤٧٠) والحـاكم (٤/٣١٨) وصححـه وسكت عليـه الـذهبي والمـزي في التهذيب (٣/١١٤٧) عن كعب بن عيـاض بسند صحيـح، وصححه ابن عبد البر - كما في الفيض (٢/٥٠٧) -.

والبرُّ فتنةٌ للفاجر، والكافر فتنةٌ للمؤمن، والمؤمن فتنةٌ للكافر كما قال تعالى: ﴿وكذلك فَتَنّا بعضَهم ببعضٍ ليقولوآ أهؤلآء منَّ الله عليهم من بيننا أليسَ الله بأعلمَ بالشاكرين﴾ [الأنعام: ٥٣]، وقال ـ عز وجل ـ: ﴿ونبلوكم بالشرِّ والخير فتنةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فجعلَ كلَّ ما يصيبُ الإنسانَ من شرٍّ أو خيرٍ فتنةً، يعني أنه محنةٌ يُمتحَنُ بها، فإن أُصيب بخيرٍ امتُحِنَ[٣٣٨] به شكره، وإن أُصيب بشرٍّ[٣٣٩] امتُحنَ[٣٣٨] به صبرُه. وفتنةُ السرّاء أشدُّ من فتنةِ الضرَّاء، قال عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ: بُلينا بفتنة الضرّاء فصبرنا، وبُلينا بفتنة السرّاء فلم نصبر[٣٤٠]. وقال بعضهم: فتنة الضرّاء يصبر عليها البَرُّ والفاجرُ، ولا يصبرُ على فتنة السراء إلاّ صِدِّيقٌ.

ولما ابتُلِيَ الإمام أحمد بفتنة الضرّاء صبر ولم يجزع، وقال: كانت زيادةً في إيماني. فلما ابتُلِيَ بفتنة السَّراء جزع وتمنّى الموتَ صباحاً ومساءً، وخشي أن يكون نقصاً في دينه. ثم إن المؤمن لا بدَّ أن يُفتنَ بشيءٍ من الفتن المؤلمةِ الشاقَّةِ عليه ليُمتَحنَ إيمانه كما قال الله تعالى ﴿آلم ○ أحَسِبَ الناسُ أن يُتركوآ أن يقولوآ آمنّا وهم لا يُفتَنُون ○ ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمَنَّ الله الذين صدقوا وليعلمَنَّ الكاذبين ○﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣]، ولكنّ الله يلْطُفُ بعباده المؤمنين في هذه الفتن، ويُصبِّرُهُم عليها، ويثيبُهم فيها، ولا يُلقيهم في فتنةٍ مُهلكةٍ مُضلَّةٍ تذهبُ بدينهم، بل تمرُّ عليهم الفتنُ وهم منها في عافيةٍ.

وأخرجَ ابنُ أبي الدُّنيا من حديث ابن عمر مرفوعاً: «إنَّ لله ضنائنَ[٣٤١] من عباده يغذوهم في رحمته، ويُحييهم في عافيةٍ، ويتوفّاهم إلى جنتِه، أولئك الذين تمرُّ عليهم الفتن كقِطَعِ الليلِ المظلم، وهم منها في عافيةٍ»[٣٤٢].

---

(٣٣٨) في (ط) في الموضعين (استحق).

(٣٣٩) في (ط): (بسوء).

(٣٤٠) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٥١٩) والترمذي (٢٤٦٤) وحسنه وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٠٠)، وسنده جيد.

(٣٤١) أي: خصائص، وأحدهم ضنينة من الضنّ، وهو ما تختصُّه لنفسك (النهاية: ٣/ ١٠٤).

(٣٤٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٣٨٥) والأوسط (مجمع البحرين: ٤٩٥) والعقيلي (٤/ ١٥٢) =

والفتنُ الصغارُ التي يُبتلى بها المرءُ في أهله وماله وولده وجاره تكفِّرها الطاعاتُ من الصلاة والصيام والصدقة كذا[٣٤٣] جاء في حديث حذيفة[٣٤٤]، ورُويَ عنه أنه سأل النبي ـ ﷺ ـ، قال: إن في لساني ذَرَباً، وإن عامّة ذلك على أهلي. فقال له: «أين أنت من الإستغفار؟!»[٣٤٥].

وأما الفتنُ المُضلَّة التي يُخشى منها فسادُ الدين فهي التي يُستعاذُ منها، ويُسألُ الموتُ قبلها، فمن مات قبل وقوعه في شيءٍ من هذه الفتن فقد حفِظَه الله تعالى وحماه، وفي المسند عن محمود بن لبيد عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت، والموت خيرٌ للمؤمن من الفتن، ويكره قِلَّةَ المال، وقلةُ المال أقل للحساب»[٣٤٦].

= وأبو نعيم في الحلية (١/٦) عن ابن عمر، وسنده ضعيف، فيه مسلم بن عبد الله، قال العقيلي: «مجهول بالنقل وحديثه غير محفوظ». وقال: «والرواية في هذا الباب فيها لين». وقال الذهبي في الميزان (٤/١٠٥): «لا يُعرف، والخبر منكر» وقال الهيثمي (١٠/٢٦٦): «وفيه مسلم بن عبد الله الحمصي، ولم أعرفه وقد جهله الذهبي، وبقية رجاله وُثّقوا». أهـ.

(٣٤٣) في (ط): (لذا) وهو تحريف.

(٣٤٤) تقدم تخريجه برقم (٣٢٣).

(٣٤٥) أخرجه الطيالسي (٤٢٧) وأحمد (٥/٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٢) والدارمي (٢/٣٠٢) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٤٨ ـ ٤٥٣) وابن ماجة (٣٨١٧) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٦٢) والحاكم (١/٥١٠) وأبو نعيم في الحلية (١/٢٧٦) عن حذيفة، وفيه أبو المغيرة عبيد بن المغيرة ـ وقيل غير ذلك ـ وهو مجهول كما قال الحافظ في التقريب، وقال الذهبي في الميزان (٤/٥٧٦): «لا يُعرف».
وقد وقع في إسناد الحديث اضطراب كبير بيّنه المزي في تحفة الأشراف (٣/٥٠ ـ ٥١) وقال البوصيري في زوائده: «في إسناده أبو المغيرة البجلي مضطرب الحديث عن حذيفة، قاله الذهبي في الكاشف». أهـ
والذَّرَبُ هو حدة اللسان وسلاطته. (النهاية: ٢/١٥٦)

(٣٤٦) أخرجه أحمد (٥/٤٢٧، ٤٢٨) والبغوي في شرح السنة (١٤/٢٦٧) عن محمود بن لبيد، وسنده حسن، فيه عمرو بن أبي عمرو تُكلِّمَ فيه، وقال الذهبي في الميزان (٣/٢٨٢): «حديثه صالح حسن مُنحطٌّ عن الدرجة العليا من الصحيح». أهـ
وقال المنذري (٤/١٥١) ـ وتبعه الهيثمي (١٠/٢٥٧) ـ: «رواه أحمد بإسنادين، رواة أحدهما محتج بهم في الصحيح». أهـ.

قوله ـ ﷺ ـ: (**وأسألك حُبَّـك، وحُبَّ من يُحبُّك، وحُبَّ العمـل الذي يُبلِّغُني حبَّك**). هذا الدعاء يجمعُ كُلَّ خير، فإن الأفعـال الاختياريـة من العباد إنما تنشأ عن محبة وإرادة، فإن كـانت محبةُ الله ثـابتةً في قلب العبـد نشأت عنهـا حركاتُ الجوارِحِ فكانت بحسب ما يحبُّه الله ويرتضيه، فأحبَّ ما يُحبُّـه الله ـ عز وجل ـ من الأعمال والأقوال كلها، ففعـلَ حينئذٍ الخـيراتِ كلَّها وتـركَ المنكراتِ كُلَّهـا، وأحبَّ من يحبُّه الله من خلقـه، وهـذا الـدعـاء كـانت الأنبيـاء ـ عليهم السلام ـ يدعون به كـما في الترمـذي عن النبي ـ ﷺ ـ أن داود ـ عليه السـلام ـ كان يقول: اللهم إني أسألك حبَّـك، وحبَّ من يحبك، وحبَّ عمـل يبلِّغُني إلى حبِّـك، اللهم اجعل حبَّـك أحبَّ إليَّ من نفسي وأهلي ومن المـاء البـارد»[٣٤٧]. وفيه أيضاً أن النبي ـ ﷺ ـ كان يدعو: «اللهم ارزقني حبَّك، وحبَّ من يحبُّك، وحُبَّ عمـل يبلِّغُني إلى حبِّك، اللهم مـا رزقتني ممـا أحبُّ فـاجعله قـوةً لي فيـما تحبُّ، وما زَويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحبُّ»[٣٤٨]. وفي حـديث مرسل خرَّجه ابن أبي الدنيا وغيره أن النبي ـ ﷺ ـ كان يقول: (اللهم اجعل حبَّك أحبَّ الأشياء إليَّ، وخشيتَك أخوفَ الأشياء عندي، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك، وإذا أقررت أعينَ أهل الدنيا من دنياهم فأقرر عيني من عبادتك)[٣٤٩].

ومن كـان همُّه طلب محبـة الله ـ عز وجـل ـ أعطاه الله فـوق ما يـريده من الدنيا تبعاً، قال بعض السلف: لما تُوفِّيَ داود ـ عليـه السلام ـ أرسـل الله ـ عز

---

(٣٤٧) أخرجه الترمذي (٣٤٩٠) وحسنه وأبو نعيم في الحلية (١/٢٢٦ ـ ٢٢٧) والمزي في التهذيب (٢/٦٨٠) عن أبي الدرداء، وسنده ضعيف فيه عبد الله بن ربيعـة الدمشقي مجهـول كما في التقريب.

(٣٤٨) أخرجه الترمذي (٣٤٩١) وحسنه عن عبد الله بن يـزيد الخـطمي، وفيه سفيـان بن وكيع، قال الحافظ: «كان صدوقاً إلا أنه ابتُلِيَ بورَّاقـة فأدخـلَ عليه مـا ليس من حديثـه، فنُصِحَ فلم يقبل فسقَطَ حديثُه». أهـ.

(٣٤٩) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/٢٨٢) عن الهيثم بن مالك الـطائي مرسـلاً، وفيه أبـو بكر بن أبي مريم، قال الحافظ: «ضعيف، وكان قد سُرِقَ بيته فاختلط».

وجل ـ إلى سليمان ـ عليه السلام ـ: ألكَ حاجةٌ تسألني إياها؟. فقال سليمان: اسأل الله أن يجعلَ قلبي يحبُّه كما كان قلبُ أبي داود يحبُّه، وأن يجعلَ قلبي يخشاه كما كان قلبي أبي داود يخشاه. فشكرَ الله لـه ذلك وأعطاه ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده.

ومحبة الله تعالى على درجتين:

إحداهما: واجبةٌ، وهي المحبة التي توجبُ للعبد محبةَ ما يُحبُّه الله من الواجبات، وكراهةَ ما يكرهه من المحرمات، فإن المحبةَ التامَّة تقتضي الموافقةَ لمن يحبُّه في محبةِ ما يحبُّه، وكراهةِ ما يكرهه خصوصاً فيما يحبُّه ويكرهه من المُحبِّ نفسه فلا تصحُّ المحبَّة بدون فعلِ ما يحبُّه المحبوب(٣٥٠) من محبِّه(٣٥١)، وكراهةِ ما يكرهه المحبوب من محبِّه(٣٥١). وسُئل بعض العارفين عن المحبة، فقال: الموافقة في جميع الأحوال. وأنشدَ:

ولو قلتَ لي: مُتْ. مُتُّ سمعاً وطاعة
وقلتُ لداعي الموت: أهلاً ومرحبا

وأنشدَ بعضهم:

تعصى الإلهَ وتزعُمُ حبَّه | هذا لعمري في القياسِ شنيعُ(٣٥٢)
لو كان حبُّك صادقاً لأطعته | إن المحبَّ لمن يحبُّ مُطيعُ(٣٥٣)

ومتى أخلَّ العبد ببعض الواجبات، أو ارتكب بعض المحرمات فمحبته لربّه غيرُ تامةٍ، فالواجبُ عليه المبادرةُ بالتوبة، والاجتهادُ في تكميل المحبة المُفضية لفعلِ الواجباتِ كلِّها واجتناب المحرمات كلِّها، وهذا معنى قول النبي

(٣٥٠) في (ط): (المحبون) وهو تحريف.
(٣٥١) في (ط): (محبيه) في الموضعين، وهو تحريف.
(٣٥٢) في (ط): (فظيع)، وفي تكملة ديوان أبي العتاهية والبهجة والعقد: (تعصى الإله وأنت تظهرُ حبَّه * هذا مُحالٌ في القياس بديع).
(٣٥٣) هما لأبي العتاهية كما في تكملة ديوانه (ص ٥٧٥)، وقيل هما لمحمود الوراق، وقيل بل للشافعي، وانظر: بهجة المجالس (٣٩٥/١) والعقد الفريد (١٦٨/٣).

ـ ﷺ ـ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسرقُ السارقُ حين يسرقُ وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربُها وهو مؤمن»(٣٥٤). فإن الإيمانَ الكاملَ يقتضي محبَّةَ ما يُحبُّه الله، وكراهةَ ما يكرهه الله ـ عزّ وجلّ ـ، والعملَ بمقتضى ذلك، فلا يرتكب أحدٌ شيئاً من المحرمات أو يُخلُّ بشيءٍ من الواجبات إلا لتقديم هوى النفس المقتضي لارتكاب ذلك على محبةِ الله تعالى المقتضيةِ لخلافه.

الدرجةُ الثانية من المحبة: درجةُ المقرَّبين، وهي أن يمتلىء القلبُ بمحبة الله تعالى حتى توجب له محبةَ النوافل، والاجتهادَ فيها، وكراهةَ المكروهات، والانكفافَ عنها، والرضا بالأقضية والأقدار المؤلمةِ للنفوس لصدورها عن المحبوب، كما قال عامر بن قيس: أحببت الله حبًّا هوَّن عليَّ كلَّ مصيبةٍ، ورضَّاني بكلِّ بليَّةٍ، فلا أُبالي مع حبِّي إياه على ما أصبحتُ ولا على ما أمسيتُ. وقال عمر بن عبد العزيز ـ لما مات ولده الصالح ـ: إن الله أحبَّ قبضَهُ، وإني أعوذ بالله أن يكون لي محبَّةٌ في شيءٍ من الأمور يخالف محبَّةَ الله. وكان يقول: إذا أصبحت فمالي سرورٌ إلا في مواقع القضاء والقدر..

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم ... وجدَانُنا كلَّ شيءٍ بعدَكم عدمُ
إن كان سرَّكم ما قد بُليت به ... فما لجرحٍ إذا أرضاكُمُ ألمُ(٣٥٥)

وحسبُ سلطانِ الهوى أن يَلَذَّ فيه كل ما يؤلم.

كان عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ يقول: اللهم لو أعلمُ أنه أرضى لك عني أن أرميَ بنفسي من هذا الجبل فأتردَّى فأسقط فعلتُ، ولو أعلم أنه أرضى لك أن أُوقِدَ ناراً عظيمةً فأقع فيها فعلتُ، ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن ألقيَ نفسي في الماء فأُغرِّقَ نفسي فعلتُ، ولا أقولُ هذا إلا وأُريد وجهك، وأنا أرجو

(٣٥٤) أخرجه البخاري (١٠/ ٣٠) ومسلم (١/ ٧٦، ٧٧) عن أبي هريرة.
(٣٥٥) هما للمتنبي (ديوانه بشرح العكبري: ٣/ ٣٧٠).

أن لا تخيّبني وأنا أريدُ وجهَك[٣٥٦].

وقُتِلَ لبعض الصالحين ولدان في الجهاد، فعزّاه الناسُ فيهما فبكى وقال: ما أبكي لفقدهما، إنما أبكاني كيف كان رضَاهما عن الله حيث أخذتهما السيوف. وكان بعض العارفين يطوفُ بالبيت، فهجمت القرامطة على الناس فقتلوهم في الطواف، فوصلوا إليه فلم يقطع الطواف حتى سقط من ضرب السيوف صريعاً وأنشدَ:

تـرى المحبـين صرعى في ديـارهم ... كفتيةِ الكهف لا يدرون كم لبِثُوا[٣٥٧]

أقل ثمن المحبة بذلُ الروح:

بـدمِ المحـبِّ يُـبـاع وصـلُهُـم ... فـمن ذا الـذي يـبتـاعُ بـالـثمـنِ

قال بعض العارفين: إن كنت تسمحُ ببذلِ روحِكَ في هذه الطريق، وإلا فلا تشتغل بالتُّرَّهات:

خـاطر بـروحك في هـوانا واسـترح ... إن شئت تحظى بـالمحـلِّ الأعـظمِ
[لا يشغُلَنَّك شـاغـلٌ عن وَصْلِنـا ... وانهض على قدمِ الرجاء وقدّمِ][٣٥٨]

ولما كانت محبـة الله ـ عزّ وجـلّ ـ لها لـوازم، وهي محبةُ مـا يحبه الله ـ عزّ وجـلّ ـ من الأشخاص والأعمال، وكراهـةُ ما يكـرهـه من ذلـك، سأل النبي ـ ﷺ ـ الله تعالى مع محبّته محبةَ شيئين آخرين، أحـدهما: محبّـةُ مَنْ يحبُّ ما يحبّـه الله تعـالى، فـإن من أحبَّ الله أحبَّ أحِبّـاءَهُ فيـه ووالاهم، وأبغض أعـداءه

---

(٣٥٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/١٤٢ ـ ١٤٣) عن عمار أنه قال ـ وهو يسير على شط الفرات ـ: «اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أتردى فأسقط فعلت، ولو علمت أنه أرضى لك عني أن ألقي نفسي في هذا الماء فأغرق فيه فعلت». وإسناده حسن.

(٣٥٧) في (ط) زيادة بيت قبله: (والله لو حلف العشاق أنهم * موتى من الحب ما ماتوا وما حنثوا) والظاهر أنه لم ينشد هذا البيت، بل البيتين جميعاً، فإنه في حالِ تنسيه الشعر وقرضه! ولا أدري لماذا يورد المصنف مثل هذه الحكايات التي لا يمكن تصديقها، عفا الله عنه.

(٣٥٨) زيادة من الأصول الأخرى.

وعاداهم كما قال ـ ﷺ ـ: «ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجدَ بهنَّ حلاوةَ الإيمان: أن يكـونَ الله ورسـوله أحبَّ إليـه مما سـواهمـا، وأن يُحبَّ المـرءَ لا يُحبُّـه إلا لله. . .»(٣٥٩) الحديث.

وأعظمُ من تجبُ محبَّتُه في الله تعالى أنبياؤه ورسلُه، وأعـظمهم نبيه محمـد ـ ﷺ ـ الذي افترض الله على الخلق كُلِّهم متابعَته، وجعل متابعته علامةً لصحةِ محبَّتِهِ كما قال تعالى: ﴿قُـلْ إنْ كنتم تُحِبُّون الله فـاتَّبِعوني يُحْبِبْكُم الله ويغفـرْ لكم ذُنُوبَكم﴾ [آل عمران: ٣١]، وتوعّدَ من قدَّم محبة شيءٍ من المخلوقين على محبّته ومحبةِ رسوله ومحبةِ الجهاد في سبيله في قوله تعالى: ﴿قل إن كان آبآؤكم وأبنآؤكم وإخوانُكم وأزواجُكم وعشيرتُكم وأموالٌ اقترفْتُمـوها وتجارةٌ تخشَون كسـادَها ومسـاكنُ ترضَـونهآ أحبَّ إليكم من الله ورسولـهِ وجهادٍ في سبيلهِ فتـربَّصُـوا﴾ [التوبة : ٢٤].

ووصف المحبين له باللين للمؤمنين : من الرأفةِ بهم والرحمةِ والمحبةِ لهم ، والشـدةِ عـلى الكـافـرين : من البغض لهم والجهـادِ في سبيـله ، فقـال تعـالى: ﴿فسوفَ يـأتي الله بقومٍ يُحبُّهم ويُحبُّـونَهٓ أذِلَّـةٍ على المؤمنـينَ أعِـزَّةٍ عـلى الكافرين يجاهدون في سبيلِ الله ولا يخافـون لومـةَ لآئم﴾ الآية [المـائدة: ٥٤].

والثاني: محبّةُ ما يحبُّه الله تعـالى من الأعمال وبهـا يبلغ إلى حبِّه، وفي هـذا إشارةٌ إلى أن درجة المحبة لله تعالى إنما تُنال بطاعته وبفعـل ما يحبُّـه، فإذا امتثـلَ العبـدُ أوامرَ مـولاه وفعل مـا يحبُّه أحبّـه الله تعالى ورقّـاه إلى درجة محبتـه كـما في الحـديث الإلهي الذي خـرَّجه البخـاري: «وما تقـرّب إليّ عبدي بمثـل أداء مـا افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبَّـه»(٣٦٠). فأفضـلَ ما تُستجلبُ به محبةُ الله ـ عزّ وجلّ ـ فعلُ الـواجبات، وتـركُ المحرَّمـات، ولهذا جعلَ النبي ـ ﷺ ـ من علامـات وجدان حـلاوة الإيمان أن يكـره أن يرجـعَ إلى

---

(٣٥٩) أخرجه البخاري (١/ ٦٠) ومسلم (١/ ٦٦) عن أبي هريرة.

(٣٦٠) أخرجه البخاري (١١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) عن أبي هريرة.

الكفر كما يكره أن يلقى في النار. وسُئل ذو النون: متى أُحِبُّ ربي؟. قال: إذا كان ما يكرهه عندك أمرَّ من الصَّبْر. ثم بعد ذلك الاجتهادُ[٣٦١] في نوافل الطاعات، وتركُ دقائق المكروهات والمشتبهات.

ومن أعظم ما تحصُلُ به محبة الله تعالى من النوافل: تلاوةُ القرآن، وخصوصاً مع التدبُّر، قال ابن مسعود: لا يسأل أحدُكم عن نفسه إلا القرآن، فمن أحبَّ القرآنَ فهو يُحبُّ الله ورسولَه. ولهذا قال النبي - ﷺ - لمن قال: إني أُحِبُّ سورة (قل هو الله أحد) لأنها صفة الرحمن. فقال: «أخبروه أن الله يحبُّه»[٣٦٢]. وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: لما قدِمَ النبي - ﷺ - المدينة خطبَ، فقال في خُطبَتِه: «إن أحسنَ الحديث كتابُ الله، قد أفلحَ من زيَّنهُ الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من الأحاديث، إنه أحسنُ الحديث وأبْلَغُه، أحِبُّوا من أحب الله، وأحِبُّوا الله من كل قلوبكم»[٣٦٣].

وكان بعضهم يُكثرُ تلاوة القرآن ثم فترَ عن ذلك فرأى في المنام قائلاً يقول له:

إن كنت تزعم حُبِّي ... فلِمَ جفوت كتابي
أما تدبّرت ما فيه ... من لطيف عتابي

فاستيقظ وعاد إلى تلاوته.

ومن الأعمال التي توصِلُ إلى محبة الله تعالى وهي من أعظم علامات المحبين: كثرةُ ذكر الله - عزّ وجلّ - بالقلب واللسان، قال بعضهم: ما أدمن أحدٌ ذكرَ الله إلا وأفادَ منه محبَّةَ الله تعالى. وقال ذو النون: من أدمن ذكرَ الله

(٣٦١) في الأصل: (الجهاد) والمثبت من الأصول الأخرى.
(٣٦٢) أخرجه البخاري (١٣/٣٤٧ - ٣٤٨) ومسلم (١/٥٥٧) عن عائشة.
(٣٦٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/٥٢٤ - ٥٢٥ عن أبي سلمة عن عبد الرحمن مرسلاً، وفيه المغيرة بن عثمان بن الأخنس لم أقف على ترجمته.

قذف الله في قلبه نورَ الاشتياقِ إليه. وقال بعض التابعين: علامةُ حُبِّ الله كثرةُ ذكره، فإنك لن تحبَّ شيئاً إلا أكثرت ذكرَه. وقال فتح الموصلي: المحبُّ لله لا يجدُ مع حبِّ الله للدنيا لذةً، ولا يغفلُ عن ذكر الله طَرْفةَ عين. المحبُّون إن نطقوا نطقوا بالذكر، وإن سكتوا اشتغلوا بالفكر:

فإن نطقتُ فلم ألفظ بغيركم ... وإن سكتُّ فأنتم عند إضماري

ومن علامات المحبين لله ـ وهو مما يحصلُ به المحبة أيضاً ـ حُبُّ الخلوة بمناجاةِ الله تعالى، وخصوصاً في ظُلمة الليل:

الليلُ لي ولأحبابي أسامرهم ... قد اصطفيتهم كي يسمعوا ويعوا

قال الفضيل: يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: كذبَ من ادّعى محبتي فإذا جنَّه الليل نام عني، أليسَ كلُّ حبيبٍ يحبُّ الخلوةَ بحبيبه، ها أنا مُطَّلعٌ على أحبابي إذا جنَّهم الليل جعلتُ أبصارهم في قلوبهم، ومثَّلت نفسي بين أعينهم(٣٦٤)، فخاطبوني على المشاهدة، وكلموني على حضوري، غداً أُقِرُّ عين أحبابي في جنتي:

تنامُ عيناكَ وتشكو الهوى ... لو كنت صَبّاً لم تكن نائماً

قلوب المحبين جمرةٌ تحت فحمةِ الليل، كلما هبَّ عليها نسيمُ السحرِ التهبت، وأنشد:

يذكرني مَرُّ النسيم عهودَكم ... فأزدادُ شوقاً كلما هبت الريحُ
أراني إذا ما أظلمَ الليلُ أشرقت ... بقلبيَ من نارِ الغرام مصابيحُ

كلما جَنَّ الغاسق حَنَّ العاشق:

لو أنك أبصرت أهل الهوى ... إذا غابت الأنجُمُ الطُّلَّعُ
فهذا ينوح على ذنبه ... وهذا يُصلي وذا يركعُ

---

(٣٦٤) تعالى الله ـ عزّ وجلّ ـ عن مثل هذا الكلام، ولا أدري كيف يصبح القول على الله بهذه السهولة واليسر نسأل الله السلامة، وانظر التعليق (٢٣١).

من لم يكن له مثل تقواهم لم يدرِ ما الذي أبكـاهم، ومن لم يشاهـد جمالَ يـوسف لم يدرِ مـا الذي آلمَ قلب يعقـوب. وسُئل السـريُّ السقـطي عن حـالـه فأنشد:

مـن لم يَبِـت والحـبُّ حـشـوُ فـؤادِه | لم يــدرِ كـيـف تُـفـتَّـتُ الأكـبـاد

أين رجالُ الليل؟! أين ابنُ أدهم والفضيـل؟! ذهب الأبطال وبقي كـل بـطّال، يا من رضيَ من الـزهـد بـالـزي، ومن الفقـر بـالاسم، ومن التصـوف بالصوف، ومن التسبيح بالسُّبَح، أين فضلُ (الفضيل)؟! أين جدُّ (الجُنيد)؟! أين سِرُّ (السريِّ)؟! أين بِشرُ (بِشرٍ)؟! أين هِمَّةُ (ابن أدهم)(٣٦٥)؟! ويحَكَ إن لم تقدر على معرفة (معروف) فاندُب على رَبْعِ (رابعةَ) وأنشد:

هـاتيـك رُبُـوعهم وفيهـا كـانـوا | بـانـوا عنهـا فليتَهم مـا بـانـوا
نـاديـتُ وفي حشـاشـتي نـيـرانُ: | يـا دارُ مـتى تحـوَّلَ الـسكـانُ؟!

يـا من كان لـه قلبٌ فانقلب، يـا من كان لـه وقتٌ مع الله فـذهب، قيام الأسحار يستوحشُ لك، صيامُ النهار يسألُ عنك، ليالي الـوصال تعـاتبك عـلى انقطاعك:

تشـاغلتم عنّـا بصُحبـةِ غـيـرنـا | وأظهـرتم الهُجـران مـا هكـذا كُنّـا
وأقسمتُمُ أن لا تحـولـوا عن الهـوى | فقد وحياةِ الحبِّ حِلتم وما حِلنا
لـيـاليَ كنّـا نـجتني من ثمـاركـم | فقلبي إلى تلك الليـالي لقـد حنّـا

إخواني! مجالسُ الـذكرِ شرابُ المحبـين، وتِرْيـاقُ المذنبـين **﴿قد عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مشربَهم﴾** [البقـرة: ٦٠]، مجالسُ الـذكـر مـآتِمُ الأحـزان، فهـذا يبكي لذُنُوبهِ، وهذا يندبُ لعيوبه، وهذا يتـأسّفُ على فـوات مطلوبـه، وهذا يتلهَّف لإعراض محبوبه، وهذا يبوحُ بوَجْده(٣٦٦)، وهذا ينوح على فقده، وأنشد:

---

(٣٦٥) في (ط): (أين بشر ابراهيم بن أدهم) وهو تحريف.

(٣٦٦) في (ط): (بوجوده) وهو تحريف.

مـا أذكـرُ عيشنـا الـذي قـد سلفـا   إلا وجفَ القلبُ وكم قـد وجفـا
واهاً لـزمـاننـا الـذي كـان صفـا   بـل واأسفـاً لفقـده واأسفـا(٣٦٧)

غـيره:

يـا ليتنـا بزمـزم والحِجْـرِ   يـا جـيرتنـا قُبيـلَ يـوم النَّفْـرِ
فهـل يعـود مـا مضىمن، عُمُـري   مـا كنت أدري يـا ليتـني لا أدري

كـأني أرى الخُلَعَ خُلِعَت عـلى المقبـولـين، كـأني أرى المـلائكـة تصـافـحُ التائبين، تعالوا نبكي على المطرودين:

مـا زلتُ دهـراً لِلّقَـا مُتعـرِّضـاً   ولـطالمـا قـد كُنتَ عنّـا مُعـرِضـا
جـانَبْتَـنـا دهـراً فـلما لم تجـدْ   عِوضاً سوانا صِرتَ تبكي ما مضى(٣٦٨)
لـو كنت لازمت الـوقـوفَ ببـابنـا   لَلبستَ من إحسانِنـا خِلَع الـرضـا
لكن تـركتَ حقـوقَنـا وهجـرتنـا   فلـذاك ضاقَ عليـكَ مُتَّسعُ الفَضـا

* * *

ـ تم بحمد الله ـ

وحسن توفيقه

---

(٣٦٧) عجز البيت في (ب): (واأسفاً وهل يردُّ فائتاً (واأسفاً)؟!)

(٣٦٨) في (ط): (محرضاً) وهـو تحريف، وفيهـا زيادة بيت بعـده: (واحسرتاه عليـك من متقلب * حق الوبال عليـه من سوء القضـا)، وصدر البيت الثـالث: (لو كنت من أحبـابنا للزمتنـا * فَكُسيت. . .).
تم التعليق على الكتاب، والحمد لله الموفق للصواب، وصلى الله وسلم على من أوتي جوامع الخطاب، وعلى آله وأزواجه وسائر الصِّحاب.

١ ــ فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة*
أبشروا هذا ربكم قد فتح	٦٧
أتدري ما تمام النعمة؟	٤٦
اتقوا النار ولو بشق تمرة	٧٦ ، ٨١
اتقوا النساء ، فإن أول	١٢٢
أثقل صلاة على المنافقين	٦١
اثنتان يكرههما ابن آدم	٢٤
أخبروه أن الله يحبه	١٣٠
إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد	٥٧
إذا توضأ العبد المسلم	٤٧
إذا توضأ العبد المؤمن	٤٧
إذا مات ابن آدم قال الناس	٤٣
إذا مت أنا وأبو بكر و	١٢٠
إذا مر الرجل بالقوم فسلم	٨١
إذا نام العبد وهو ساجد	٣٩
أرأيتم لو أن نهرا	٦٦
إسباغ الوضوء شطر الإيمان	٥٠
أطعموا الجائع	٧٧
اعبد الله كأنك تراه	٥٣

* ما سُبِقَ بـ (ت) فهو رقم التعليق

ألا أخبركم بأهل الجنة؟ . . . . ت ٢٥٣
ألا أدلكم على ما يمحو الله به ٤٥
اللهم اجعل حبك أحب ١٢٥
اللهم أحيني مسكينا ١١٢
اللهم أذهب عنه الحر ت٩٨
اللهم ارزقني حبك ١٢٥
اللهم رب النبي محمد اغفر لي ١٢٢
أنا البائس الفقير ١١٦
إن أحببت أن يلين ١٠٤
إن أردت اللحوق بي . . . . ت ٢٧٧
أن تحب لله وتبغض . . . . ت ٢٣٨
أنتم الغر المحجلون ٤٩
انظروا إلى من دونكم ١٠٥
إن أحسن الحديث ١٣٠
إن أشد ما تجدون من البرد ٥٢
إن أعظم الناس أجرا ٥٩
إن أمتي يدعون يوم القيامة ٤٩
إن أولى الناس ٨١
إن بين يدي الساعة تسليم ت٢٠٢
أن داود ـ عليه السلام ـ كان يقول ١٢٥
إن ذاك في قلبها ١١٠
إن الرجل ليدرك بحسن خلقه ٨٤
إن الغضب من الشيطان . . . . ت ٧٩
إن فقراء المهاجرين يسبقون ت٢٥٤
أن الفقراء، يسبقون الأغنياء ٩٩

إن في الجنة غرفا ٧٤
إنكم لم تزالوا في صلاة ٦٩
إن الله إذا أحب عبداً ٤٢
إن الله إذا أنعم على عبد ١٠٩
إن الله تعالى إذا تجلى لشيءٍ ١١٤
إن الله جميل يحب ت٢٩١
إن الله يضحك إلى ٥٤
إن الله يقول للجنة ١١٧
إن لكم بكل خطوة ٥٩
إن لله ضنائن من عباده ١٢٣
إنما أنا عبد فقولوا ١١٤
إنه لم يبق من الدنيا إلا .... ١١٨ ـ ١١٩
أنهم يدخلون الجنة بنصف ٩٩
إنه يحب الله ورسوله ٥٦
أوتيت مفاتيح كل شيء إلا ت٣٢
أوثق عرى الايمان الحب في الله ت٢٣٨
أول الناس وروداً عليه ٩٩
إيمان بالله وجهاد في سبيله ٧٥
أين أنت من الاستغفار ١٢٤
أيها الناس أفشوا السلام ٧٤
أيما أهل عرصة أصبح فيهم ٧٧
أيُّما رجل قام إلى وضوئه ٤٨
أيُّما مؤمن أطعم مؤمنا ٧٣
بادروا بالأعمال فتنا ت٣٢٢
البذاذة من الإيمان ١٠٨
بشِّر المشائين في الظلم ٦٢

بل عبداً رسولاً ١١٣
تبلغ الحلية من المؤمن ٤٩
تحاجت الجنة والنار ٩٩
تطعم الطعام ، وتفشي السلام ٧٥
تطعم الطعام ، وتقرىء السلام ٧٥
تعوذوا بالله من الفتن .... ت ٣١٧
ثلاثة لا يكلمهم الله .... ت ٢٧٨
ثلاث من كن فيه وجد .... ١٢٩ ، ت ٢٣٨
الحج المبرور ليس له جزاء إلا ٨٠
خيركم من أطعم الطعام ٧٥
دعوها فإنها جبارة ١١٠
رأيت النبي -ﷺ- يدعو بعرفة ٧٦
رب أشعث أغبر ١٠١
رجلان من أمتي : يقوم أحدهما ٥٣
رجل قلبه معلق بالمسجد ٧٠
صلاة الرجل في جماعة تضعف ٥٦
الصلاة مثنى مثنى تشهد ١١٥
الصلوت الخمس ، والجمعة إلى ٦٦
الطهور شطر الايمان ٥٠
عجب الله من صنيعكما ٧٨
عشر ـ عشرون ـ ثلاثون ٨٢
الغدو والرواح إلى المساجد ٧١
فأعطاني الله لذلك أن جعلني ١١٣
فأُوحي إليَّ أنكم تفتنون .... ت ٣٢٠
فضل الدار القريبة من المسجد ٦٠

فقراء المهاجرين (أول الناس إجازة. .) ٩٩
القاعد يرعى الصلاة ٦٩
قد جمع الله لك ذلك ٦١
قمت على باب الجنة فإذا .... ٩٨ - ٩٩
كان لا يأنف أن يمشي مع ٩٧
كان يخرج عن الاستسقاء متواضعا ١١٥
كان يصلي الفجر بغلس ت١٧
كان يعجبه الجوامع من الدعاء ٩٣
كفى بالمرء فتنة أن يشار ١٢١
كل خطوة تمشيها إلى الصلاة ٥٧
كل ضعيف متضعف .... ٩٩، ١٠١
كما أنتم على مصافكم ٣٣
لأن تدعو أخاك المسلم .... ت ١٨٨
لكل أمة فتنة ١٢٢
لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله ١١٧
ليس بالمؤمن الذي يشبع ٧٧
ليس ذلك بالكبر ١١٠
ليس المسكين بهذا الطواف ١٠٦
ما آمن من بات شبعانا ٧٧
ما تركت بعدي فتنة أضرً ١٢٢
ما من امرىء مسلم تحضره ٦٦
ما من مسلم يتوضأ فيحسن .... ت ١٢١
ما من مسلم يتوضأ فيغسل ٤٨
ما منكم من رجل يقرب وضوءه ٤٧
الملائكة تصلي على أحدكم ٦٩

من أدرك من الصبح .... ت ٢٦
من أشراط الساعة السلام ٨٢
من ألف المسجد ألفه الله ٧٠
من ترك ثوب جمال تواضعا ١٠٩
من ترك اللباس تواضعا .... ١٠٨ ـ ١٠٩
منتظر الصلاة بعد الصلاة ٦٨
من تطهر في بيته ثم مشى ٥٧
من توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج ٥٨
من توضأ فأجسن الوضوء ثم قال ٤٩
من توضأ فأحسن الوضوء خرجت ٤٦
من توضأ فأسبغ الوضوء ثم قال ٦٥
من توضأ فأسبغ الوضوء غُفر ٥٠
من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ٦٠
من توضأ هكذا غفر ٤٦
من ختم له بإطعام ٧٥
من خرج من بيته متطهرا ٥٨
من رأى منكم الليلة ٣٩
من راح إلى مسجد جماعة ٥٧
من صلى العشاء في جماعة ٦١
من صلى من صلاة الصبح .... ت ٢٦
من غدا إلى المسجد أو ٦٠
من غسّل يوم الجمعة واغتسل ٥٨
هذا خير من ملء الأرض ١٠١
وجنبنا الفواحش والفتن ١١٨
وحرّم الله على النار أن تأكل ٦٤

والله ما الفقر أخشى عليكم ١٢٢
والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ٨١
والكلمة الطيبة صدقة ٨١
وما اجتمع قوم في بيت من ٦٩
وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ١٢٩
وما جهلتم منه فكلوه ٤١
لا يجد العبد صريح الايمان .... ت ٢٣٨
لا يزني الزاني حين يزني ١٢٧
لايشبع المؤمن دون جاره ٧٧
لا يوطن رجل المساجد للصلاة ٧٠
يا أبا ذر إذا طبخت مرقة ٧٧
يا بني سلمة ألا تحتسبون ٥٩
يا عائشة أحبي المساكين ٩٥
يقول الله ـ عز وجل ـ أعددت لعبادي ٨٧

٢ ـ محتويات الكتاب

مقدمة التحقيق ٥

أصول الكتاب ٧

عملي في الكتاب ٩

ترجمة المصنف ١١

صو المخطوطات ٢٤

نص الكتاب ٣١

نص الحديث المشروح والكلام على طرقه بالتفصيل ٣٣

هدي النبي ـ ﷺ ـ في وقت صلاة الصبح ٣٨

موقف المؤلف من آيات وأحاديث الصفات ٤٠

تعليق مهم في التفريق بين مذهب السلف والمفوضة ٤١

الفصل الأول : في ذكر الكفارات ٤٥

فضائل الوضوء ٤٥

إسباغ الوضوء ٥٠

الأسباب المعينة على تحمل إسباغ الوضوء في الكريهات ٥١

السبب الثاني من مكفرات الذنوب :

المشي على الأقدام إلى الجماعات ٥٦

المشي إلى الجمعات ٥٨

فضل مشقة المشي إلى المسجد خاصة في الظلام ٦١

الوضوء والمشي إلى لصلاة يهيىء

العبد للوقوف بين يدي الله ـ عز وجل ـ ٦٤

السبب الثالث :
الجلوس في المساجد بعد الصلوات، وفضل ذلك ٦٧
الفصل الثاني : في الدرجات ٧٣
إطعام الطعام وفضائله في الكتاب والسنة ٧٣
تأكد الإطعام للجائع والجيران خصوصا ٧٦
الإيثار في الإطعام ، آثار والسلف في ذلك ٧٨
الثاني من الدرجات : لين الكلام ٨٠
فضل إفشاء السلام ٨١
الإحسان واحتمال الأذى من صفات أهل الجنة ٨٣
الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٨٤
الثالث من الدرجات :
الصلاة بالليل والناس نيام . وفضل ذلك ٨٦
الفصل الثالث : في ذكر الدعوات ٩٣
بيان عظمة هذا الدعاء وأنه من جوامع الدعاء ٩٣
فضل حب المساكين ٩٣
حب المساكين أصل الحب في الله ٩٤
حب المساكين يستلزم الاخلاص ٩٥
فضائل المساكين ـ وقد استوعبها المصنف ـ ٩٨
قف على الحق في المفاضلة بين الفقر والغني في التعليق ١٠٠
فوائد محبة المساكين ١٠٢
تعريف المسكين وبيان صنفي المساكين ١٠٦
التقشف في اللباس ١٠٧
معنى آخر للمسكين ١١٢
ما يشرع فيه التمسكن لله ـ عز وجل ـ ١١٥
معنى قوله ـ ﷺ ـ (وأن تغفر لي وترحمني) ١١٧

معنى قوله ـ ﷺ ـ : (وإذا أردت بقوم فتنة . .) ١١٨
حكم الدعاء بالموت خشية الفتنة ١٢٠
أنواع الفتن ١٢٢
قوله ـ ﷺ ـ (واسألك حبك . .)
واشتماله على خير الدنيا والآخرة ١٢٥
درجتا المحبة لله ١٢٦
لوازم محبة الله ١٢٨
الأعمال التي توصل إلى محبة الله ١٣٠
آخر الكتاب ١٣٣
فهرس الأحاديث ١٣٥